الكتاب: من أخلاق الإمام الحسين (ع)
المؤلف: عبد العظيم المهتدي البحراني
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م
المطبعة: علمية - قم
الناشر: انتشارات شريف الرضي - قم - ايران
ردمك:
ملاحظات:

من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام)
دروس في السلوك والتربية وقيم الحياة الطيبة
تأليف
عبد العظيم المهتدي البحراني
انتشارات الشريف الرضي

هوية الكتاب
اسم الكتاب: من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) * اسم المؤلف: عبد العظيم المهتدي البحراني
* الطبعة: الأولى / سنة ١٤٢١ ه‍ - ٢٠٠١ م * عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة * الناشر: انتشارات
الشريف الرضي / قم * تنضيد الحروف: مؤسسة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) للخدمات الثقافية
والخيرية * الاخراج الفني: مؤسسة عاشوراء * المطبعة: علمية / قم المقدسة

* (يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي
إلى ربك راضية مرضية فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي) * (١).

----
١ - سورة الفجر: الآية ٢٧ - ٣٠، ذكر المفسرون أن النفس المطمئنة هي نفس الإمام الحسين (عليه السلام) ولذا
سميت هذه السورة تأويلا بسورة الإمام الحسين أيضا.

إلى كل من يقرأ (الحسين)
بلغة الأخلاق الإسلامية والمثل
الإنسانية، ويعمل بها رافعا شعار:
(كلنا للحسين والحسين للجميع)

نحن من شيئين الروح والبدن، وإذا كنا نعلم طريقنا إلى غذاء أبداننا
فهل نتعلم طريقنا إلى غذاء أرواحنا الأهم أيضا؟
فما هو هذا الغذاء الأهم؟
انه الأخلاق الحسنة، والتي لا يختلف اثنان في حاجة الإنسان إليها،
حتى ذلك المنسلخ عنها تجده يغضب عليك إن صارحته بحاله، وربما
طالبك بها وهو يعلم نفسه انسلاخها عنها!
فهذا أبسط دليل على حاجة الإنسان الملحة والفطرية إلى الأخلاق
الحسنة، وأقوى دليل على إجماع الفطرة البشرية نحو مطلوبية الأخلاق
الحسنة وخلوديتها مع الدين الحق.
قال الله تعالى: * (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) * (١).
وترقى درجة الحاجة إلى الأخلاق الدينية في عصرنا وتتأكد رغم
التقدم العلمي والصناعي الذي بهما سخر الإنسان شتى موارد الطبيعة فإنه
من دون أخلاق تحدد له طريقة الاستفادة من ذلك سوف يهلك نفسه
ويدمر غيره، وهل تبقى للحياة بعدئذ معانيها الرغيدة، أو هل تعلو للعدالة
راية؟

----

١ - سورة الروم: الآية ٣٠

ولا أراك تخالفني الرأي بأننا في عصر هذه سماته البارزة!
والآن فإذا كانت الأخلاق حاجة ملحة وفطرة ثابتة، وكانت تلك
السمات المرضية مشهودة، فما هو الذي نفتقر إليه في سبيل العلاج
والإنقاذ؟
نفتقر إلى هداة رسموا لنا جمالية الأخلاق الجذابة إلى الخير كله سواء
بكلماتهم الوضاءة أو سيرتهم المضيئة ليكونوا القدوات الصالحة للتأسي،
وهؤلاء الذين بهذا المستوى الرفيع والذين يسدون فقرنا الأخلاقي
ويعيدون إلينا توازناتنا الروحية هم النبي وأهل بيته (عليهم السلام) وكل من أخذ من
رياضهم الزاهر.
وفي سيرة الحسين (عليه السلام) سبط النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأبي الأئمة
الطاهرين
(عليهم السلام) إشراقات أخلاقية رائعة، قد جاء ذكرها في كتب التاريخ والحديث
والأخلاق متناثرا، فرأيت جديرا بجمعها في كتاب واحد، إذ لم أجد في
المكتبات كتابا خاصا بهذا المضمون.
أسأل الله سبحانه أن يوفقنا جميعا إلى معرفة الحسين وحقيقة الأخلاق
التي تحلى بها في سلوكه مع الله جلت عظمته، ومع أهله وعياله، وأصحابه
وحتى مع أعدائه.
وأسأله عز وجل أن يبصرنا الطريق نفسيا وعمليا حتى بلوغ مرضاته،
بجاه الذين طهرهم من الرجس ليكونوا لنا هداة إلى الخير كله.
ويدعوني الواجب الأخلاقي هنا إلى أن أشكر الاخوة الأعزاء:
١ - الحاج (أبا زينب الكتبي) صاحب انتشارات (الشريف الرضي)
الذي لا زال بنشاطه الدؤوب يضخ في المكتبات الإسلامية بكتب قيمة
حول سيرة أهل البيت (عليهم السلام) على تنوع مجالاتها الزاهرة، فإنه (حفظه الله)
كان
المقترح لتأليف كتاب عن الإمام الحسين (عليه السلام) ليقوم بطباعته، فاستجبت
لدعوته السديدة، ولكني تأملت كثيرا لئلا أقدم كتابا لا يتميز عن غيره إلا في
الاسم والشكل، وبعد التأمل وقع اختياري على موضوع قل أن خصص له

العلماء كتابا بعنوانه، ذلك هو موضوع أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) الذي يشكل الأساس الأقوم لحياته القويمة وشهادته الأليمة، وهو بعمقه الإلهي رمز بقاء ذكراه (عليه السلام) في القلوب إلى قيام يوم القيامة.

٢ - العالم الجليل سماحة آية الله السيد عباس الكاشاني (دام ظله) على لفتته الجميلة في اختيار اسم هذا الكتاب، إذ سألني في يوم ميلاد الإمام الرضا (عليه السلام) من هذا العام فيم تكتب هذه الأيام؟ قلت في كتاب أسميته (أخلاق الإمام الحسين) فقال أضف عليه حرف (من) ليكون (من أخلاق الإمام الحسين) لأنك مهما جمعت تحت هذا العنوان لا يمكنك أن تحيط بكل ما لدى الحسين من أخلاق عظيمة.

حقا كانت هذه اللفتة من سماحته رائعة جدا، يستحق عليها السيد كل الشكر والدعاء.

ونعم ما قاله الشاعر الحسيني:

ويا عجبا مني أحاول وصفه * وقد فنيت فيه القراطيس والصحف (١)

٣ - سماحة العلامة الورع أستاذ الأخلاق في الحوزة العلمية آية الله السيد صادق الشيرازي (دام ظله) حيث سددني وشجعني لإكمال هذا الكتاب، مؤكدا على أنه فكرة جديدة وهامة.

٤ - سماحة الخطيب الحسيني الشيخ علي نظري (حفظه الله وسدد خطاه) حيث زودني ببعض المصادر وشجعني على إنجاز الكتاب في أسرع وقت، بعد أن وصفه بالانفراد في نوعه البناء وأكد على ضرورته للخطباء الحسينيين.

٥ - الأخ الكريم جعفر البياتي (دام توفيقه) إذ بعد قيامي لتأليف أكثر

----

١ - نفس المهموم / ص ١٥.

من ثلثي هذا الكتاب اطلعت على مشتركات وجدتها بين كتابي وكتابه
الجميل (الأخلاق الحسينية) فاستأذنته على النقل من كتابه المصفوف
تقشفا في الوقت واختصارا للطريق، فقدم لي ما طلبته منه، وقد دل بذلك
على أخلاقه الحسينية عملا بالآية الشريفة * (وتعاونوا على البر
والتقوى) * (١).
٦ - حجة الاسلام السيد العلوي (دام فضله) ناشر كتاب (موسوعة
كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)) حيث أعطاني ما طلبته من نصوص الكتاب
مصفوفا أيضا لغرض السرعة في الإنجاز.
٧ - الأخوة الأعزاء السيد فاضل - أبا عباس - ونعمة الله صادقي وأبا
أيوب الكاظمي وكذلك الأخ صادق - أبا حسن - (دام عزهم) إذ وضعوا
جهدهم المبارك في صف حروف هذا الكتاب وإخراجه الفني.
جزاهم الله خير الجزاء وجعلنا واياهم مع حفيد الحسين (عليه السلام) الإمام المهدي
(عليه السلام) من الرحاب إلى الركاب حتى يعيد الله به (عليه السلام) إلى البشرية
الكئيبة
أخلاق جده الحسين (عليه السلام) الناجية وينفذ رحمة جده محمد (صلى الله عليه
وآله) المتصلة
برحمة الله.
وأما منهج عملي في هذا الكتاب: إنني طالعت - حسب الوسع - أهم
المصادر التي ذكرت حياة الإمام الحسين (عليه السلام) فانتقيت منها سيرته (عليه
السلام) في
ترسيم الخطوط الأخلاقية العامة والخاصة، فقيدتها بنصوصها فيما بينت
الكلمات الصعبة منها تارة في المتن بين شارحتين، وتارة في الهامش
حسب ما اقتضاه المقام. موزعا إياها على حسب التسلسل الزمني من
الطفولة إلى الشهادة. ثم حاولت أن لا أترك نصوص تلك الأخلاقيات
الحسينية المشرقة إلا بالتمهيد أو التعقيب واستخلاص دروس تربوية في
نقاط، وذلك كي يدخل فيه القارئ العزيز أو يخرج منه بحصيلة مفيدة
وتوجيه للهدف المطلوب في معالجة الأزمات الأخلاقية التي يعاني منها

----
١ - سورة المائدة: الآية / ٢

مجتمعنا المعاصر، وجئت أيضا ببعض التعليقات الرائعة التي عثرت عليها في الكتب المعتمدة مع ذكر قائلها أو مصدرها تثمينا لجهود الآخرين - جزاهم الله خيرا -. وجعلت كل نص تحت عنوان أخلاقي أو أكثر حسب محتوى النص. ورتبته على فصلين.. الفصل الأول: في أخلاقيات إسلامية عامة وتعريف بالشخصية الحسينية الفذة. والفصل الثاني: في أخلاقيات الحسين التطبيقية ودروسنا المستفادة.
هذا وكان لعكوفي على تجميع وتأليف وتنقيح هذا الكتاب سيما مراجعته لتصحيح الأغلاط المطبعية حدود عام واحد توسطته أعمال كثيرة ومتباينة الأبعاد، وهي - كما تعلم أخي القارئ - تترك أثرها على تمامية الإنتاج وكماليته المنشودة، علما إنني بذلت فيه تمام وسعي لتفادي كل أنواع النقص، والنقص في ذات البشر ذاتيته إلا ما عصم ربي.
قال الإمام الحسين (عليه السلام): " لو أن العالم كل ما قال أحسن وأصاب لأوشك أن يجن من العجب، وإنما العالم من يكثر صوابه " (١).
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.
اللهم أحينا حياة محمد وآل محمد وأمتنا ممات محمد وآل محمد.
مدينة قم المشرفة (١٨ / ذي الحجة / ١٤٢١ ه‍)
ذكرى عيد الغدير السعيد
ملتمس دعاء الصالحين: عبد العظيم المهتدي البحراني

---

١ - إحقاق الحق ١١: ٥٩.

تعريف بالمثال الأخلاقي الرفيع
وبيان لمواضيع فكرية أخلاقية هامة
تقع في الطريق إلى الفصل الثاني.

الحسين (عليه السلام).. ميلاد غريب

في يوم الثالث من شهر شعبان، العام الثالث من الهجرة النبوية الشريفة، ولد الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) من فاطمة بنت محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) سيدة نساء العالمين.

ولكن نجد إنها كانت ظاهرة ميلاد غريبة في بيت الرسالة، إذ تمتزج المسرة بالدموع، والابتسامة بالكآبة.. فهي حفلة الصالحين تدوم في رحلة مستمرة بين الخوف والرجاء، والضحك والبكاء.

لنصغ قليلا إلى السماء كيف تشارك المحتفلين في هذا البيت الهادئ البسيط.

نعم.. نسمع حفيفا يقترب، ونظنه حفيف الملائك، فإذا بهم ملأوا رحاب البيت.

يتقدم الملاك - فطرس - (عليه السلام) فيقول:

يا محمد! العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول: علي منك بمنزلة هارون من موسى، ولا نبي بعدك. سم ابنك هذا باسم ابن هارون؟

فيقول النبي (صلى الله عليه وآله): وما اسم ابن هارون؟

فيجيب: شبير.

فيقول النبي (صلى الله عليه وآله): لساني عربي؟!

فيجيب جبرئيل: سمه الحسين.

فيسميه الحسين (١).

---

١ - انظر كتاب قاموس اللغة - في مادة شبر - وكتاب بحار الأنوار: ج ١٠٤ ص ١١١.

اهتمام تربوي خاص
لم يزل ذلك الوليد المبارك يترعرع في أحضان الرسالة، ويعتني به صاحبها محمد (صلى الله عليه وآله)
وربيبها علي (عليه السلام) حتى بلغ من العمر زهاء سنتين، ولكن لم يتفتح لسانه عن أداء الكلام أبدا.
عجبا، إن ملامح الوليد تدل على ذكاء مفرط، ومضاء جديد، ومع ذلك فلم لم يتكلم بعد، أيمكن أن يكون ذلك لثقل في لسانه؟!
وذات يوم إذ اصطف المسلمون لإقامة صلاة الجماعة، يؤمهم الرسول الأعظم، وإلى جانبه حفيده الحبيب الحسين (عليه السلام) ولما تهيأ القوم للتحريم، كان الخشوع مستوليا على
القلوب، والهدوء سائدا على الجو، والكل ينتظرون أن يكبر الرسول فيكبروا معه، فإذا هم بصوته الخاشع الوديع يكسر سلطان السكوت ويقول: الله أكبر...
وإذا بصوت ناعم خافت يشبه تماما صوت النبي (صلى الله عليه وآله) بكل نغماته ونبراته وما فيه من
خشوع ووداعة يقول: الله أكبر...
إنه صوت الحسين (عليه السلام). فكرر الرسول: الله أكبر... فأرجع الحسين الله أكبر، والمسلمون يستمعون ويكبرون، ويتعجبون!! فردد الرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك سبعا، ورجعه
الحسين (عليه السلام) سبعا، ثم استمر النبي (صلى الله عليه وآله) في صلاته والحسين (عليه السلام) يسترجع منه.
فقد كانت أول كلمة لفظها فم الحسين (عليه السلام) كلمة التوحيد: الله أكبر.
وفيما نخطو مع التاريخ بعض الخطوات الفاصلة ننظر إلى هذا الوليد بالذات - ذلك الذي لم يفتح فمه إلا على كلمة الله أكبر - ننظر إليه بعد خمس وخمسين سنة وهو يمارس
آخر خطوات الجهاد المقدس، ويعالج آخر لحظات الألم وقد طرح على الرمضاء، يلفحه
حر الشمس، ويمزق كبده الشريف حر العطش، ويلفه حر السلاح المصلصل.
فنستمع إليه وهو يحرك شفتين طالما لمستهما شفتا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتضرع إلى بارئه،
يقول: " إلهي.. رضا برضاك، لا معبود سواك ".
ولا يزال يتمتع حتى يعرج بروحه الطاهرة المقدسة إلى السماء، عليه أفضل الصلاة والسلام.
وإذا ثبت بالتجارب الحديثة أن للوراثة آثارها البالغة، وأن للتربية حظها الكبير في إنما

خلق الطفل وتكييف صفاته، فلا نشك في أن أبوي الحسين (عليهم السلام) كانا من أرفع الآباء خلقا،
وأكرمهم نسبا. وإن تربيتهما كانت أحسن تربية وأشرفها وأقدرها على إنماء الأخلاق الفاضلة، والسجايا الحميدة في نفس الإنسان.
وهل نشك في ربيب الرسول ذاته، وربيب من رباهما الرسول فاطمة وعلى (عليهم جميعا صلوات الله وتحياته)؟
أفلا نرضى من الله العزيز كلمته العظيمة في القرآن حيث يقول:
* (مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، فبأي آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان) * (١).
فالبحران هما بحر النبوة ومنبعه فاطمة (عليها السلام) عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، وبحر الوصاية من قبل
علي (عليه السلام). فلابد لهذين البحرين - إذا التقيا - أن يخرج منهما اللؤلؤ الحسن، والمرجان
الحسين (عليهما السلام).
هذه هي الوراثة.. إنها أقدس وأرفع مما يتصور.. ولا تسأل عن التربية، فلقد كانت أنصع وأروع من كل تربية، كان شخص الرسول (صلى الله عليه وآله) يهتم بالحسين (عليه السلام) وتربيته بصورة
مباشرة. (٢)
إن الحسين (عليه السلام) إعداد نبوي هادف ولغاية طويلة الأمد بطول عمر الحياة على هذه
الأرض، وقد رعاه النبي (صلى الله عليه وآله) برعايته الخاصة ولم يقل فيه عبثا وجزافا " حسين مني وأنا
من حسين ".
يقول ابن عباس: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه
الأيمن الحسين بن علي (عليهما السلام)، تارة يقبل هذا، وتارة يقبل هذا، إذ هبط عليه جبرئيل (عليه السلام)
بوحي من رب العالمين، فلما سرى عنه - يعني عرج جبرئيل إلى السماء - قال (صلى الله عليه وآله):
" أتاني جبريل من ربي، فقال لي: يا محمد! إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: لست أجمعهما لك، فافد أحدهما بصاحبه.
فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) فبكى، ونظر إلى الحسين (عليه السلام) فبكى، ثم قال:

إن إبراهيم (عليه السلام) أمه أمة،

----

١ - سورة الرحمن: الآية ١٩ - ٢٢.
٢ - اقتباس من كتاب النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) / آية الله السيد محمد تقي المدرسي.

ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأم الحسين فاطمة وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه، وأنا أؤثر حزني على حزنهما - وهكذا قرر النبي (صلى الله عليه وآله). يا جبريل! تقبض إبراهيم، فديته بإبراهيم.
قال: فقبض بعد ثلاث، فكان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا رأى الحسين (عليه السلام) مقبلا، قبله وضمه إلى
صدره ورشف ثناياه، وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم " (١).
وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " بي أنذرتم، وبعلي بن أبي طالب
اهتديتم. وقرأ: * (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) *. وبالحسن أعطيتم الإحسان، وبالحسين
تسعدون، وبه تشقون. ألا إن الحسين باب من أبواب الجنة، من عانده حرم الله عليه ريح الجنة " (٢).
بالحسين يسعد المسلمون ولكن من يتجرد عنه يشقى. ذلك لأن أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) وبرعاية جده سيد المرسلين وأبيه إمام المتقين وأمه سيدة نساء العالمين قد
اتسمت بالحكمة الإلهية، فكانت شخصيته كاملة..
وهكذا، فإذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) على خلق عظيم - كما وصفه الله في محكم كتابه الكريم -
فإن سبطه الحسين (عليه السلام) امتداد له في الأخلاق العظيمة والفضائل الرسالية كما هو امتداده
العضوي. وانك تجد في قراءتك لسيرة الجد والسبط (محمد والحسين) ذلك الامتدادين
الواضحين وضوح الشمس والقمر.
عن ربيعة السعدي، قال: لما اختلف الناس في التفضيل، رحلت راحلتي، وأخذت زادي حتى دخلت المدينة، فدخلت على حذيفة بن اليمان، فقال لي: ممن الرجل؟ قلت:
من أهل العراق! فقال: من أي العراق؟ قلت: رجل من أهل الكوفة.
قال: مرحبا بكم، يا أهل الكوفة.
قلت: اختلف الناس في التفضيل، فجئت لأسألك عن ذلك؟
فقال لي: على الخبير سقطت، أما إني لا أحدثك إلا بما سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي:

----

١ - تاريخ بغداد / ج ٢ ص ٢٠٤.
٢ - القطرة، من بحار مناقب النبي والعترة / للسيد أحمد المستنبط ١: ٤٤ / ح ٣٤.

خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) - كأني أنظر إليه كما أنظر إليك الساعة - حامل الحسين بن
علي على عاتقه - كأني أنظر إلى كفه الطيبة واضعها على قدمه يلصقها بصدره - فقال:
" يا أيها الناس، لأعرفن ما اختلفتم بعدي.
هذا الحسين بن علي: خير الناس جدا وخير الناس جدة: جده محمد رسول الله، سيد النبيين. وجدته خديجة بنت خويلد، سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله.
هذا الحسين بن علي: خير الناس أبا، وخير الناس أما: أبوه: علي بن أبي طالب، أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووزيره، وابن عمه، وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله.
وامه فاطمة بنت محمد، سيدة نساء العالمين.
هذا الحسين بن علي: خير الناس عما، وخير الناس عمة: عمه جعفر بن أبي طالب، المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء. وعمته أم هانئ بنت أبي طالب.
هذا الحسين بن علي: خير الناس خالا، وخير الناس خالة: خاله القاسم بن محمد رسول الله. وخالته زينب بنت محمد رسول الله.
ثم وضعه عن عاتقه، فدرج بين يديه، وحبا.
ثم قال: يا أيها الناس: هذا الحسين بن علي: جده وجدته في الجنة، وأبوه وامه في الجنة، وعمه وعمته في الجنة، وخاله وخالته في الجنة، وهو وأخوه في الجنة. إنه لم يؤت أحد من ذرية النبيين ما أوتي الحسين بن علي ما خلا يوسف بن يعقوب " (١).
ويقول المحدث الشيخ عباس القمي (قدس سره) في كتابه (نفس المهموم): إعلم أن مناقب
مولانا الحسين (صلوات الله عليه) واضحة الظهور، وسناء شرفه ومجده مشرق النور، فله
الرتبة العالية والمكانة السامية في كل الأمور، فما اختلف في نبله وفضله واعتلاء محله أحد من الشيعة ولا الجمهور.. فكما وصفه مولانا وإمامنا المهدي (صلوات الله عليه) في
زيارة الناحية المقدسة: " وفي الذمم رضي الشيم، ظاهر الكرم، متهجدا في الظلم، قويم الطرائق، كريم الخلائق، عظيم السوابق، شريف النسب، منيف الحسب، رفيع الرتب، كثير المناقب، محمود الضرائب، جزيل المواهب، حليم رشيد، منيب جواد،

----

١ - مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور: ٧ / ٥ - ١٢٦. أقول وعدم شبهه بيوسف ربما من حيث السلطان الدنيوي.

عليم شديد، إمام شهيد، أواه منيب حبيب مهيب، كان للرسول ٩ ولدا، وللقرآن سندا، وللأمة عضدا، وفي الطاعة مجتهدا، حافظا للعهد والميثاق، ناكبا عن سبل الفساق، باذلا للمجهود، طويل الركوع والسجود، زاهدا في الدنيا زهد الراحل عنها، ناظرا إليها بعين المستوحشين عنها " - إلى آخر ما قال فيه (صلوات الله عليه).
أسئلة يجيب عليها الحسين (عليه السلام)
١ - ما هي الأخلاق الحسنة؟
٢ - وما هي مفرداتها العملية؟
٣ - وكيف نطبقها؟
٤ - وهل يمكن التحلي بها في هذا العصر الذي أفلت عنه القيم الأخلاقية؟
هذه الأسئلة قد أجاب عليها عمل الحسين (عليه السلام). لأن الأخلاق الإسلامية التي تجسدت
في سلوك الإمام الحسين (عليه السلام) تبينت معانيها ومفرداتها العملية وكيفية تطبيقها أيضا، حيث
كان (عليه السلام) في عصر قد ذهبت الأخلاق والقيم عن الناس، لإدبارهم عنها، عودة إلى الجاهلية
الأولى، وفي الظلام يرى الضياء متلألئا جذابا، وهكذا إنما تبقى علينا مسؤولية التحلي بهذه الأخلاق وفق الاجتهاد المفتوح على حدود الله بمفتاح العقل المتخلق بأخلاق الله،
ومهما تكون النفسية البشرية معقدة والتي جاءت المستحدثات العصرية لتزيدها عقدة وتعقيدا، فان الأخلاق العملية عند الحسين (عليه السلام) ليست عقيمة الحلول وعاجزة عن الأخذ
بأيدينا إلى العروج نحو القيم المثلى. وذلك لوجود الفطرة النقية في باطن الإنسان وهي من الثوابت التي رسخها خالقها فيه كي تكون المرجع الأول والقاعدة الأساسية الصلبة لتلقي الخير واستلهام الحكمة العملية وانطلاقة الإنسان الأخلاقية في كل عصر مع الاستقامة على مدلولاتها، إن تلك الفطرة والتي تسمى عند الناس اليوم بالضمير وعند الفلاسفة بالعقل العملي لن تتغير ولن ترضخ لتوجيه صاحبها المخطئ وأنى لها ذلك وقد أراد الله لها أن تكون رسوله في باطن الإنسان إلى ساعة موته، كما رسل الله العاملون من
حوله، إنهما رسالتان متعانقتان متلاحمتان من رسولين متعاونين في داخل الإنسان

وخارجه. فكما الرسول الظاهري لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كذلك الرسول الباطني يتناغم مع تعاليم الوحي ولا يتنافر معها أبدا.
ولذا أسس علماء أصول الفقه قولهم بأن (كل ما حكم به الشرع حكم به العقل، وكل ما
حكم به العقل حكم به الشرع).
ومن أدلتهم على ذلك الحديث الوارد عن الإمام الكاظم (عليه السلام): " إن لله على الناس
حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وأما
الباطنة فالعقول " (١).
ومن وصاياه (عليه السلام) أيضا قوله: " ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله،
فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا، وأكملهم عقلا أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة " (٢).
فالعلاقة بين العقل والأخلاق الحسنة علاقة الموجه والموجه. إن العقل هو الذي يدل إلى فهم الأخلاق الحسنة وطريقة الالتزام بها أيضا وتعرية ضده، أي الجهل الذي يسقط صاحبه في الأخلاق السيئة.
قال أمير المؤمنين (عليه السلام): " الخلق المحمود من ثمار العقل، والخلق المذموم من ثمار
الجهل ". (٣)
وهكذا فتطبيق التعاليم الأخلاقية من خلال قيادة العقل المنفتح على الشرع أمر عملي في عصرنا، فلا عذر للمتخلف عن القيم الأخلاقية الثابتة والمجربة في سلوك الهداة، وليس التبرير بظواهر الزمان المتغيرة إلا هروب من المسؤولية الشرعية إلى عبادة الهوى.
قال الله تعالى: * (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) * (٤).
فالسلوك الفردي والالتزامات الاجتماعية والآداب الشخصية فروع تنبثق من أصول

---

١ - بحار الأنوار / ج ١ ص ١٣٧.
٢ - أصول الكافي / ج ١ ص ١٦.
٣ - ميزان الحكمة / ج ٣ ص ١٣٨
٤ - سورة الكهف: الآية / ٢٨

القيم الأصيلة الثابتة، مثل الصدق، والصبر، والعفة، والحكمة، والرحمة، والوفاء، والإخلاص، والعدل، من يتعلم هذه الأصول سهلت عليه الفروع العملية بعون الله تعالى وكان توكله عليه إخلاصه له.

الأخلاق أنجح التجارب في الإنقاذ

ومثال ذلك هو إقلاع العرب عن الجاهلية والتناحر والتفرقة إلى أوج الحضارة الإنسانية والتعاون والألفة.. دليل لا يدانيه شك بأن الأخلاق الإسلامية التي تجسدت في سلوك النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأتباعه الأوفياء لازالت قادرة على الانقاذ ما دام الالتزام بها مستمرا ذلك

لأن القرآن والمشتركات التي تجمع شتات المسلمين وتمحي أسباب التفرق، موجود بأيديهم ولم يدخله التحريف، وهي أقوى منطلقات توحيدية القادرة على احتواء الخلافات الجزئية والأذواق المتباينة والأفكار المتعددة في الأمة الإسلامية الواحدة، فكيف بإحتواء الخلافات داخل مذاهبها أو إحتوائها في دوائر أصغر منها، كالتجمعات والعوائل والأفراد.

فإذا علمنا أن أسباب النزاعات والمشاحنات والانتكاسات تكمن في الأزمة الأخلاقية التي عصفت بالأمة على مختلف أصعدتها فإن علينا أن نعلم يقينا بأن فك هذه الأزمة محصور في ممارسة الأخلاق الإسلامية لا غير.

أما قرأت ما قاله الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله): * (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك) * (١).

إذن تعال لنتأسى بالرسول الأعظم من هذه البداية! بداية الرحمة المستمدة من رحمة الله الواسعة. فإنها مبدأ كل المواقف الأخلاقية على الإطلاق، إلا في مواجهة الكفار البادئين
العداء والعناد لإفناء تلك الأخلاق.

هذا ونتساءل: إذا كانت تعددية المذاهب والفرق ظاهرة طبيعية في جميع الأديان والمبادئ، فكيف كان يتم التعامل والعلاقة بين المذاهب المختلفة ضمن الدين الواحد؟

----

١ - سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

بالطبع ان مستوى وعي الإنسان بالقيم ومدى التزامه بالأخلاق الفاضلة، هو الذي يحدد طريقة تعامله مع من يخالفه في الدين أو المذهب.. ذلك لأن الإيمان بقيمة الإنسان
كإنسان، وحقه في أن يعيش حرا كريما، حسبما يشاء ويختار، هذا الإيمان يفرض على صاحبه احترام إرادة الآخرين والاعتراف بحريتهم في اختيار أديانهم ومذاهبهم ومعتقداتهم.. وللتربية الأخلاقية دورها الفعال والحاسم في تنظيم علاقة الإنسان بالآخرين وخاصة من يختلف معهم.
ومؤلم حقا ما يحتفظ به التاريخ من سجلات دامية لحالات الصراع والاضطهاد المتبادل بين أبناء الدين الواحد عند اختلاف مذاهبهم في فترات انحطاط الوعي وتدني المستوى الأخلاقي. وإذا كانت هناك أعذار تلتمس، ومبررات تفتعل للصراع والعداء بين
أتباع الأديان المختلفة المتناقضة، فما هي مبررات الصراع بين أبناء الدين الواحد، مع انتمائهم لعقيدة واحدة تجمعهم وإيمانهم بزعيم روحي واحد، ومع وجود القواسم المشتركة ومجالات الاتفاق التي هي أوسع وأكبر من مساحة الاختلاف فيما بين مذاهبهم؟
بالتأكيد لا سبب ولا مبرر، إلا تفشي الجهل وتدني الأخلاق وتحريك المغرضين المصلحيين من الخارج والداخل. (١)
فإلتفاف كل فرد حول المحاور المبدئية والقيم الأخلاقية، ينتج التفاف الناس حول بعضهم وتماسك وحداتهم المتعددة في مواجهة الأخطار والتحديات، لذلك خاطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشيرته: " يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم
بطلاقة الوجه وحسن البشر " (٢).
وفي رواية أخرى يخاطب بها أمته: " انكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم " (٣).
وقال أيضا: " سوء الخلق شؤم، وشراركم أسوأكم خلقا " (٤).

----

١ - نقلا عن كتاب التعددية والحرية / للشيخ حسن موسى الصفار.
٢ - وسائل الشيعة / ج ٢ - ص ٢٢٢.
٣ - تحف العقول.
٤ - نهج الفصاحة ص ٣٧١.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أيضا: " حسن الخلق يثبت المودة " (١)
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): " حسن الخلق رأس كل بر " (٢).
وقال سلام الله عليه أيضا: " من حسنت خليقته، طابت عشرته " (٣).
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): " إن الله تبارك وتعالى خص رسوله بمكارم الأخلاق،
فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه في الزيادة منها.
فذكرها عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروة " (٤).
ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) كذلك: " حسن الأخلاق يدر الأرزاق، ويؤنس الرفاق " (٥).
ويطالب المسلمين وخاصة شيعته الذين عقدوا الولاء بإمامته، أن يجعلوا تنافسهم في العمل بالأخلاق التي يرتاح لها ضمير كل إنسان حتى غير المسلمين، إذ يقول (عليه السلام):
" تنافسوا في الأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، يعظم لكم الجزاء " (٦).
فالجزاء العظيم والثواب الجليل يكمن في هذا التنافس الشريف، وليس في الوضيع منه، الذي لا يلتقي مع الأحلام العظيمة والأهداف الكبيرة في الحياة.
لقد أتم أهل البيت (عليهم السلام) الحجة على البشرية باتمامهم لمكارم الأخلاق على كافة
المستويات وفي كل الحالات، فلم يبقوا لتبرير الانسلاخ عن القيم الأخلاقية وسيلة إلا وهي مفضوحة ومردودة.
أجل، فلو درسنا الأخلاق الإسلامية، وملئنا الأجواء بالحث عليها والترغيب في الالتزام بكل مفرداتها، خاصة ما يتعلق منها بالجوانب الاجتماعية والأبعاد الحضارية -

---

١ - تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، للشيخ أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، من أعلام القرن الرابع: ص ٣٨.
٢ - غرر الحكم.
٣ - نفس المصدر.
٤ - تحف العقول: ٣٦٢.
٥ - غرر الحكم / ص ٢٧٩.
٦ - غرر الحكم / ص ٣٥٥.

التي عبر عنها الإسلام بحقوق الناس - لتحولت حالنا إلى أحسن الأحوال، وأصبح واقعنا
يتحرك من الجيد إلى الأجود في كل مجال.
ولقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) شاخصا له ثلاثة من أهم أعمدة الأخلاق الاجتماعية
في الإسلام، والتي إن تبناها الفرد المسلم، قام بنيان المجتمع على أسس سليمة في العلاقات بين أفراده، يقول (صلى الله عليه وآله وسلم): " يا علي.. ثلاث من مكارم الأخلاق، تصل من
قطعك، وتعطي من حرمك، تعفو عمن ظلمك " (١).
وعلى أساس هذه الوصايا الذهبية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، قام الإمام علي (عليه السلام) في التعامل مع
الذين اختلفوا معه وناوئوه في حقه ومكانته.
فلقد كافح الإمام علي (عليه السلام) لترشيد الخلافة من بعد رسول الله - قدر المستطاع - فلم يكن
يتردد في إسداء النصح للخلفاء الثلاثة، وهو في ذات الوقت يذكرهم بأخطائهم المهلكة ويؤكد على حقه في الخلافة كما أوصى به رسول الله، وأحاديث السيرة في ذلك متواترة
عن الصحابة من طرق المذاهب الإسلامية كلها (٢).
ولم يجانب الإمام (عليه السلام) تلك الأخلاق العظيمة حتى بعد أن انتخبه المسلمون خليفة لهم
بالطلب والإلحاح عليه ثم أوقعه أهل الدنيا منهم في حروب داخلية في واقعة جمل والصفين والنهروان، ولقد أكد التاريخ أنه (عليه السلام) مع ما كان عليه من مكانة عالية وقوة فائقة لم
يتوسل بالمكر والخدع السياسية والقمع الدموي في نفي المعارضة، بل رقى إلى أعلى درجات الأخلاق حتى أقر بذلك عدوه لاحقا
وكيف يكون خارجا عن هذه السمات الأخلاقية الرفيعة من هو ميزان الحق والمجسد للأخلاق الحقة، الذي كان متميزا عن غيره في كونه أول الناس إسلاما وإيمانا برسول الله،
لم يسجد للأصنام طرفة عين، ولد في الكعبة بيت الله، واستشهد في محراب صلاته، وبينهما أخلص وجوده كله لله، وهو صاحب الحكمة الحضارية الخالدة المنقذة للإنسانية
المعذبة: " لو كنا لا نرجو جنة، ولا نخشى نارا، ولا ثوابا ولا عقابا، لكان ينبغي لنا أن نطالب بمكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاح " (٣).

----

١ - تحف العقول / ص ٧.

٢ - راجع مثلا (الغدير) و (المراجعات) و (الحقيقة الضائعة) و (لقد شيعني الحسين) و (لماذا اخترت مذهب
أهل البيت) وكتب الدكتور التيجاني وغير ذلك بالآلاف من المصادر القديمة والجديدة.

٣ - رسالة الأخلاق / ص ٩٥ - نقلا عن كتاب آداب النفس / ج ١ - ص ٢٦.

حاجتنا إلى الأخلاق
هي حاجتنا إلى الحياة!
أو تدري لماذا؟
لأن الحياة المجردة عن أخلاقها الطيبة كآبة وضياع وحيرة، وكم أدت هذه الحالة الميتة
روحيا إلى الانتحار الجسمي، أليس لأنه لا فرق بينهما إذا غاب طعم الأخلاق الطيبة عن
الحياة؟
يشترك الإنسان مع البهائم في الأكل والشرب والنوم ولذة الجنس وأحيانا كثيرة في الشكل وأعضاء الجسم والمتطلبات المادية، ولكنه يفترق عنها في العلم والمعرفة والأخلاق والسلوك الإنساني إذا اكتسبه، وإلا بقي مشتركا معه في تلك الصفات البهيمية،
وكلما كان الإنسان أكثر عروجا وإقلاعا سماويا في فكره وفعله كلما صار أكثر ملائكيا
وسعادة في حياته وبعد مماته، وهنا هو ميدان سعيه المتواصل ومحك الاختبار له.
والعجب كل العجب، كيف يقبل الإنسان أن يتنفس الهواء ليعيش ولا يقبل أن يتحلى بالأخلاق ليسعد ويتهنأ من عيشه رغدا؟
حقا * (إنه كان ظلوما جهولا) * (١)
ولكن يمكنه الإنتشال من هذا الحضيض بالعروج على أجنحة الأخلاق إلى أسمى معاني السمو الإلهي. فعند ذلك يتصف بما وصفه الله ب (خليفته في الأرض) ألسنا نقرء في
الحديث الشريف: " تخلقوا بأخلاق الله ".
فما هي أخلاق الله تعالى؟
إنها العدل والإحسان، الصبر والرفق والصدق، العفو والعلم، الجود والكرم، الحب والأمانة، النظم والانضباط، الوفاء والاستقامة، التدبير والحكمة، مناصرة الحق والمؤمنين.
وليست أضداد هذه الصفات الحسنة إلا صفات أعداء الله، ويقف الشيطان في مقدمتهم داعيا إلى المزيد من طاعة النفس الأمارة بالسوء.

----

١ - سورة الأحزاب: الآية / ٧٢.

ومن المؤسف تخلق أكثر المسلمين بأخلاق أعدائهم، وكأنهم نسوا أن الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) حينما تحدث للناس عن دينه العظيم قال أول ما قال: " إنما بعثت
لأتمم مكارم الأخلاق " (١).
فجعل أحكام الدين لا تنفك عن روح الأخلاق والفضائل الإنسانية، فكل شعيرة من الشعائر التي ظهرت في التعاليم الإسلامية بدؤها الأخلاق وعمقها الأخلاق وغايتها الأخلاق. حتى لا يقبل الله من مسلم أن يأتي بحكم من الأحكام أو شعيرة من الشعائر لم
تكن الأخلاق بدؤها وعمقها وغايتها، والأخلاق بهذا المعنى الشامل هي عين التقوى.
والله عز وجل قال: * (إنما يتقبل الله من المتقين) * (٢).
ومن الأشد أسفا ودهشة إذا رأيت التجرد عن الأخلاق الرسالية العظيمة عند رجال يتسمون بالعلم أو يعملون في مجال الدعوة الإسلامية. يا لها من إشكالية قاصمة لظهر العلم والدعوة معا.
ولا أدري كيف أعبر عن هذه الإشكالية في بعض المحسوبين على خط الحسين (عليه السلام)!
فقد تناقضوا بين الهدف والوسيلة، وخلطوا بين الفضيلة والرذيلة، وجاؤا بصورة ممسوخة ومنبوذة عن الإمام الحسين (عليه السلام).
كيف يدعون حب الحسين وإحياء شعائره وهم لا يلتزمون بأخلاق الحسين (عليه السلام) مع
أبناء مذهبهم والحاملين ذات الحب والشعائر؟!
أليس في هذا التناقض سر يتصل بغياب الأخلاق الحسينية عن فكرهم وسلوكهم؟
وهذا ما يكشف عن حاجتنا إلى أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام). ومن أجل ذلك حاولنا
تجميع أكبر قدر ممكن من مواقفه الأخلاقية (عليه السلام)، كي لا يبقى أحد من المحسوبين عليه (عليه السلام)
معذورا إذا إنسلخ عن تلك الأخلاق الكريمة وخاصة في المجابهات الداخلية.
فليعلم (الثوريون) أن الثورية لا تبرر تهميش الأخلاق الحسينية لا في حالات الشدة ولا في غيرها.
وكذلك ليعلم (المجاهدون) أن الجهاد أولا هو جهاد النفس فإن قدروا عليها فهم على

---

١ - المحجة البيضاء / ج ٥ ص ٨٩.
٢ - سورة المائدة: الآية / ٢٧.

أعدائهم أقدر، وإلا فلا يهلكوا أنفسهم ومن يتبعهم، وفوق ذلك يشوهوا صورة الحسين المشرقة في سماء الأخلاق وشموخ مكارمها.
فكم من خسائر حلت بشيعة أهل البيت (عليهم السلام) وكان سببها تلك الإفراطيات التي لم
تلجم بأخلاق أهل البيت (عليهم السلام).
وكم من أضرار داهمت حياة المسلمين وتداهمهم اليوم وربما غدا لذات السبب أيضا.
فهذا الكتاب دعوة إلى التلمذ في مدرسة الأخلاق الحسينية نظرا للحاجة المستمرة إليها في كل جيل.

كارثة ذهاب الأخلاق

منذ عقد من الزمان دخلت حياة الشعوب (المسلمة خاصة) في العنف والإرهاب والحروب والدمار والانفجارات والإغتيالات الدموية، فكانت واحدة من حصادها سوء الخلق والعصبيات (الهستيرية) وأمراض الأعصاب وجنون الغضب المنتشر في المجتمعات والأسر وبين مختلف الأفراد وحتى الأطفال الشرسين.
من يا ترى هو المسؤول عن هذه الحياة التعيسة والأمراض النفسية لملايين البشر المستضعفين والمسلمين؟
هل الدول الاستعمارية العظمى التي لها مصالح إستراتيجية كبرى في البلدان المستفقرة وبلاد المسلمين خاصة، والتي بأياديها الخفية تهندس للخلافات السياسية والحدودية لتبيع أسلحتها الفتاكة بين أطراف النزاع، وتفعل شركاتها التجارية ومشاريعها
الاقتصادية بعد الحروب؟
أم المسؤول هو تخلف المسلمين وقلة وعيهم في البصائر القرآنية والمجالات الإنسانية؟
أم الجماعات الإسلامية المتناحرة وأحزابها وعلمائها (المغفلين)؟
أم الحكام والرؤساء ورجال السياسة والإعلام والصحافة؟
لست بصدد الإجابة على هذا السؤال وتعيين الطرف المسؤول عما آلت إليه حالة

الناس الأخلاقية، والتي حتى عقلاء الغرب (والبابا في الفاتيكان) غدو يستغيثون ويستنهضون العالم للعودة إلى الفطرة والأخلاق والنزاهة والإيمان بالله.
أقول.. لا أريد أن أجيب عن السؤال المذكور، وإنما مهدت به لأكشف عن أهمية البحث الأخلاقي والاتجاه العملي في الإصلاح وتهذيب النفس وتربيتها وتزكيتها، وأقوال أيها الإنسان – من أي قوم وبلد ودين ومذهب وجماعة كنت – تعال إلى ضرورة
الإنقاذ والحركة في الطريق المعاكس للعنف والإرهاب والعصبية والعيش المتوتر. كفى منه ما أحرق الحرث والنسل خلال الأعوام الثلاثين المنصرمة، وإذا كان يوما مطلوبا في الرد على المعتدين الظلمة فإنه اليوم قد خرج – وبإيحاءاتهم السرية – عن حده وانتقل إلى
صفوف المظلومين أنفسهم، وهذا مؤشر خطير يستدعي الانتباه واليقظة ومراجعة الحسابات الشرعية والأخلاقية. فليقف كل حريص على دينه وآخرته وقيمه الإنسانية والوطنية الشريفة، ليتأمل فيما بقي من حياته، لينظر إلى مصالح ذريته وأجياله المرضية عند الله.
فإلى متى الأفكار الهدامة والتصريحات المثيرة للنزاع والعداوات؟
وإلى متى الخلافات الجاهلية؟
وإلى متى عدم القراءة في الحقائق المعنوية؟
وإلى متى اللهف وراء الفساد والماديات و (الموضات) الغربية؟
فليعلن الجميع وقف إطلاق نار الخلافات والجهل والفساد، ولينظر إلى القيم الإنسانية.. إلى الأخلاق الكريمة.. إلى الفطرة النقية.. إلى الرقابة السماوية.. إلى الجنة الباقية
بنعيمها الأبدية.
ثم نبذل كل الجهد لتوجيه الأبناء والجيل الجديد نحو القيم والأخلاق والفطرة والإيمان بالله وباليوم الآخر. نعلمهم روح الدين ومعاني آيات القرآن العظيم وسيرة القادة
الربانيين، لا القشور والمسوح والظواهر. فالصلاة مثلا أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وإلا فهي مجرد طقوس فارغة. والصيام مثلا أن تؤدي بصاحبها إلى عيد التقوى،
وإلا فهي مجرد ممارسة عادة بلا غاية.
فالهدف المنظور من العبادات هو مطلوبها العملي وليست الوسائل بحد ذاتها. وهذا

تجده في كلمة الإمام الصادق (عليه السلام): " لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما
لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة " (١).
إن (صدق الحديث) و (أداء الأمانة) وهما مفردتان من الأخلاق الإسلامية تحتويان مصاديق عملية كثيرة في الحياة والعلاقات الاجتماعية والأسرية والتجارية وغيرها. إلا أنهما لا تراعيان في سلوك أكثر المصلين والصائمين!
أليس هذا التفريغ للدين يدعونا إلى الحذر من الاستمرار فيه قبل الوقوع في حفرة القبر ووحشة ظلمته وسؤال المنكر والنكير والعذاب العسير الممتد إلى يوم الحشر والى النار الكبرى؟
فلماذا لا يقف الإنسان ليتأمل عاقبته قبل حلول الندم؟
ولماذا الغفلة عن الحل المنقذ لفرص حياتنا؟
طريق الحل والتغيير
ما أجمل ما كتبه العلامة السيد مهدي الصدر في الجواب على السؤال المذكور قائلا:
سوء الخلق، هو انحراف نفساني، يسبب انقباض الإنسان وغلظته وشراسته، نقيض حسن الخلق.
من الثابت أن لسوء الخلق آثارا سيئة، ونتائج خطيرة في تشويه المتصف به، وحط كرامته، ما يجعله عرضة للمقت والازدراء، وهدفا للنقد والذم.
وربما تفاقمت أعراضه ومضاعفاته، فيكون حينذاك سببا لمختلف المآسي والأزمات الجسمية والنفسية المادية والروحية.
وحسبك في خسة هذا الخلق وسوء آثاره، أن الله تعالى خاطب سيد رسله، وخاتم أنبيائه، وهو المثل الأعلى في جميع الفضائل والمكرمات قائلا: * (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) *.

---

١ - أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) / ص ٢٣ نقلا عن أصول الكافي

من أجل ذلك فقد تساند العقل والنقل على ذمه والتحذير منه، وإليك طرفا من ذلك:
قال النبي (صلى الله عليه وآله): " عليكم بحسن الخلق، فان حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم
وسوء الخلق، فان سوء الخلق في النار لا محالة " (١).
وقال الصادق (عليه السلام): " إن شئت أن تكرم فلن، وإن شئت أن تهان فاخشن " (٢).
وقال الصادق (عليه السلام): " إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل " (٣).
وقال (عليه السلام): " من ساء خلقه عذب نفسه " (٤).
هذا وكما تمرض الأجساد وتعروها أعراض المرض من شحوب وهزال وضعف، كذلك تمرض الأخلاق، وتبدو عليها سمات الاعتلال ومضاعفاته في صور من الهزال الخلقي، والانهيار النفسي، على اختلاف في أبعاد المرض ودرجات أعراضه الطارئة على
الأجسام والأخلاق.
وكما تعالج الأجسام المريضة، وتسترد صحتها ونشاطها، كذلك تعالج الأخلاق المريضة وتستأنف اعتدالها واستقامتها، متفاوتة في ذلك حسب أعراضها، وطباع ذويها،
كالأجسام سواء بسواء.
ولولا إمكان معالجة الأخلاق وتقويمها، لحبطت جهود الأنبياء في تهذيب الناس، وتوجيههم وجهة الخير والصلاح، وغدا البشر من جراء ذلك كالحيوان وأخس قيمة، وأسوأ حالا منه، حيث أمكن ترويضه، وتطوير أخلاقه، فالفرس الجموح يغدو بالترويض سلس المقاد، والبهائم الوحشية تعود داجنة أليفة.
فكيف لا يجدي ذلك في تهذيب الانسان، وتقويم أخلاقه، وهو أشرف الخلق، وأسماهم كفاءة وعقلا؟؟
من أجل ذلك فقد تمرض أخلاق الوادع الخلوق، ويغدو عبوسا شرسا منحرفا عن مثاليته الخلقية، لحدوث إحدى الأسباب التالية:
١ - الوهن والضعف الناجمان عن مرض الانسان واعتلال صحته، أو طروء أعراض

---

١ - عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق (ره).
٢ - تحف العقول.
٣ - نفس المصدر السابق.
٤ - نفس المصدر السابق.

الهرم والشيخوخة عليه، مما يجعله مرهف الأعصاب عاجزا عن التصبر، واحتمال مؤون
الناس ومداراتهم.
٢ - الهموم، فإنها تذهل اللبيب الخلوق، وتحرفه عن أخلاقه الكريمة، وطبعه الوادع.
٣ - الفقر، فإنه قد يسبب تجهم الفقير وغلظته، أنفة من هوان الفقر وألم الحرمان، أو
حزنا على زوال نعمته السالفة، وفقد غناه.
٤ - الغنى، فكثيرا ما يجمح بصاحبه نحو الزهو والتيه والكبر والطغيان، كما قال
الشاعر:
لقد كشف الإثراء عنك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر
٥ - المنصب، فقد يحدث تنمرا في الخلق، وتطاولا على الناس، منبعثا عن ضعة
النفس وضعفها، أو لؤم الطبع وخسته.
٦ - العزلة والتزمت، فإنه قد يسبب شعورا بالخيبة والهوان، مما يجعل المعزول
عبوسا متجهما.
وحيث كان سوء الخلق من أسوأ الخصال وأخس الصفات، فجدير بمن يرغب في
تهذيب نفسه، وتطهير أخلاقه من هذا الخلق الذميم، أن يتبع النصائح التالية:
١ - أن يتذكر مساوئ سوء الخلق وأضراره الفادحة، وأنه باعث على سخط الله
تعالى،
وازدراء الناس ونفرتهم.
٢ - أن يستعرض فضائل حسن الخلق، ومآثره الجليلة، وما ورد في مدحه، والحث
عليه، من آثار أهل البيت (عليهم السلام).
٣ - التريض على ضبط الأعصاب، وقمع نزوات الخلق السئ وبوادره، وذلك
بالتريث في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل، مستهديا بقول الرسول الأعظم (صلى
الله عليه وآله): " أفضل
الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه ".
وعن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: " قال أمير
المؤمنين (عليه السلام): إن
رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث سرية، فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد
الأصغر، وبقي
عليهم الجهاد الأكبر.

قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس " (١).
وما أحلى قول الشاعر هذا:
إذا المرء أعطى نفسه كل شهوة * ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
يتبع تلك النصائح من اعتلت أخلاقه ومرضت بدوافع نفسية أو خلقية. أما من ساء خلقه بأسباب مرضية جسمية، فعلاجه بالوسائل الطبية، وتقوية الصحة العامة، وتوفير دواعي الراحة والطمأنينة، وهدوء الأعصاب (٢)
الهوى آفة الأخلاق
ولا يختلف المحللون للظواهر الاجتماعية السيئة والمسلكيات الفردية الشاذة في أن (الهوى) الجماعي والفردي هو المصدر الأول للفساد والمحن والفتن المضلة كلها، إن رصد حالات المفسدين في الأرض ودراسة الأسباب الكامنة خلف أنواع المحن التي كبلت حياة الناس وحولتها إلى جحيم لا يطاق يهدينا إلى فهم هذه الحقيقة وقد صرح بها
أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضا في كلمته الهادية: " الهوى أس المحن " (٣). وفي الكلمتين
التاليتين عنه (عليه السلام): " لا دين مع هوى " و " لا عقل مع هوى " (٤).
وكما ذكرنا إن الدين عامل خارجي والعقل عامل داخلي، هما قوتان محوريتان في حركة الإنسان نحو الصحيح في كل شئ. لتستيقن بصحة هذا المفهوم تأمل ماذا يحدث
لو تعطلتا عند إنسان ما؟ وقد تعطلتا بالفعل في كل عصر فحدثت إثر ذلك الكوارث والدمار والظلم وسفك الدماء البريئة! وكان قد حذر أمير المؤمنين (عليه السلام) من اتباع الهوى
لأنه يعطل في الإنسان حركة العقل وحركته إلى الدين، قال (عليه السلام): " أيها الناس إن أخوف ما
أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الأمل فينسي الآخرة " (٥).

---

١ - معاني الأخبار وأمالي الصدوق.
٢ - أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) / ص ١٩ - ٢٢ مع بعض التصرف في الألفاظ.
٣ - فهرست غرر الحكم / ص ٤٢٥ - رقم الحكمة (١٠٤٨).
٤ - نفس المصدر / رقم الحكمة (١٠٥٣١) و (١٠٥٤١) بالترتيب.
٥ - نهج البلاغة (بقلم فيض الإسلام) خطبة رقم (٤٢).

وقال أيضا: " إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع " (١).
ولكن الحقيقة الأمر من المر هي أن البشر لازال لم يتعظ من ويلاته، فها هو عاكف بشدة وإصرار غريب على أهوائه. والأغرب في ذلك اتباع المسلم للهوى.
يقول النبي (صلى الله عليه وآله): " ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من
هوى متبع " (٢).
يزعم عباد الهوى أنهم أحرار من قيود الالتزامات العبادية والمبادئ الأخلاقية حسب ما تروج له المدرسة الإنحلالية في الغرب وتسوقها في بلاد المسلمين عبر ما أوتيت من قوة إعلامية متنوعة الوسائل والتقنية المغرية. ولكن وقفة تأملية في جوهرة الحرية تهدينا إلى أنها لا تكون إلا في العبودية لله الحق المبين، وليس الهوى إلا عبودية للشهوات المادية
الزائلة، إذ يردف هذه العبودية على المستوى الفردي فراغ روحي وضياع سلوكي وتذبذب فكري واضطراب نفسي، ويردفها على المستوى العائلي نشوب خلافات ومشاجرات وبرود العلاقات الزوجية والتفكك الأسري، وعلى المستوى الاجتماعي يسبب مصادمات وجرائم القتل والسرقة، وعلى المستوى السياسي يؤدي إلى حروب ودمار للاقتصاد والأرواح والأعصاب...
بينما هذا ما لم يحدث في ظل العبودية لله القائل في قرآنه العظيم: * (ولو أن أهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) * (٣).
إذن.. لا يمكن للأخلاق الكريمة أن تعيش مع صاحبها إلا على قاعدة نفي الهوى. فإذا علمت ذلك فاستعد عمليا لنفيه عن نفسك وأنت تتذكر دائما في قوله تعالى: * (ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " (٤).
انظر إلى العلاقة بين " اتباع الهوى " و " حلول الضلال " و " الوقوع في العذاب " انها

---

١ - نفس المصدر / خطبة رقم (٥٠).
٢ - تفسير الميزان / ج ١٥ / ص ٢٣٧.
٣ - سورة الأعراف: الآية / ٩٦.
٤ - سورة ص: الآية ٢٦

علاقة ملازمة قد أفرزها " نسيان الحساب " الذي نصبه رب العباد لكل من اتبع هواه فارتكب ما يشتهيه من الفساد والحرام.
وتضمنت كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا التفسير للآية عندما قال: " والشقي من إنخدع
لهواه وغروره " (١).
كيف تتجنب الهوى
إن الأخلاق الإسلامية - سواءا بمفهومها العام الذي يشمل العقائد والأحكام، أو بمفهومها الخاص الذي يعرفه كل إنسان بفطرته النقية - ضمانة علاجية أكيدة ومناعة وقائية قوية في منع الهوى عن التأثير على من يتترس بهما.
وتتحقق هذه الضمانة والمناعة من خلال المرتكزات الأربعة التالية:
١ - أن يعرف الإنسان قيمة نفسه، فإن الوجود إذا غلى عند صاحبه عرف كيف يتصرف
مع الغالي وأين يضعه.
قال تعالى: * (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) * (٢).
ويقول الإمام علي (عليه السلام): " من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة وخبط في الضلال
والجهالات " (٣).
٢ - أن يستأنس عمليا بذكر الله ويلهج لسانه بالتسبيح والاستغفار ويكون واعيا لأبعاد ذلك.
قال الله تعالى: * (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) * (٤).
وما أروع ما قاله الإمام علي (عليه السلام) بهذه المناسبة: " إن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر
جلاء للقلوب " (٥).

---

١ - نهج البلاغة (بقلم صبحي صالح) خطبة رقم (٨٦).
٢ - سورة المؤمنون: الآية ١١٥.
٣ - (بالفارسية) فهرست موضوعي غرر / ص ٣٨٧.
٤ - سورة آل عمران: الآية ١٩١.
٥ - نهج البلاغة (بقلم صبحي صالح) الخطبة رقم (١١٠).

ويصف الأمام (عليه السلام) أهل الذكر: " وان للذكر لأهلا أخذوه من الدنيا بدلا فلم تشغلهم
تجارة ولا بيع عنه... " (١).
ورسول الله (صلى الله عليه وآله) أبان حال الذاكرين هكذا: " إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل
جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاءا للثواب " (٢).
ويبين الإمام الصادق (عليه السلام) الآثار العملية لأخلاق الذاكرين المحبين: " حب الله إذا أضاء
على سر عبد أخلاه عن كل شاغل، وكل ذكر سوى الله تعالى ظلمة، والمحب أخلص الناس سرا لله تعالى، وأصدقهم قولا، وأوفاهم عهدا، وأزكاهم عملا، وأصفاهم ذكرا، وأعبدهم نفسا، يتباهى الملائكة به عند مناجاته ويفخر برؤيته، وبه يعمر الله بلاده، وبكرامته يكرم عباده، يعطيهم إذا سألوا بحقه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، فلو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا إلى الله تعالى إلا بتراب قدميه " (٣).
٣ - أن يرسل الإنسان نظره إلى الآخرة، ويراقب ما يقطع عليه طريقه إلى الجنة.
قال الله تعالى: * (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) * (٤).
فالذي تكبر في نفسه آخرته تصغر في عينه الدنيا فلا يقرب ما يهدد سعادته الأبدية.
وكيف لا يكون كذلك وهو قد وضع في ذاكرته تحذير أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يصف يوم
القيامة قائلا: " عباد الله إحذروا يوما تفحص فيه الأعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الأطفال، إعلموا عباد الله إن عليكم رصدا من أنفسكم، وعيونا من جوارحكم، وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج، ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج، وإن غدا من اليوم قريب... " (٥).

---

١ - نفس المصدر خطبة رقم (٢٢٢).
٢ - بالفارسية (أخلاق عملي) ص ٦٨ / للشيخ مهدوي كنى.
٣ - مصباح الشريعة / باب ٩٦.
٤ - سورة القصص: الآية ٨٣.
٥ - نهج البلاغة (بقلم فيض الإسلام) خطبة رقم ١٥٦.

٤ - أن نصغي إلى أحاديث قادتنا المعصومين (عليهم السلام) حول الأخلاق، والتطبيقية منها
خاصة، فقد قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في الحث على ذلك وزرع الحوافز الأخلاقية: " الإسلام
حسن الخلق " (١). وقال: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا " (٢). وقال: " ان صاحب
الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم " (٣). وقال: " ما من شئ في الميزان أثقل من حسن الخلق " (٤). وقال: " أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم خلقا وخيركم لأهله " (٥). وقال: " خياركم أحسنكم أخلاقا الذين يألفون ويؤلفون " (٦).
وعن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: " عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه " (٧).
ونقل (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: " لو علم الرجل ماله في حسن الخلق لعلم انه لمحتاج
إلى حسن الخلق، فإن حسن الخلق يذيب الذنوب كما يذيب الماء الملح " (٨).
وجاء عن الإمام علي (عليه السلام): " الذكر الجميل أحد الحياتين. الذكر الجميل أحد العمرين " (٩).
وجاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): " إن البر وحسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان في
الأعمار " (١٠).
وقال أيضا: " إعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني، إلا بصدق الإنابة إلى الله، والإخبات له، ومعرفة عيوب أحوالك، من حيث يوافق العقل والعلم، ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة، وأئمة الهدى، وإن كنت راضيا بما أنت فيه، فما أحد أشقى بعملك منك، وأضيع عمرا، فأورثت حسرة يوم القيامة " (١١).
فلعمري إذا وعى قلب إنسان هذه المرتكزات الأربع وما يتفرع منها فمشى على هداها

---

١ - ميزان الحكمة / ج ٣ ص ١٣٧.
٢ - نفس المصدر / ص ١٤٢.
٣ - المحجة البيضاء / ج ٣ ص ٢٩٠.
٤ - تفسير نور الثقلين / ج ٥ ص ٣٩٢.
٥ - بحار الأنوار / ج ٧١ ص ٣٨٧.
٦ - مستدرك الوسائل / ج ٢ ص ٨٣.
٧ - جامع الأخبار / ص ٢٩١.
٨ - المصدر / ص ٢٩٠.
٩ - غرر الحكم.
١٠ - بحار الأنوار ١: ٣٩٥.

١١ – جامع السعادات: ج ٣ ص ٣٢.

فهل يسئ في أخلاقه مع أطفاله وزوجته وأهله والناس في المجتمع؟
أبدا لا يفعلها، وإذا فعلها سرعان ما يتذكر مرتكزاته فيحسن أخلاقه، وإذا به يعود إلى رشده ويستلذ من وعيه شاكرا نعمة ربه.
وكم أحسن إلينا أئمتنا الأطهار (عليهم السلام) إذ وضحوا لنا كل ما يصلحنا ويثبت أقدامنا في
سبيل نجاتنا من الخسران الحقيقي.
فهذا إمامنا الصادق (عليه السلام) كتب رسالة إلى أحد شيعته لتصل إلى كل شيعي إلى يوم القيامة،
قائلا: " إن أردت أن يختم بخير عملك حتى تقبض - أي ترحل من هذه الدنيا - وأنت في
أفضل الأعمال فعظم لله حقه أن تبذل نعمائه في معاصيه وأن تغتر بحلمه عنك " (١).
فلنستحضر إذن وعلى طول الخط: " قيمتنا في الحياة " و " ذكرنا لله العظيم " و " آخرتنا
التي لابد منها " و " الأخلاق التطبيقية " هكذا نتجنب الهوى في سلوكنا الفردي والأسري
والاجتماعي. هنالك - وبعون الله عز وجل - نعيش عيش السعداء ونموت موت النبلاء.
واجبنا في سفينة الحسين (عليه السلام)
تبحر سفينة الإنسان في الحياة من الولادة إلى الوفاة تبعا لسفن الذين يتأثر بهم الانسان، ومن الواضح أنه ليست كل سفينة توصل ركابها إلى ساحل الأمان والنجاة، فما هي تلك
السفينة الموصلة التي يجب ركوبها لغرض النجاة؟
في الحديث النبوي الشريف: " إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة ".
ولكن: كيف يكون الحسين سفينة نجاة نركبها إلى الجنة؟
إنما باتباع الأخلاق الرسالية التي التزم بما في جميع مراحل حياته الرشيدة. والحسين هكذا كان لأن الله جعله كذلك لما رأى فيه (الصبر) و (اليقين). قال الله تعالى: * (وجعلنا منهم
أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) * (٢).
عن موسى بن جعفر، عن أبيه (عليهم السلام) قال: " جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين علي بن

---

١ - بحار الأنوار / ج ٧٠ ص ٣٥١.
٢ - سورة السجدة: الآية ٢٤.

أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وأغلق عليه وعليهم الباب، وقال: يا أهلي
وأهل الله! إن الله عز وجل يقرأ عليكم السلام، وهذا جبرئيل معكم في البيت، يقول: إني قد جعلت عدوكم لكم فتنة، فما تقولون؟
قالوا: نصبر يا رسول الله لأمر الله، وما نزل من قضائه حتى نقدم على الله عز وجل ونستكمل جزيل ثوابه، فقد سمعناه يعد الصابرين الخير كله.
فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى سمع نحيبه من خارج البيت، فنزلت هذه الآية: * (وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) * (١) إنهم سيصبرون، أي سيصبرون كما قالوا صلوات الله عليهم ". (٢)
ومن أجل ذلك لقد أمرنا الله سبحانه قائلا: * (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) * (٣).
فالواجب هو الاقتداء بمن هداهم الله. وهذا ما عناه الإمام علي (عليه السلام) حينما خاطب ولده
الحسين بأرق كلمة وأهدئها لطافة وأدبا وحنانا حيث قال: " يا أبا عبد الله أسوة أنت قدما " (٤).
ومن هنا قد ركب سفينة الحسين كل الذين قصدوا الدرجات الرفيعة في الجنة، ولقد دعاهم الحسين إلى ركوبها بسم الله مرعاها ومرساها، أليس جده محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)
قال فيه إنه سفينة النجاة؟ فهنيئا لمن وصل إلى مغزى الكلمة وركب السفينة قاصدا بيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين في الجنة عند مليك مقتدر.
أنظر أيها القارئ إلى نموذج من تبادل الدعوة والاستجابة بين القائد والمقود.. بين الإمام والمأموم، ثم تأمل في موضع قدمك وأنك أين تقف من الحقيقة الناجية، كتب الحسين (عليه السلام) إلى أشراف البصرة ووجهائها: " بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن
علي إلى أشراف البصرة ووجوهها. إني أدعوكم إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه، وان السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت، فإن تجيبوا دعوتي وتطيعوا أمري أهدكم إلى سبيل الرشاد، والسلام ".

---

١ - سورة الفرقان: الآية / ٢٠.
٢ - بحار الأنوار ٢٤: ٢١٩ حديث ١٦، تفسير البرهان ٣: ١٥٨.
٣ - سورة الأنعام: الآية ٩٠.
٤ - كامل الزيارات: ص ٧٢.

فلما بلغ الكتاب إليهم جمع يزيد بن مسعود النهشلي من تميم وبني قحطبة وبني
سعد، وخطب فيهم ووعظهم، كان من خطبته لهم: هذا الحسين بن علي (عليه السلام)
ابن رسول
الله (صلى الله عليه وآله) ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم
لا ينزف، وهو أولى
بهذا الأمر، لسابقته وسنه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير، ويحسن إلى الكبير،
فأكرم
به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فقد تحملتم ذنوبا
يوم
الجمل فاغسلوها بنصرة ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله).
فأجابوه وعزموا على الخروج إليه، فلما تجهز - أي قائدهم - للمسير بلغه قتله (عليه
السلام) قبل
أن يسير (١).
أجل - لا أدري أيها القارئ - إن شئت شرق أو غرب، فإنك لن تجد سفينة تبحر بك
إلى
السعادة الدائمة غير سفينة الحسين وجده وأبيه وأمه وأخيه والتسعة المعصومين من
بنيه (عليهم السلام)، وقد صنعها الله لهداية الإنسان إلى الغاية القصوى من خلقته.
هذا وإن كانت سفينة الحسين (عليه السلام) ذات خصائص الإضاءة والانشداد والإثارة
والانطلاق والاستقامة والانتصار حتى جاء في الحديث عن المعصومين (عليهم السلام)
أنفسهم
" كلنا أبواب النجاة وباب الحسين أوسع، وكلنا سفن النجاة وسفينة الحسين
أسرع " (٢).
قال رجل للحسين بن علي (عليهما السلام): يا بن رسول الله! أنا من شيعتكم.
قال (عليه السلام): " اتق الله ولا تدعين شيئا يقول الله لك كذبت وفجرت في دعواك،
إن
شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش وغل ودغل، ولكن قل أنا من مواليكم ومن
محبيكم ". (٣)
فيا أيها الشيعي طالع نفسك هل أنت شيعي بهذه الصفات أم...؟
فإذا كنت كذلك فلك من الحسين (عليه السلام) هذا الدعاء: " اللهم اجعل الجنة لنا
ولأشياعنا

----
١ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٥٧.
٢ - الإمام الحسين (عليه السلام): ص ١٩٧ - تأليف آية الله السيد محمد تقي المدرسي.

٣ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٠٩ حديث ١٥٤، تفسير البرهان ٤: ٢٢، بحار الأنوار ٦٨: ١٥٦
قطعة من حديث ١١.

منزلا كريما إنك على كل شئ قدير ". (١) واقرء الحديث التالي لتكشف نفسك من أنت،
عن أبي بصير، عن أبي عبد الله - الصادق - (عليه السلام): " إن حبابة الوالبية - امرأة من الشيعة
الحقيقيين - كانت إذا وفد الناس إلى معاوية وفدت هي إلى الحسين (عليه السلام)، وكانت امرأة
شديدة الاجتهاد، وقد يبس جلدها على بطنها من العبادة، وإنها خرجت مرة ومعها
ابن عم لها غلام، فدخلت به على الحسين (عليه السلام) فقالت له: جعلت فداك فانظر هل تجد ابن
عمي هذا فيما عندكم - أي من قائمة الشيعة الحقيقيين - وهل تجده ناج؟
قال: فقال (عليه السلام): " نعم نجده عندنا ونجده ناج ". (٢)
وذكر أبان بن تغلب قال الإمام الشهيد الحسين (عليه السلام): " من أحبنا كان منا أهل البيت،
فقلت: منكم أهل البيت؟ فقال: منا أهل البيت. حتى قالها ثلاثا. ثم قال (عليه السلام): أما سمعت
قول العبد الصالح فمن تبعني فإنه مني " (٣).
نعم.. إن التشيع للحسين يعني مشايعته في أخلاقه وأهدافه، ولا يكفي مجرد الحب في القلب مالم يتبعه عمل يحبه المحبوب. فهذا هو الواجب الديني الذي نبهنا إليه الإمام الباقر (عليه السلام) حيث قال: " وهل الدين إلا الحب؟! إن الله يقول: * (قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله) * " (٤).
من كلمات الحسين (عليه السلام) في الأخلاق
قال (عليه السلام): " إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وكان فيما أوصى به أن قال له: يا علي من حفظ من أمتي أربعين حديثا يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله أخبرني ما هذه
الأحاديث؟ فقال: أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتعبده ولا تعبد غيره، وتقيم

---

١ - ينابيع المودة: ٤٠٥.
٢ - بصائر الدرجات: ١٧١، بحار الأنوار ٢٦: ١٢٢ حديث ١٣ وفيه ناجيا.
٣ - فلسفة الأخلاق الإسلامية: ص ٢٧٢.

٤ – تفسير العياشي – في ظل الآية الشريفة ٣١ من سورة آل عمران.

الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها ولا تؤخرها فإن في تأخيرها من غير علة غضب الله عز وجل، وتؤدي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعا، وأن لا تعق والديك، ولا تأكل مال اليتيم ظلما، ولا تأكل الربا، ولا تشرب الخمر ولا شيئا من الأشربة المسكرة، ولا تزني ولا تلوط، ولا تمشي بالنميمة، ولا تحلف بالله كاذبا، ولا تسرق، ولا تشهد شهادة الزور لأحد قريبا كان أو بعيدا، وأن تقبل الحق ممن جاء به صغيرا كان أو كبيرا، وأن لا تركن إلى ظالم وإن كان حميما

قريبا، وأن لا تعمل بالهوى، ولا تقذف المحصنة، ولا ترائي فإن أيسر الرياء شرك بالله عز وجل، وأن لا تقول لقصير: يا قصير، ولا لطويل: يا طويل، تريد بذلك عيبه، وأن لا تسخر من أحد من خلق الله، وأن تصبر على البلاء والمصيبة، وأن تشكر نعم الله التي أنعم بها عليك، وأن لا تأمن عقاب الله على ذنب تصيبه، وأن لا تقنط من رحمة الله، وأن تتوب إلى الله عز وجل من ذنوبك فإن التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له،

وأن لا تصر على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله وآياته ورسله، وأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن لا تطلب سخط الخالق برضى المخلوق، وأن لا تؤثر الدنيا على الآخرة، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية، وأن لا تبخل على إخوانك بما تقدر عليه، وأن تكون سريرتك كعلانيتك، وأن لا تكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة، فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين، وأن لا تكذب ولا تخالط الكذابين، وأن لا تغضب إذا سمعت حقا، وأن تؤدب نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة، وأن تعمل بما علمت، ولا تعاملن أحدا من خلق الله عز وجل إلا بالحق، وأن تكون سهلا للقريب والبعيد، وأن لا تكون جبارا عنيدا، وأن تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنة والنار، وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه، وأن تستغنم البر والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات، وأن تنظر إلى كل ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين، وأن لا تمل من فعل الخير، ولا تثقل على أحد إذا أنعمت عليه، وأن تكون الدنيا عندك سجنا حتى يجعل الله لك جنة.

فهذه أربعون حديثا من استقام عليها وحفظها عني من أمتي دخل الجنة برحمة الله،

وكان من أفضل الناس وأحبهم إلى الله عز وجل بعد النبيين والصديقين، وحشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا " (١).
ومن روائع قصار الجمل التي قالها (عليه السلام) في المعاني الأخلاقية أيضا قوله:
" الصدق عز، والكذب عجز، والسر أمانة، والجوار قرابة، والمعونة صداقة، والعمل تجربة، والخلق الحسن عبادة، والصمت زين، والشح فقر، والسخاء غنى، والرفق لب ". (٢)
ومن خطبه (عليه السلام): " ان الحلم زينة، والوفاء مروءة، والصلة نعمة، والاستكبار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسق ريبة ". (٣)
وقال أيضا: " العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل، والشرف التقوى، والقنوع راحة الأبدان، ومن أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك ". (٤)
وقال (عليه السلام): " لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعرض لما لا تدرك، ولا تعتد بما لا تقدر
عليه، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلا " (٥).
وقال أيضا: " خمس من لم تكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع: العقل، والدين، والأدب، والحياء، وحسن الخلق ". (٦)
وقال الحسين (عليه السلام) أيضا يعضنا في بناء الأساس الاعتقادي للعمل الأخلاقي: " يا ابن آدم
تفكر وقل أين ملوك الدنيا وأربابها الذين عمروا واحتفروا أنهارها وغرسوا أشجارها ومدنوا مدائنها. فارقوها وهم كارهون، وورثها قوم آخرون، ونحن بهم عما قليل لاحقون، يا ابن آدم أذكر مصرعك، وفي قبرك مضجعك، وموقفك بين يدي الله تشهد

---

١ - موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) / ص ٨٣ - نقلا عن موسوعة بحار الأنوار / ج ٢: ١٥٦.
٢ - تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٤٦.
٣ - كشف الغمة ٢: ٥٣٠ الفصول المهمة ١٦٩، نور الابصار: ١٣٨، معالى السبطين ١: ٢٥١.
٤ - اعلام الدين: ٢٩٨، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٨٨ وفيه ذرأ الله العلم، بحار الأنوار ٧٨: ١٢٨ حديث ١١ وفيه " دراسة العلم... ".
٥ - أسرار الحكماء: ٩٠، أعيان الشيعة ١: ٦٢١.
٦ - حياة الإمام الحسين عليه السلام ١: ١٨١ نقلا عن ريحانة الرسول: ٥٥.

جوارحك عليك، يوم تزل فيه الأقدام، وتبلغ القلوب الحناجر، وتبيض وجوه وتسود وجوه، وتبدو السرائر، ويوضع الميزان القسط، يا ابن آدم أذكر مصارع آبائك وأبنائك كيف كانوا وحيث حلوا، وكأنك عن قليل قد حللت محلهم وصرت عبرة للمعتبر ".
وأنشد شعرا:
أين الملوك التي عن حفظها غفلت * حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
تلك المدائن في الآفاق خالية * عادت خرابا وذاق الموت بانيها
أموالنا لذوي الوراث نجمعها * ودورنا لخراب الدهر نبنيها (١)
وكذلك ورد عنه (عليه السلام) أنه قال: " وجد لوح تحت حائط مدينة من المدائن مكتوب فيه:
أنا الله لا إله إلا أنا، ومحمد نبي، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟ وعجبت لمن اختبر الدنيا كيف يطمئن إليها؟ وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يذنب " (٢).
ومن كلامه (عليه السلام) إذا رأى القبور: " فما أحسن ظواهرها وانما الدواهي في بطونها فالله
فالله عباد الله لا تشتغلوا بالدنيا فان القبر بيت العمل، فاعملوا ولا تغفلوا ".
ثم أنشد (عليه السلام):
يا من بدنياه اشتغل * وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة * والقبر صندوق العمل (٣)
ويعرفك على بعض المعاني الأخلاقية كما قد مثلها في سلوكه الشريف قائلا:
وكن بشا (٤) كريما ذا انبساط * و فيمن يرتجيك جميل رأي
بعيدا عن سماع الشر سمحا (٥) * نقى الكف (٦) عن عيب وثأى (٧)

---

١ - إرشاد القلوب ١: ٢٩.
٢ - صحيفة الرضا (عليه السلام): ٢٥٤ حديث ١٨٠، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢: ٤٨ حديث ١٥٨، بحار الأنوار ٧٨:
٤٥٠ حديث ١٣ و ٧٣: ٩٥ حديث ٧٦ و ١٣: ٢٩٥ حديث ١١.
٣ - إحقاق الحق / ج ١١ ص ٦٢٨
٤ - البشاشة: طلاقة الوجه.
٥ - السماح والسماحة: الجود.
٦ - نقي الكف: طاهر اليد.
٧ - الثأي: الحزم والفتق.

معينا للأرامل واليتامى * أمين الجيب عن قرب ونأي (١)
وصولا غير محتشم زكيا * حميد السعي في إنجاز وأي
تلق مواعظي بقبول صدق * تفز بالأمن عند حلول لأي (٢)
ونسب إليه أنه:
عليك من الأمور بما يؤدي * إلى سنن السلامة والخلاص
وما ترجوا النجاة به وشيكا * وفوزا يوم يؤخذ بالنواصي
فليس تنال عفو الله إلا * بتطهير النفوس من المعاصي
وبر المؤمنين بكل رفق * ونصح للأداني والأقاصي
وإن تشدد يدا بالخير تفلح * وإن تعدل فما لك من مناص (٣)
ونسب إليه أيضا:
إذا الإنسان خان النفس منه * فما يرجوه راج للحفاظ
ولا ورع لديه ولا وفاء * ولا الإصغاء نحو الاتعاظ
وما زهد الفتى بحلق رأس * ولا بلباس أثواب غلاظ
ولكن بالهدى قولا وفعلا * وإدمان التجشع في اللحاظ
وإعمال الذي ينجي وينمي * بوسع والفرار من الشواظ (٤)
وترى أمير المؤمنين (عليه السلام) في حضور أحد الأصحاب (حارث الأعور) يسأل ابنه
الحسن بن علي فقال: " يا بني ما العقل "؟
قال: " حفظ قلبك ما استودعته ".
قال: فما الحزم؟
قال: " أن تنتظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك ".
قال: فما المجد؟
قال: " حمل الغارم وابتناء المكارم ".

----

١ - الوأي: القصد
٢ - اللأي: الشدة / راجع ديوان الحسين بن علي عليه السلام: ١٨٢، أدب الحسين وحماسته: ٥٥.
٣ - ديوان الإمام الحسين (عليه السلام): ١٤٠.
٤ - ديوان الإمام الحسين (عليه السلام): ١٤٣.

قال: فما السماحة؟
قال: " إجابة السائل وبذل النائل ".
قال: فما الشح؟
قال: " أن ترى القليل سرفا وما أنفقت تلفا ".
قال فما السرقة؟
قال: " طلب اليسير ومنع الحقير ".
قال فما الكلفة؟
قال: " التمسك بمن لا يؤمنك، والنظر فيما لا يعنيك ".
قال: فما الجهل؟
قال: " سرعة الوثوب على الفرصة قبل الاستمكان منها، والامتناع عن الجواب، ونعم العون الصمت في مواطن كثيرة وإن كنت فصيحا ".
ثم أقبل (صلوات الله عليه) على الحسين ابنه (عليه السلام) فقال له: " يا بني ما السؤود؟
قال: إصطناع العشيرة واحتمال الجريرة ".
قال: فما الغنى؟
قال: " قلة أمانيك والرضا بما يكفيك ".
قال: فما الفقر؟
قال: " الطمع وشدة القنوط ".
قال: فما اللؤم؟
قال: " إحراز المرء نفسه وإسلامه عرسه ".
قال: فما الخرق؟
قال: " معاداتك أميرك ومن يقدر على ضرك ونفعك ".
ثم التفت - أمير المؤمنين - إلى الحارث الأعور فقال: " يا حارث علموا هذه الحكم أولادكم، فإنها زيادة في العقل والحزم والرأي " (١).
هذا وكان الإمام الحسين (عليه السلام) منذ صغره مهتما ببناء نفسه على هدي الأخلاق الرسالية،

---

١ - معاني الأخبار: ٤٠١ حديث ٦٢، بحار الأنوار ٧٢: ١٩٣ حديث ١٤ و ٧٨: ١٠١ حديث ١.

وكان جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) خير أسوة له وقد اختاره امتثالا لقوله تعالى: * (لقد كان لكم في
رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) * (١) ودعاه هذا
الاهتمام بالسؤال من أبيه الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) عن المناقب الأخلاقية لجده،
وهكذا يروي قصة اهتمامه قائلا: " سألت أبي (عليه السلام) عن مدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: كان
دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك، فإذا أوى إلى منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه. ثم جزء جزءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدخر عنهم منه شيئا، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم في ما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وبإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يقدر على إبلاغها ثبت الله
قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقيد من أحد عثرة، يدخلون روادا، ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة.
قال (عليه السلام): فسألته عن مخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) كيف كان يصنع فيه؟
فقال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخزن لسانه إلا عما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم
كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويهونه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أن يملوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.
فسألته عن مجلسه، فقال: كان (صلى الله عليه وآله) لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن
الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب من جلسائه أن أحدا أكرم عليه منه، من

---

١ - سورة الأحزاب، الآية ٢١.

جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه وصار لهم أبا وصاروا عنده في الخلق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة، ولا ترتفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتأته، متعادلين متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.
فقلت: فكيف كان سيرته في جلسائه؟
فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومالا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا، ولا يعيره، ولا يطلب عثراته ولا عورته.
ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.
قال: فسألته عن سكوت رسول الله (صلى الله عليه وآله).
قال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر. فأما التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى أو يفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه شئ ولا يستفزه، وجمع له الحذر في أربع، أخذه بالحسن ليقتدي به، وتركه القبيح لينتهي عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أمته، والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة " (١).

---

١ - معاني الأخبار: ص ٧٩ حديث ١، مجمع الزوائد ج ٨: ٢٧٤، مكارم الأخلاق: ص ٨.

وسوف تجد أيها القارئ الكريم في الفصل الثاني من الكتاب تطبيقات الإمام الحسين (عليه السلام) لهذه التوجيهات الأخلاقية التي سمعها ونقلها، فكان مثالا شامخا للعالم
العامل بعلمه.
وأخيرا تأمل في إحدى خطبه الأخلاقية الرائعة، وأنت ترى نفسك أحد المخاطبين له:
" يا أيها الناس نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوا، واكسبوا الحمد بالنجح، ولا تكتسبوا بالمطل ذما، فمهما يكن لاحد عند أحد صنيعة له رأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافاته، فإنه اجزل عطاء وأعظم أجرا.
واعلموا ان حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور نقما.
واعلموا أن المعروف مكسب حمدا، ومعقب أجرا، فلو رأيتم المعروف رجلا رأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجا (١) مشوها تنفر منه القلوب، وتغض دونه الأبصار.
أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجو، وان اعفى الناس من عفى عن قدرة، وان أوصل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها بفروعها تسمو، فمن تعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم عليه غدا، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفس كربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين ". (٢)
يعلق العالم الجليل الإربلي على هذا الخطاب قائلا: هذا الفصل من كلامه (عليه السلام) وإن كان
دالا على فصاحته، ومبينا عن بلاغته، فإنه دال على كرمه، وسماحته، وجوده، مخبر عن شرف أخلاقه وسيرته، وحسن نيته وسريرته، شاهد بعفوه وحلمه وطريقته، فإن هذا الفصل قد جمع مكارم الأخلاق: لكل صفة من صفات الخير فيها نصيب، واشتمل على مناقب عجيبة، وما اجتماعها في مثله بعجيب.

---

١ - السمج: القبيح والخبيث.
٢ - كشف الغمة ٢: ٢٩، الفصول المهمة ١٦٩. - بحار الأنوار ٧٨: ١٢١ حديث ٤، أعيان الشيعة ١: ٦٢٠.

ردود على المترددين
أجل.. لو عرف الإنسان الأخلاق المائزة له عن أخلاق البهائم والأنعام ومن هم أضل سبيلا لبلغ الهدف من وجوده على الأرض، وغدى مشمول الآية القائلة:
* (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) * (١).
إن الكرامة والمسؤولية هما سر الأفضلية للإنسان على غيره، وهما من خصائص الإنسان الفاضل. ومن أجل ذلك قد هز الحسين (عليه السلام) ضمير البشرية من أجل بقائها أخلاقيا
رساليا.
ورب قائل وهو يريد التبرير والتسلل عن واجب الأخلاق يقول:
صعب علينا هذا الذي قام به الحسين (عليه السلام)، إنه إمام معصوم متميز، قد تربى في بيت
النبوة ونشأ بين أشرف الجدود (محمد) وخير الآباء (علي) وسيدة النساء (فاطمة) وهو مع
أخيه (الحسن) سيدا شباب أهل الجنة. فأين محلنا من الإعراب في المنظومة الأخلاقية الرائدة لهذه الشخصية الكبيرة؟ وهل يمكننا التشبه به؟!
ولكننا من دون الإطالة على هذا القائل الممتحن نلفت انتباهه إلى ضرورة التأمل في الملاحظات الواردة على قوله المردود جملة وتفصيلا، فنقول له:
أولا: تختزن مقولتك في واقعها تجريد التعاليم الإسلامية عن مسؤولية العمل بها، وكأن النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) قالوا من الأمر والنهي لأنفسهم فقط!
ثانيا: تعني مقولتك الخاطئة هذه ترك التأسي بالرسول امتثالا لدعوة الله لنا إلى ذلك، حيث قال: * (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر
الله كثيرا) *. (٢)
ثالثا: بالركون إلى مقولتك الفارغة عن الحق هل يبقى للرسالات السماوية هدف كالقسط ليقوم به الناس؟

----

١ - سورة الإسراء: الآية ٧٠
٢ - سورة الأحزاب: الآية / ٢١.

رابعا: لا شئ يبقى صالحا لتهذيب الناس بمكارم الأخلاق إذا قلنا بمقولتك التي تجرد الإنسان من هدف خلقته، وهكذا بناءا على مقولتك نصل إلى القول بعبثية الحياة، وحاشا
ربنا الحكيم المتعال أن يخلق شيئا عبثا فكيف بالإنسان والحياة. * (أفحسبتم أنما خلقناكم
عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) * (١).
فالقول الصحيح إذن هو أن نقول:
١ - نعم للعمل بالواجب الأخلاقي كما عمل به النبي وأهل بيته (عليهم السلام).
٢ - نعم للعمل بكل الوسع الممكن دون التبرير في تحديد الوسع!
٣ - نعم للعهد مع الله العالم بما في صدورنا بأن نخلص له في العمل، وندعوه للتسديد،
ونعتذر منه ونتوب إليه ونصلح بعد التقصير، نستمر هكذا حتى نرد عليه الجنة التي أعدها
للمتقين.
أليس هذه المقولة أقرب إلى نقاء الفطرة الإلهية من ذلك القول المردود الذي ينافي الهدف من بعثة الرسل إلى الناس؟
بلى انه حقيقة الصراط الذي أمرنا أن نستقيم عليه، ومن دونها لا يكون إلا الضلال.
كيف نتخلق بأخلاق الحسين (عليه السلام)
لتحقيق أي هدف في الحياة - سواء من نوعه المادي أو المعنوي - لابد من ثلاثة عناصر
متدرجة ومترابطة:
١ - المعرفة.
٢ - المحبة.
٣ - الطاعة.
ذلك لأن (المعرفة) السليمة بالهدف تعقب (المحبة) الشديدة له وهذه تشد عزم صاحبها نحو (الطاعة) الصحيحة للمحبوب.
تصدق هذه القاعدة في كل المجالات، ففي مجال عبادة الله تعالى مثلا يصف الإمام

----
١ - سورة المؤمنون: الآية / ١١٥.

أمير المؤمنين وإمام المتقين علي (عليه السلام) عبادة الملائكة قائلا: " قد ذاقوا حلاوة معرفته،
وشربوا بالكأس الروية من محبته، وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته،
فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم... " (١).
وأما في مجال التحلي بالأخلاق الحسينية - الذي هو الغاية من هذا الكتاب - فإنها - أي
هذه القاعدة - تصدق على النحو التالي:
أولا: معرفة الحسين (عليه السلام) كشخص كريم ذي مكانة خاصة، وكسيرة أخلاقية طاهرة
وتتطلب هذه المرحلة قراءة الكتب المعنية أو الاستماع إلى الخطباء الواعين.
ثانيا: تجلب هذه المعرفة محبة الحسين ومحبة ما كان يدعو إليه ويعمل به. وهنا يتفاعل العارف روحيا مع ما عرفه من الحسين (عليه السلام).
ثالثا: بعد المعرفة والمحبة لا يبقى سبيل لصاحبهما إلا سبيل الطاعة للإمام الحسين في أخلاقه العظيمة، ويدخل العارف المحب إلى هذه المرحلة بشوق وتطوع وإصرار يصل إلى حد التفاني والذوبان في طريق الحسين (عليه السلام)، ومع ازدياد " المعرفة " و " المحبة "
و " الطاعة " يسمو صاحبها إلى درجة الذين أجنهم حب الحسين (عليه السلام) فتسابقوا مع الحسين
إلى الشهادة في سبيل الله دون مبالاة بالموانع الزائفة والاحساس بالحواجز المادية.
يقول الشاعر الموالي خطابا إلى الحسين (عليه السلام):
تعاليت عن مدح فأبلغ خاطب * بمدحك بين الناس أقصر قاصر
إذا طاف قوم في المشاعر والصفا * فقبرك ركني طائفا ومشاعري
وإن ذخر الأقوام نسك عبادة * فحبك أوفى عدتي وذخائري
إليك إشاراتي وأنت مرادي * وإياك أعني عند ذكر سعاد
وأنت تثير الوجه بين أضالعي * إذا قال حاد أو ترنم شادي
وحبك ألقى النار بين جوانحي * بقدح وداد لا بقدح زناد

----
١ - نهج البلاغة: الخطبة رقم ٩١.

ثورة الحسين (عليه السلام) أخلاقية أم سياسية؟
نظرتان ألقيتا على نهضة الحسين (عليه السلام) وثورته الفاتحة:
الأولى: أنها كانت لقلب نظام الحكم الأموي.
الثانية: أنها جاءت لإنقاذ الأخلاق الإسلامية من أنياب الأخلاق الفاسدة التي أظلمت حياة الأمة بأسرها، وأن النظام الأموي كان أهم الأسباب.
أي النظرتين أقرب إلى هدف الحسين (عليه السلام)؟
لقد أبدع الباحث (محمد شعاع فاخر) في كتابه القيم (الحكم والأخلاق في منطق الثورة الحسينية) حينما أثبت بأدلة غير قابلة للخرق لأن قلب نظام الأخلاق الأموية الفاسدة كان هو الهدف الأول والغاية الأسمى للحسين (عليه السلام) في ثورته الجبارة. وهذا ما أميل
إليه وأتبناه بقوة. يقول الباحث في مقدمة الكتاب: (١)
وما زال المعترضون موقنين بأن خروج الحسين منحصر في المطالبة بحقه، والهدف الأكبر منه هو قلب نظام الحكم الأموي. ولكن الحق هو أنه (عليه السلام) لم يخرج لذلك على
الإطلاق، لأنه هدف غاية في التفاهة والصغر ولو كان الحسين أراده لتوخى أسبابه، ولسلك السبل المؤدية إليه.
خلا أننا بإمكاننا إجمال هدفه الأكبر بجملة واحدة هي بمثابة الكوة التي تفتح على عالم
فسيح وهي: " قلب نظام الأخلاق ".
ذلك أن الأمة اكتسبت جراء سلوك حكامها معها - والرعية على دين ملوكها، والناس بملوكهم أشبه منهم بآبائهم - صفات مسترذلة وأخلاقا حقيرة وعادات سيئة تنافي ما بناه
الإسلام لها من أخلاق وما شاده من مثل عليا، وطلب من المسلم التحلي بها لتتم صياغة
شخصيته مطابقة لمضمونها.
وانساقت الأمة بدون وعي منها وراء هؤلاء الحكام حتى أوشك أن يحل بها ما حل بالأمم قبلها فاستحالت إلى كائنات ظاهرها الإسلام وباطنها أخلاق الحكام الفسقة...
والفرق بين الهدفين يمكن أن نصوره بما يلي:

----

١ - بتصرف في الألفاظ

١ – قلب نظام الحكم
لو كان الإمام أراد هذا الهدف لسعي سعيه إليه وحينئذ تنحصر الفائدة من هذا في
تأسيس دولة إسلامية مشابهة لدولة أبيه، هذا مع فرض النجاح، ثم وليس من المستبعد
أن
كان يواجه بعد ذلك ما واجه أبوه من الناكثين والقاسطين والمارقين، إذ ما نفدت جنود
إبليس بعد.
وحينئذ تثار في وجهه المتاعب ويكتض طريقه بالمصاعب ويملأ هؤلاء وأولئك قلبه
قيحا وتكون الخاتمة معلومة شهادة في محراب أو موتا بالسم على الفراش. ويأتي خلفه
فتجري الأحداث معه كجريها مع سلفه في حلقة مفرغة إلى ما شاء الله. وتخرج الأمة
من
هذه التجارب بيد فارغة لم تكتسب إلا فوائد ليست بذات أثر في مقابل التضحيات
وهي
منوطة بالزمن وتنتهي بانتهائه.
٢ – قلب نظام الأخلاق
ويحتاج الإمام من أجل تحقيق هذا الهدف المنشود إلى إحداث زلزال في ضمير الأمة
الباطن وعقلها الكامن يؤدي إلى تحريك ضميرها بنبض الحياة فيفجرها بالندم والحزن
ويخرجها من واقعها الأدبي المتداعي إلى واقع خلقي رفيع، دعامته الجهاد، وركائزه
المواقف المدبجة باللوامع الخلقية الشريفة، من قبيل التضحية والفداء ونكران الذات
وهكذا، وحينئذ تكون هذه الهزة التي حدثت على حين انسياق وغفلة من الأمة بمثابة
قوة
الدفع لها، ولن تقتصر على الجيل المعاصر أو التالي له بل تكون صالحة لكل الأجيال
التي
تأتي بعده، تمدها بالحركة النازعة صوب الكمال المطلوب على أن يكون هذا الزلزال
من
القوة والتنوع بحيث يرادف الحياة، فيجري في الأجيال خلفا عن سلف، وصاغرا عن
كابر، وهكذا دواليك، وحينئذ يكون بيد الأجيال جذوة متقدة تضئ حوالك الزمن،
وأداة
إستنهاض وإثارة إذا طرأت على الأمة ظروف ماثلت تلك الظروف التي عاصرت الزلزال
الأول.
ويكون بالإمكان فيما إذا أيقضت الظروف الحرجة وعي الأمة صياغة دستور ثوري منه
يكرر الثورات بتكرر الظروف الحالكة، شريطة أن تتعهد هذا التفاعل فئة من الناس
كالمجاهدين مثلا أو الخطباء، فتسايره راعية وموجهة وشارحة كما يفعل الزارع
بزرعه.

ويتم شحن الأمة بطاقته الخارقة عن طريق المنبر والشرح والصياغة الحية. ولا مانع من

تمثيل بعض مشاهد ذلك بأدوار مسرحية تجسد للأذهان جانبا مما حدث على الصعيد الواقعي.
وكان هدف الحسين إحداث هذا الزلزال في ضمير الأمة، لفاعليته وأثره الكبير، وحيويته الخالدة، فليس بالإمكان نسخ النهضة الحسينية بمواقف بشرية وإن كانت في قمة المأساوية في مستقبل الزمان كما استحال ذلك في ماضيه.
إذن، فالهدف الأول يفتقر إلى هذا الأثر، وإن احتوى على أثر محدود، ربما امتد إلى قرن أو قرنين بل أكثر، ولكنه يضعف عن مواكبة الزمن الإسلامي، من هنا عافه الحسين مع
قدرته عليه ولو أراده لتحقق على يديه وبلغه كما فعل الكثير من الثوار الذين قلبوا نظاما وأقاموا آخر غيره ".
وهنا إثباتا لهذه النظرة الثانية يستعرض الكاتب (محمد شعاع فاخر) وضع الجزيرة العربية من الناحية الأخلاقية قبل الإسلام ويبين ما جاء به الإسلام من نظام أخلاقي عظيم ثم يعود في خاتمة الكتاب قائلا:
" قلنا في مطلع حديثنا أن النظرة السطحية لأحداث الثورة الحسينية أدت إلى مقولة خاطئة درج عليها الناس واعتبروها صحيحة جوهرية وهي أن ثورة الحسين (عليه السلام) كانت من
أجل تغيير نظام الحكم واستبدال الحكم الأموي بالحكم العلوي، وكان من حقه أن يفعل
ذلك لأن مطالبة ذي الحق بحقه أمر أقرته شرائع السماء وقوانين الأرض وأحكام العقل...
ناهيك بشريعة الإسلام.
ولكن نواجه من خلال هذا التفسير بإشكال قوي لا يمكن دفعه ولو أنفقنا الكلام كله وصببنا الحجة بقوالب مختلفة، وذلك الإشكال هو: خبرونا عن هذا الهدف هل تحقق للحسين أو لمن بعده؟! وإذا لم يكن قد تحقق فهل تعتبر ثورة الحسين ناجحة؟!
من الطبيعي أن من ينهض لغاية ما وينشد هدفا من الأهداف لابد وأن يضع نصب عينيه ولادة هذا الهدف في عرصة الوجود أما في زمانه كما حدث لأبي مسلم الخراساني وللعباسية أو بعد زمنه بمدة قليلة كما حدث للبويهيين وغيرهم، فهل تحقق شئ من هذا للإمام الحسين (عليه السلام)؟
يأتينا الجواب: إن الإمام أستشهد وما زال النظام قائما على أشده وجائت بعده أنظمة إن
لم تزد عليه فهي غير قاصرة عنه سوءا وفسادا وظلما، فأين النجاح في هذا، ليت شعري؟!

فماذا يقول أنصار هذا الرأي؟!
سوف يجيبونك بأن الحسين (عليه السلام) لم يقتصر الهدف من ثورته على تغيير النظام الأموي
بل ضم إلى هذا الهدف أهدافا أخرى من إيقاظ الأمة وحملها على الثورة وأمرها بالمعروف ونهيها عن منكرها ومنكر الحكام...
ونقول لهم: أجل، اتفقنا، اعزلوا البند الأول، من هذا القول وهو نظام الحكم، فيتحد قولانا، فما قلتموه ما عدا البند الأول هو تغيير نظام الأخلاق نفسه الذي آمنا به وذهبنا إليه.
ويواصل الكاتب (محمد شعاع فاخر) مستدلا على صحة رأيه أيضا:
بدء الحسين (عليه السلام) نهضته المباركة وسط حشد من المعارضين، وكل من لاقاه عبر له عما
ينتظره من مصير محتوم، لأنه ثائر على دولة فتية قوية، توجه جيوشها الفاتحة في طول الأرض وعرضها، فتفتح لها الأمصار وتقضي على الملوك وتأتيها بالغنائم، فماذا يصنع بلد واحد - أي الكوفة - موزع الآراء مقسم الأعضاء، ذاق الأمرين من الحرب الضروس
وعاناها سنين حتى مل من معاناتها، وما زال يقاسي شظف العيش، وعسف الحاكم، فأنى
يقوم بلد مثل هذا بوجه دولة فاتحة قوية، إن مصير من يستعين ببلد مثل هذا هو القتل لا ريب في ذلك، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يعلم هذا، ويدرك ماذا ينتظره في مستقبل أيامه
ولكنه واصل السير النضالي ولم يجد مشجعا واحدا لا من أهل بيته ولا من غيرهم (١)، إن
هذا الإصرار يدلنا على أن الحسين عازم على الموت وقادم على الشهادة ولكن لماذا؟!
يقول له حبر الأمة وابن عمه عبد الله بن عباس: " جعلت فداك، إنه قد شاع الخبر في الناس وارجفوا بأنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت عليه؟
فقال: نعم قد عزمت على ذلك في أيامي هذه إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
فقال ابن عباس: أعيذك بالله من ذلك فإنك إن سرت إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم واتقوا عدوهم ففي سيرك لعمري الرشاد والسداد، وإن سرت إلى قوم دعوك إليهم وأميرهم قاهر لهم وعما لهم يجبون بلادهم، فإنما دعوك إلى الحرب والقتال،

----

١ - هذا خطأ غير مقصود من الكاتب الجليل، فالذين خرجوا مع الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء من أهل بيته

وأصحابه كانوا أكثر من واحد! ولا يخل هذا الخطأ بدليله على رأيه الصائب " بأن الثورة التي قام بها الحسين كانت من أجل تقويم نظام الأخلاق في المسلمين ".

وأنت تعلم أنه بلد قد قتل فيه أبوك واغتيل فيه أخوك وقتل فيه ابن عمك وقد بايعه
أهله، وعبيد الله في البلد يفرض ويعطي والناس اليوم عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن
عليك أن تقتل، فاتق الله وألزم هذا الحرم، فإن كنت على حال لابد أن تشخص فصر
إلى
اليمن فإن بها حصونا لك وشيعة لأبيك فتكون منقطعا عن الناس.
فقال الحسين (عليه السلام): لابد من العراق.
قال: فإن عصيتني فلا تخرج أهلك ونساءك فيقال: إن دم عثمان عندك وعند أبيك،
فوالله ما آمن من أن تقتل ونساءك ينظرن كما قتل عثمان.
فقال الحسين (عليه السلام): والله يا ابن عم لئن اقتل بالعراق أحب إلي من أن اقتل
بمكة، وما
قضى الله فهو كائن ومع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون ".
ترى إنه ما ترك ابن عباس شيئا لم يقله، وكان عالما بأن الحسين في خروجه على
الكيفية المعلومة مشرف على القتل، ولكن الذي خفي على ابن عباس هو علم
الحسين (عليه السلام) بذلك، فلم يزوده جديدا من العلم ولا كشف له عن شيئا
محجوبا عليه،
وأخيرا لم يدرك الغاية من نهضته أو أدركها على خلاف حقيقتها حيث تصوره قائما
لتغيير
الحكومة وتبديلها من أموية إلى علوية، وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه جل من عارض
الإمام (عليه السلام)... وصاحوا على أثره: ألا تتقي الله تعالى، تخرج من الجماعة
وتفرق بين هذه
الأمة؟
فقال الحسين (عليه السلام): " لي عملي ولكم عملكم... ".
وهذه الجملة الحسينية توضح أن الحسين يعلم أين يضع قدمه، فما هو بقادم على
مجهول.
ولما صار بذات عرق لقيه رجل من بني أسد يقال له بشر بن غالب فقال له الحسين
(عليه السلام):
" ممن الرجل؟ ".
قال: من بني أسد.
قال: " فمن أين أقبلت؟ "
قال: من العراق.
قال: " فكيف خلفت أهل العراق؟ ".
فقال: يا ابن رسول الله، خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية.

فقال له الحسين: " صدقت يا أخا بني أسد، إن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ".
فقال له الأسدي: يا ابن رسول الله، أخبرني عن قول الله تعالى: * (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) *؟
فقال له الحسين (عليه السلام): " نعم يا أخا بني أسد، هما إمامان، إمام هدى، دعا إلى هدى،
وإمام ضلالة، دعا إلى ضلالة، فهذا ومن أجابه إلى الهدى في الجنة، وهذا ومن أجابه إلى الضلالة في النار ".
فلم يظهر من الإمام (عليه السلام) إلا الإصرار على التقدم شطر العراق، مما يدل على أن هدفه هو
الشهادة الأخلاقية الفريدة من نوعها والتي سوف يقيمها على مساحة من الأرض قليلة وفي صحراء نائية عن العمران بعيدة عن حركة الناس، هي صحراء كربلاء، ولكنها ستكون بمنزلة الكتاب الذي يقلب حياة الأمم من حالة بهيمية ميتة إلى أخلاقية حية. وكتب
الإمام الحسين (عليه السلام) كتاب الجهاد والشهادة على أرض كربلاء واحتوى على فصول
وأبواب، كل فصل منه وكل باب كذلك عالم مضئ من الأخلاق وقيم الشهادة النبيلة...
وتدفقت معاني هذا الكتاب خطبا على ألسن الخطباء، وأدبا على ألسن الشعراء، ودمعا من عيون أهل الولاء، وفي كل موجة من هذا العالم الزاخر بالمعاني حركة دفع للأمة نحو
الأفضل (١).
أجل فالهدف الحقيقي لثورة الحسين (عليه السلام) هو إقامة دولة الأخلاق في الجماعات
الإسلامية، تلك الأخلاق التي كانت قبل الإسلام بين الإفراط والتفريط فأقام لها النبي (صلى الله عليه وآله)
الصيغة الصحيحة وجعلها وسطا، وبني الأمة الإسلامية على أساسها ورفع ضراح حضارتها انطلاقا من هذه القواعد الأخلاقية، ولكن الأمة جهلت هذا كله، حين آثرت جماعة منها الذين لم ينق الإسلام ذواتهم من جاهلياتهم القديمة، فقدمتهم على القادة الحقيقيين فأسؤوا السيرة وخالفوا الشرع وتنكروا للمثل وردوا الكثير من قيم الأدب الإسلامي واتبعتهم الأمة اتباع الفصيل إثر امه تقليدا للحاكم واقتفاء لأثره، وحينئذ استحالت الشخصية الإسلامية إلى كائن غريب وحشي على الإسلام هو أدنى إلى البهائم

الراتعة منه إلى الإنسان السوي.

---

١ - المصدر المذكور في المتن.

فقد أراد الإسلام أن يسمو بهذا الكائن إلى مصاف الملائكة فصيرته سياسة حكامه إلى حضيض البهائم والعجماوات. وجاء الحسين (عليه السلام) بثورته الخالدة فاسترد الخلق المصادر
وليس الأرض، وأنقذ الأدب وليس الحكم، وانتشل من مستنقع السياسات الضالة شخصية المسلم ووضعه على الجادة الوسطى وشحنه بالفضائل الجهادية، فطارت به قواه
وحلقت به ملكاته الفاضلة إلى مصاف الملائكة ثانية، وذلك بأخلاقيات ثورته وتضحية أنصاره وجهاد أعوانه، وصارت كربلاء ثورة هي في الحقيقة قانون جهادي أخلاقي يستطيع من يحسن استعماله أن يغير به نظام العالم ويحرر به أمما وينقذ شعوبا.
والفرق بين نظام الدولة ونظام الأخلاق أن الأولى تفضي إلى تجميد قانون الجهاد بما يحيط بها من مشاكلها، والثانية تبقي هذا القانون حيويا فاعلا في الأمة متحركا في ضميرها
يهتز بالحياة والنشاط كلما واتته ظروف الثورة على الواقع المرهق، فهل حصل المرجو من ثورة الحسين (عليه السلام) وهل نالت الأمة هذا الدفق المتفجر في ذاتها من قانون الجهاد
الحسيني؟
أجل، لقد وعت الأمة ذاتها بعد ثورة الحسين، وميزت بين عدوها وصديقها، وثارت على واقعها المفتعل بأيدي حكامها عدة ثورات، ولا زال قانون الجهاد الحسيني يشدها إلى الثورات وسيبقى كذلك إلى أن تطهر الأرض من رجس العدى. وهكذا فإنه إذا كان
بعض قد ذهب إلى تقليد الحسين في ثورته ونسي أخلاقه الحسنة وأهدافه السامية، وبعض آخر قد حصر الحسين في أخلاق فردية ودموع بلا رسالة حضارية، فإني أذهب إلى رأي جامع بينهما، وهو أن الحسين معلم الأخلاق الرسالية الشاملة، وعلى هذا الرأي
قد ربى (عليه السلام) تلاميذه وأصحابه وكل من ينتمي إليه على امتداد الزمن.
وكان الحسين...
نعم.. وكان الحسين (عليه السلام) لتكون تلك الأخلاق المحمدية العلوية متلألئة في حسنها
وجمالها وديموميتها.
وكان الحسين (عليه السلام) لتكون الفضائل السلوكية دوما تنادي إلى الحياة الطيبة وتبشر بها
الفرد والأسرة والأمة.

وكان الحسين (عليه السلام) لتكون العواطف الإنسانية متأصلة في الوجود لا يزعزعها جور
الظالمين ولا جهل الفاشلين.
وكان الحسين (عليه السلام) لتكون الضمائر الحية ممتدة على صفحات التأريخ تشعر بالوخز في
باطن المنتهكين للمثل الأخلاقية.
وكان الحسين (عليه السلام) لتكون الثورة فتحا للقيم النبيلة لا فوضة سياسية تدمر قيم الإسلامية
ولا شعارا من دون شريعة.
هكذا اعتنقت الروح الحسينية المقدسة مع نور الله في السماوات والأرض لتكون ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وبذلك فالحسين حقا هو وارث الأنبياء
والأوصياء والأولياء في صفاتهم ورسالاتهم إلى البشرية جمعاء، ومن هنا صح أن نملأ الدنيا ونهتف له بالتحية والسلام قائلين:
السلام عليك يا وارث ادم صفوة الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله
السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله السلام عليك يا وارث موسى كليم الله السلام عليك يا وارث عيسى روح الله السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله السلام عليك يا ابن محمد المصطفى السلام عليك يا ابن
علي المرتضى السلام عليك يا ابن فاطمة الزهراء السلام عليك يا ابن خديجة الكبرى السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور اشهد انك قد أقمت الصلاة واتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله حتى اتاك
اليقين فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به يا مولاي يا أبا عبد الله اشهد انك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة
لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها واشهد انك من دعائم الدين وأركان المؤمنين واشهد انك الامام البر التقي الرضي الهادي المهدي واشهد ان الأئمة من ولدك كلمة التقوى واعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا
واشهد الله وملائكته وأنبيائه ورسله اني بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرايع ديني وخواتيم عملي وقلبي لقلبكم سلم وامري لامركم متبع صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وعلى أجسادكم وعلى أجسامكم وعلى شاهدكم وعلى غائبكم وعلى ظاهركم
وعلى باطنكم

التطبيقات الأخلاقية في سلوك الحسين (عليه السلام)
من الطفولة إلى الشهادة، تطبيق للأخلاق
المحمدية المنتصرة في كل التاريخ،
ودروس لممارسة الحياة الطيبة كما في
القرآن الكريم

E / في رواية الحديث ونقل الكلام
ولد الحسين (عليه السلام)، وجده الرسول (صلى الله عليه وآله) منهمك في بث
الرسالة الإسلامية، والدولة
آخذة بالأوج والرفعة، والرسول القائد لا ينفك يدبر أمورها، ويرعى مصالحها، ويعالج
شؤونها، ويخطط لها.
فالحسين السبط، الذي يدور في فلك جده الرسول، ويجلس في حجره، ويصعد
على ظهره، ويرتقي عاتقه وكاهله، لابد وأن يمتلئ بكل وجوده من كلام الرسول
وحديثه، فهو يسمع كل ما يقول، ويرى كل ما يفعل، وقد عاشر جده سبعا من السنين،
تكفيه لأن يعي منه الكثير من الأمور التي تعد في اصطلاح العلماء " حديثا " لرسول
الله (صلى الله عليه وآله)، و " سنة " له.
وقد ابتدأ ابن عساكر برواية بعض الأحاديث التي سمعها من جده، وأول حديث ذكره
هو: قال (عليه السلام): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: " ما من مسلم
ولا مسلمة يصاب بمصيبة وإن
قدم عهدها، فيحدث لها استرجاعا، إلا أحدث الله له عند ذلك، وأعطاه ثواب ما وعده
عليها يوم أصيب بها ".
أو من القدر أن يكون هذا أول حديث يروى في ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)؟!
أو أن
الرسول (صلى الله عليه وآله) أراد أن يلقن الحسين في أول دروسه له، درسا في الصبر
على المصيبة، التي
يكون قطب رحى سيرته، ومقرونة باسمه مدى التاريخ؟!
إن في ذلك - حقا - لعبرة! (١).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الدقة في نقل الحديث وكلام الآخرين من شروط الأمانة والأخلاق.
٢ - لابد من اختيار الحديث المناسب للحالة المناسبة.

---
١ - الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته: ص ٣٥.

E / في التعريف بالنفس
ليس مدح النفس بقصد التعريف عن الحق ورد الباطل أمرا مذموما، بل المذموم إذا كان المدح بقصد الحب للذات ولجلب المصلحة الشخصية غير المحللة. هكذا هي النظرية الحسينية في تعريف الانسان بنفسه أمام الآخرين.
روى الشيخ الأجل أبو جعفر الكليني (رحمه الله) عن الحكم بن عتيبة قال: لقي رجل الحسين
بن علي (عليهما السلام) بالثعلبية وهو يريد كربلاء، فدخل عليه فسلم عليه.
فقال له الحسين (عليه السلام): من أي البلاد أنت؟
قال: من أهل الكوفة.
قال: أما والله يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا، ونزوله بالوحي على جدي، يا أخا أهل الكوفة أفمستفتي الناس من العلم من عندنا فعلموا وجهلنا؟ هذا ما لا يكون.
فالحسين (عليه السلام) هكذا يعرف نفسه ومكانته في الارتباط بالوحي الذي يغنيه العلم بالحق
كله، وما كان في عصره أحد مساو له في ذلك أبدا. فالمدح هنا لأجل هداية المستمع إلى
الحق أمر حسن وليس مذموما.
ونرى الحسين (عليه السلام) يعرف نفسه أيضا في شعر منسوب إليه:
سبقت العالمين إلى المعالي * بحسن خليقة وعلو همة
ولاح بحكمتي نور الهدى في * ليال بالضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفؤوه * و يأبى الله إلا أن يتمه (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - أهمية السؤال والبحث والمعرفة.
٢ - وجوب بيان الحق ولو بمدح الذات.
٣ - الهداية والإقناع ولو لفرد واحد.

---

١ - المناقب ٤: ٧٢، بحار الأنوار ٤٤: ١٩٤ حديث ٦، العوالم ١٧: ٦٩.

E / في الدعابة ولطافة الحديث
قال أبو رافع: كنت ألاعب الحسين (عليه السلام) وهو صبي بالمداحي (١)، فإذا أصابت مدحاتي
مدحاته قلت: إحملني. فيقول: أتركب ظهرا حمله رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! فأتركه، فإذا أصابت
مدحاته مدحاتي قلت: لا أحملك كما لم تحملني. فيقول: أما ترضى أن تحمل بدنا حمله
رسول الله؟! فأحمله (٢).
فالحسين (عليه السلام) صبيا يلعب، ولكنه يلعب بدعابة ولطافة وحجج بالغة. انه (عليه السلام) كبير حتى
في صباه، وأسفا على كبار هم لا زالوا كما كانوا من قبل!
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الألعاب في فترة الطفولة أمر مباح شريطة أن لا تكون ضارة بالطفل.
٢ - انه من الجيد أن يقترن اللعب هذا مع اللين واللطافة وعدم العنف والمشاجرة.
٣ - ان الذكريات الطفولية تبقى مع الإنسان، فمن الجميل أن يجعل الآباء أطفالهم في جو حسن يخلد له ذكرياته في أجمل صورة.
E / في الزهد والعدالة الاجتماعية
جاء في التاريخ إن من شدة عدالة أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان يقدر نفسه وأهل بيته
بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره (٣)
وروى العلامة المجلسي في كتابه بحار الأنوار: أن رجلا من خثعم رأى الحسن
والحسين (عليه السلام) يأكلان خبزا وبقلا وخلا، فقلت لهما (٤): أتأكلان من هذا وفي الرحبة
ما فيها؟ - أي في وسعكما بصفتكما أبناء الحاكم أن تأكلا أكلا ألذ مثل أبناء الحكام الآخرين -.
فقالا: " ما أغفلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام) " (٥)

---

١ - المدحاة: لعب الأحجار في الحفيرات.
٢ - نفس المهموم / ص ٢٤.
٣ - كما في نهج البلاغة / الخطبة ٢٠٩. يتبيغ: أي يهيج به الألم.
٤ - والصحيح " فقال لهما " كما في هامش بحار الأنوار.
٥ - بحار الأنوار / ج ٤١ ص ١١٣.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - التأسي بالصالحين.
٢ - عدم الطمع في أموال المسلمين والتصرف في الأمانات.
٣ - عدم التأثر بكلام الخناسين.
E / في النصيحة والحكمة
من الصعب أن تنصح وتوجه إلى الصواب إنسانا أكبر منك سنا، ولكن الحكمة في النصيحة تسهل عليك هذا الصعب. انظر في التصرف الحكيم الذي قام به الحسن و الحسين (عليهما السلام) حينما مرا على شيخ (كبير السن) يتوضأ ولا يحسن الوضوء وكانا (عليهما السلام) آنئذ
صبيان صغار السن، فاتفقا على التنازع بينهما، يقول كل واحد منهما: " أنت لاتحسن الوضوء " ليأتيا ويتحاكما إلى الشيخ، وهكذا قالا له: " أيها الشيخ كن حكما بيننا، يتوضأ
كل واحد منا سوية "، فتوضئا، ثم قالا: " أينا يحسن "؟!
فقال الشيخ حيث وجدهما يتوضئان بشكل واحد وجيد: كلاكما تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل - وأشار إلى نفسه - هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلم الآن
منكما وتاب على يديكما ببركتكما، وشفاعتكما على أمة جدكما. (١)
وبهذه المناسبة نقرأ سؤالا سأله رجل من الإمام الحسين (عليه السلام): من أشرف الناس؟
فقال (عليه السلام): " من اتعظ قبل أن يوعظ، واستيقظ قبل ان يوقظ ".
فقال السائل: أشهد أن هذا هو السعيد. (٢)
أرجو أن نكون من هؤلاء السعداء فنتعظ ونغير أنفسنا وفق المنهج الحسني والحسيني في التغيير.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - التبليغ الديني لا يتوقف بسبب صغر السن.
٢ - إن التنسيق والحكمة في النصيحة أهم عناصر التأثير، فلا يتهاون فيهما المبلغون.

---

١ - المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٤٠٠، بحار الأنوار ٤٣: ٣١٩، العوالم ١٦: ١٠٠ حديث ١. (مع تصرف في الألفاظ)
٢ - إحقاق الحق ١١: ٥٩٠.

E / في الاهتمام بأخلاق الشباب وأخبار المجتمع
إن من أهم واجبات الإمام هو رعاية المجتمع الإسلامي عن كثب، وملاحظة كل صغيرة وكبيرة في الحياة الاجتماعية، ورصدها، ومحاولة إصلاحها وإرشادها، ودفع المفاسد والأضرار، بالأساليب الصالحة، وبالإمكانات المتوافرة، دعما للأمة الإسلامية، وحفظا للمجتمع من الانهيار أو التصدع.
وقد ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) حديث مهم يدل على عمق اهتمام الإمام بهذا الأمر
الهام:
قال جعيد الهمداني: أتيت الحسين بن علي... فسألني، فقال: " أخبرني عن شباب العرب؟ " قلت: أصحاب جلاهقات ومجالس!
قال (عليه السلام) " فأخبرني عن الموالي؟ " قلت: آكل ربا، أو حريص على الدنيا!
قال (عليه السلام): * (إنا لله وإنا إليه راجعون) * " والله، إنهما للصنفان اللذان كنا نتحدث أن الله
تبارك وتعالى ينتصر بهما لدينه.
يا جعيد همدان: الناس أربعة: فمنهم من خلاق، وليس له خلق. ومنهم من له خلق، وليس له خلاق. ومنهم من ليس له خلق ولا خلاق، فذاك أشر الناس ومنهم من له خلق وخلاق، فذاك أفضل الناس " (١).
وهذا الحديث يدل على مراقبة دقيقة من الحسين (عليه السلام)، لمجتمع عصره:
فقوله: " كنا نتحدث " يدل - بوضوح - على تداول الأمر، والتدبير الحكيم والمشورة المستمرة، من الإمام ومن كان معه، حول السبل الكفيلة لنصرة الدين وإعزازه وتقوية جانبه، وتهيئة الكوادر الكفوءة لهذه الأغراض وإنجاحها.
والتركيز على " شباب العرب " بالذات، يعني الاعتماد على الجانب الكيفي في
الكوادر العاملة، إذ بالشباب يتحقق التحرك السريع والجرئ، فهم عصب الحياة الفعال، وعليهم تعقد الآمال...
وأما " الموالي " فهم القاعدة العريضة، التي ترتفع أرقامها في أكثر المواجهات والحركات، وهم أصحاب العمل والمال، والذين دخلوا هذا الدين عن قناعة بالحق، وحاجة إلى العدل.

----
١ - تاريخ دمشق ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام): ص ١٥٩.

ولكن سياسة التهجين والتدجين الأموية، جرت شباب العرب، إلى اللهو واللعب.
وجرت الموالي إلى الالتهاء بالأموال والتكاثر بها.
وهنا تأتي كلمة * (إنا لله وإنا إليه راجعون) * في موقعها المناسب، لأنها تقال عند المصيبة، والمصيبة الحقيقية أن تموت روح القوة والتضحية والنضال في هذين القطاعين المهمين من الأمة.
وتقسيمه (عليه السلام) المجتمع إلى: من له " خلق " وكرامة وشرف، يعتمد الأعراف الطيبة،
وتدفعه المروءة إلى التزام العدل والإنصاف، ورفض الجور والفساد والامتهان، ويرغب في الحياة الحرة الكريمة في الدنيا.
وإلى من له " خلاق " ودين وعمل صالح وضمير ووجدان وعقيدة ورجاء ثواب، يدفعه كل ذلك إلى نبذ الباطل، وبذل الجهد في سبيل إحقاق الحق.
فمن جمع الأمرين فهو أفضل الناس جميعا، وهو ممن تكون له حمية، ويسعى في الدخول فيمن ينتصر الله به لدينه (١).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الاهتمام بالأمور الثقافية والتربوية للشباب.
٢ - تتبع أخبار المجتمع والتطورات فيه.
٣ - ضرورة التشاور في الإصلاحات الاجتماعية.
٤ - من الجدير إخبار العالم والمصلح بما يدور في المجتمع.
E / في الإحسان إلى الناس
عن الصادق، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام) قال: جاء أهل الكوفة إلى علي (عليه السلام) فشكوا إليه
إمساك المطر، وقالوا له: استسق لنا. فقال للحسين (عليه السلام): قم واستسق، فقام وحمد الله وأثنى
عليه وصلى على النبي، وقال: " اللهم معطي الخيرات، ومنزل البركات، أرسل السماء

---

١ - الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته: ص ٩٩ - ١٠١.

علينا مدرارا، واسقنا غيثا مغزارا، واسعا غدقا، مجللا سحا (١) سفوحا (٢)، فجاجا (٣)،
تنفس به الضعيف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك، آمين رب العالمين ".
فما فرغ (عليه السلام) من دعائه حتى غاث الله تعالى غيثا بغثة، وأقبل أعرابي من بعض نواحي
الكوفة فقال: تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض. (٤)
أظنك أيها المسلم الفطن قد وقعت على بيت القصيد في هذه القصة الجميلة! فقد أنزل الله ماءا لعطاشا أهل الكوفة بدعاء الحسين (عليه السلام) ولا أدري بأي ميزان أخلاقي أوزنوا موقفهم
بعد سنين قليلة، حينما منعوا الحسين وأطفاله والنساء والرجال الذين معه في كربلاء وفي
تلك الحرارة الحارقة، عن قطرة ماء، فقتلوه وقتلوهم عطاشا مالم يفعله المسلمون مع الأنعام حين ذبحها. أهكذا تطبق الآية القائلة * (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) *؟! أم هل
الأنعام تستحق السقي قبل الذبح ولا يستحقه الحسين وأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)؟
حقا لم تكن الأخلاق الكريمة قد زويت عن أولئك الوحوش القتلة بل وحتى الانسانية في أدنى درجاتها كانت معدومة فيهم.
هذا وإن في موقف الإمام علي (عليه السلام) حينما أحال طلب الكوفيين إلى ابنه الحسين (عليه السلام)
ليصلي صلاة الاستسقاء سر وأسرار، منها أن لعلهم يتذكرون ذلك في يوم الطف يوم كربلاء الحزينة، ولكن أنى لمن نسي ذكر الله أن يتذكر منزلة أولياء الله.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - أن تحسن إلى الناس ما استطعت.
٢ - أن تربط إحسانك بالله عبر الأهداف الإلهية النبيلة.
٣ - ضرورة بعد النظر في تعريف الصالحين.

---

١ - سحا: أي صبا غير منقطع.
٢ - سفح سفوحا: أي انصب صبا.
٣ - فجاج: الذي يشق الأرض.
٤ - الآكام هي التلال. عيون المعجزات ٦٤، بحار الأنوار ٤٤: ١٨٧ حديث ١٦، العوالم ١٧: ٥١ حديث ١.

E / في الجود وعزة النفس
روى ابن عساكر في تاريخه: إنه (عليه السلام) كان يحمل إليه المال من البصرة وغيرها فلا يقوم
من مكانه حتى يفرقه على الفقراء بكامله.
ولقد اشتهر النقل عنه (عليه السلام) أنه كان يكرم الضيف ويمنح الطالب ويصل الرحم وينيل
الفقير ويسعف السائل ويكسو العاري ويشبع الجائع ويعطي الغارم ويشفق على اليتيم ويعين ذا الحاجة، وقل أن وصله مال إلا وفرقه.. ونرى في الجانب الآخر ما روي من أن
معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير وثياب وافرة وكسوات وافية فرد الجميع عليه ولم يقبله منه. فهذا يعني أن الكريم في العطاء هو الكريم في النفس أولا. وأن للكرم في الاسلام شروط، ومنه أن لا يرتبط بالحاكم الجائر.
يقول المحدث الجليل الشيخ القمي (رحمهم الله) معلقا على هذه الرواية:
وهذه سجية الجواد، وشنشنة الكريم، وسمة ذي السماحة، وصفة من حوى مكارم الأخلاق، فأفعاله شاهدة له بصفة الكرم، ناطقة بأنه متصف بمحاسن الشيم، وينبغي أن يعلم أن الكرم الذي الجود من أنواعه كامل في أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ثابت لهم، محقق فيهم،
ولا يعدوهم ولا يفارقهم، بل هو لهم على الحقيقة وفي غيرهم كالمجاز. ولهذا لم ينسب
الشح إلى أحد من بني هاشم ولا نقل عنهم، لأنهم يجارون الغيوث سماحة ويبارون الليوث حماسة.
وهذه الأخلاق الكريمة اتخذوها شريعة، وجعلوها إلى بلوغ غايات الشرف ذريعة، لشرف فروعهم وكرم أصولهم، فهم مقتدى الأمة، ورؤوس هذه الملة، وسروات الناس، وسادات العرب، وخلاصة بني آدم، وملوك الدنيا، والهداة إلى الآخرة، وحجج الله على عباده، وامناؤه في بلاده، فلابد أن تكون علامات الخير فيهم ظاهرة وسمات الجلال بادية
باهرة.
وكيف لا يجود بالمال من يجود بنفسه النفيسة في موطن النزال، وكيف لا يسمح بالعاجل من همه بالآجل. ولا ريب عند العقلاء أن من جاد بنفسه في القتال فهو بالمال أجود، ومن زهد في الحياة المحبوبة فهو في الحطام الفاني أزهد.

وقال الشاعر:
يجود بالنفس إن ظن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود
* الدروس المستفادة هنا:
١ - ان السماحة والحماسة رضيعتا لبان، وقد تلازمتا معا، فهما توأمان، فالجواد شجاع
والشجاع جواد. وهذه قاعدة كلية (١).
٢ - إذا أردت أن تكون كريما فعليك أولا بعزة النفس، فإنها مهد الكرم والكرامة.
٣ - إن الجود والكرم بالنفس أعظم منهما بالمال.
E / في السخاء ورحابة الصدر ومسرة اليتيم
كان نصراني له حذاقة في الطب، فسمع بأن الحسين (عليه السلام) سيد الكرماء فأحب أن يختبر
أحواله، فأتى إليه يوما شاب قد مات أبوه، وأمه شاكية وجعه، فأشار الطبيب بإحضار كبد
لفرس أبيض، وأرسله إلى الحسين. فأمر (عليه السلام) بذبح فرس أبيض وإخراج كبده، فلما جاء به
إلى الطبيب. قال أخطأت في لون الفرس، أحضر كبد الفرس الأسود، فرجع الغلام - اليتيم -
باكيا إلى الحسين (عليه السلام) فحكى، فأمر بذبح فرس أسود حتى ذبح سبعة أفراس لأجل ذلك
اليتيم. فأسلم النصراني لما شاهد هذا الكرم من الحسين (عليه السلام). ثم دعا الحسين للأفراس
فأحياها الله بقدرته (٢)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - السخاء بكل رضا ورحابة صدر.
٢ - قضاء حوائج المؤمنين سيما المرضى واليتامى والمساكين.
٣ - التوكل على الله تعالى جزء من العمل الأخلاقي.

---

١ - نفس المهموم / ص ٢٠.
٢ - معالي السبطين / ج ١ ص ٩٩. نقلا عن كتاب الكبريت الأحمر.

E / في العدل والشرف والشجاعة
الشجاعة قيمة أخلاقية عظيمة، وإذا تجردت عن الأخلاق الحسنة والهدف الإلهي لا تكون شجاعة بل هي الوحشية والقسوة المذمومة. في القصة التالية تجد الفرق بين هذين.
عن عبد الله بن قيس بن ورقة: قال كنت ممن غزى مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين، وقد
أخذ أبو أيوب الأعور السلمي وكان من قادة جيش معاوية الماء وحرزه عن الناس - أي
منعه عنهم - فشكى المسلمون العطش، فأرسل فوارس على كشفه - أي دفعهم عن الماء -
فانصرفوا - وعادوا - خائبين، فضاق - الإمام علي (عليه السلام) - صدره، فقال له ولده الحسين (عليه السلام): -
ذلك الشجاع الضرغام - " أمضي إليه يا أبتاه "؟
فقال: امض يا ولدي.
فمضى مع فوارس، فهزم أبا أيوب عن الماء، وبنى خيمته وحط فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره، فبكى علي (عليه السلام)، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ وهذا أول فتح بوجه
بركة الحسين (عليه السلام).
قال: " صحيح يا قوم ولكن سيقتل عطشانا بطف كربلاء، حتى تنفر فرسه وتحمحم وتقول: الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها. " (١)
أنظر أيها المسلم اللبيب، إلى الفرق بين الحسين وأعدائه، إنه فرق الأخلاق وعدمها، فرق العدل وعدمه، فرق الشرف واللا شرف، فرق الشجاعة والدناءة.
وهنا تأمل في بقية الموقف لترى جماليته العلوية ومناقبيته الحسينية. فلقد اقترح بعض رجال جيش علي (عليه السلام) أن يمنع الإمام علي أصحاب معاوية الماء عملا بالمثل، ولكن
الإمام علي (عليه السلام) أبى هذه الأخلاقية الأموية، أن يلتزمها، وقد التزمها يزيد بن معاوية
وساسته المجرمون في كربلاء.
أجل، وهذا هو الفرق بين علي (عليه السلام) ومعاوية، والحسين (عليه السلام) ويزيد الدنس. إنه الفرق
بين رجال الله الرحماء ورجال الشيطان الأجلاف القساة.

---

١ – المنتخب للطريحي ٢: ٣٠٠، بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٦، العوالم ١٧: ١٤٩ حديث ١٠.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - يجب على المسلم أن يكون إنسانيا في كل الأحوال، خاصة في العنف والغضب والحرب.
٢ - إن الشرف والتسامي إلى درجة السماحة والبسالة يحتاج إلى المعرفة بقدواتها.
٣ - تتجلى خصلة الشهامة في الانسان عبر تصرفه النابع من طبعه النزيه، فعلى الباحث عن الخصال الرفيعة أن يصنع لها طبعا وتطبعا في نفسه.
٤ - فيا أيها المسلمون كونوا أينما تكون الأخلاق الشريفة، وبها ميزوا بين الحق والباطل في الغابر والحاضر.
E / في حب الأخ لأخيه ومفهوم الاتحاد
جاء في النقل أن الحسن (عليه السلام) لما دنت وفاته ونفدت أيامه، وجرى السم في بدنه، تغير
لونه وأخضر، فقال له الحسين (عليه السلام): " مالي أرى لونك مائلا إلى الخضرة؟ " فبكى الحسن (عليه السلام) وقال: " يا أخي لقد صح حديث جدي في وفيك "، ثم اعتنقه طويلا
وبكيا كثيرا. فسأله الحسين (عليه السلام) عن ذلك؟
فقال: " أخبرني جدي، قال: لما دخلت ليلة المعراج روضات الجنان، ومررت على منازل أهل الايمان، رأيت قصرين عاليين متجاورين على صفة واحدة، إلا أن أحدهما من الزبرجد الأخضر. والآخر من الياقوت الأحمر، فقلت: يا جبرئيل لمن هذان القصران؟ فقال: أحدهما للحسن، والآخر للحسين. فقلت: يا جبرئيل فلم، لم يكونا على لون واحد؟ فسكت ولم يرد جوابا فقلت: لم لا تتكلم؟ قال: حياءا منك، فقلت له:
سألتك بالله إلا ما أخبرتني، فقال: أما خضرة قصر الحسن فإنه يموت بالسم، ويخضر لونه عند موته، وأما حمرة قصر الحسين، فإنه يقتل ويحمر وجهه بالدم ".
فعند ذلك بكيا وضج الحاضرون بالبكاء والنحيب. (١)
أقول: وليخسأ شواذ الكتاب الذين قالوا أن الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا كثيرا ما يختلفان

----
١ - بحار الأنوار ٤٤: ١٤٥ حديث ١٣، العوالم ١٦: ٢٨٤ حديث ١٢ و ١٧: ١٢١ حديث ٢.

في الآراء والمواقف. وهل يختلفان، وهما إمامان هاديان إلى السنة الوضاءة لجدهما رسول الله؟
أبدا إنهما رسالة واحدة جاءت ثمارها المطلوبة على مرحلتين مترابطتين، مرحلة الصلح لتعرية نفاق معاوية، وقادها الإمام الحسن (عليه السلام)، ومرحلة الثورة على كفر يزيد بن
معاوية، وقادها الإمام الحسين (عليه السلام) فمن دون الحسن لما كان الحسين يثور، ومن دون
الحسين لما كان الحسن يمهد لاقتلاع جذور الشجرة الأموية الخبيثة. هكذا يجب ان نعرف الاتحاد الرسالي الذي جاء في إطار الحكمة الحسنية - الحسينية الموحدة. فليس
عبثا كانت رعاية النبي لهما طول حياته الرشيدة ثم موقفه العجيب منهما ساعة رحيله الأليم.
فقد جاء في كتب التاريخ انه دخل الحسن والحسين (عليهما السلام) على جدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله)
في ساعة احتضاره فانكبا عليه وهما يبكيان ويقولان: " أنفسنا لنفسك الفداء يا رسول الله "، فذهب علي (عليه السلام) لينحيهما عنه فرفع رأسه إليه، ثم قال: " دعهما يا أخي يشماني و
أشمهما، ويتزودان مني وأتزود منهما، فإنهما مقتولان بعدي ظلما وعدوانا، فلعنة الله على من يقتلهما ".
ثم قال: " يا علي أنت المظلوم بعدي، وأنا خصم لمن أنت خصمه يوم القيامة ". (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - مودة الأخ لأخيه.
٢ - أدب التحدث مع الأرحام.
E / في كلمة العزاء وطريقة التسلية
وقف الحسين ينعى صنوه، وشقيقه في كل الحياة، وفي الفضائل، وفي المشاكل، وإن سبقه في الولادة ستة أشهر وعشرة أيام، فقد سبقه في الشهادة عشر سنين.

----
١ - بحار الأنوار ٢٨: ٧٦ حديث ٣٤.

وفي الكلمة التي ألقاها الحسين على قبر أخيه كثير من المعاني الجامعة، على لسان هذا الصنو الموتور بأخيه، قال (عليه السلام): " رحمك الله، أبا محمد، إن كنت لتناصر الحق عند
مظانه، وتؤثر الله عند مداحيض الباطل وفي مواطن التقية بحسن الروية. وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتقبض عنها يدا طاهرة. وتردع ماردة أعدائك بأيسر المؤونة عليك. وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لبان الحكمة. وإلى روح وريحان، وجنة نعيم. أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأسى عليه " (١).
حقا، يعز على أبي عبد الله الحسين، أن يفقد عضده في أحلك الظروف حيث شوكة بني أمية في تقو، وأحوال الأمة في ترد، وقد كان الإمام الحسن (عليه السلام) صامدا في مواجهة
المعاناة التي تحملها، فتجرع غصص الصلح مع معاوية، ذلك الذي ألجأه إليه وهن الجبهة
الداخلية، وشراسة الأعداء الخارجيين، وتسلل الخونة من امراء جيشه، وفساد خلق الأمة وانعدام الخلاق إلى حد التكالب على الدنيا وحب الحياة، والهروب من الموت.
إن كان الإمام الحسن (عليه السلام) يواجه هذه المصاعب، فإنه لم يكن وحيدا، بل كان الحسين
إلى جانبه يعضده، لكن الحسين (عليه السلام) حين ينعى أخاه سوف يبقى لما سيتحمله من أعباء
المسؤوليات، وحيدا، بلا عضد.
وهذا هو الأصعب الذي قال عنه الحسن لأخيه ساعة احتضاره " لا يوم كيومك يا أبا عبد الله " (٢).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - أدب الكلام في المصائب ومدح الرجال الأبرار.
٢ - التلاحم بين القادة الصالحين يخدم الأهداف الأخلاقية.
E / في الحفاظ على كرامة السائلين
يحظى الفقير السائل عند الحسين (عليه السلام) حاجته مع حفظ ماء الوجه، وذلك ما نتمناه من

---

١ - تاريخ دمشق لابن عساكر: ص ٢٣٣ رقم (٣٦٩).
٢ - الحسين سماته وسيرته: ص ٧٣ - ٧٥.

أهل العطاء والكرم (كثر الله أمثالهم) حين يكرمون الفقراء (أغناهم الله من فضله).
ذات يوم أمر الحسين (عليه السلام) خازن أمواله أن يعطي السائل الذي أتى إليه ألفا، فأخذ
السائل ينقدها، فقال الخازن: بعتنا شيئا؟
قال السائل: ماء وجهي!
فقال الحسين (عليه السلام): صدق، أعطه ألفا وألفا وألفا، (الألف الأول) لسؤالك، (الألف
الثاني) لماء وجهك، (الألف الثالث) لأ نك أتيتنا (١).
وأعطاه رجل قطعة - أي ورقة مكتوبة فيها حاجته - فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): حاجتك
مقضية، قبل قراءتها.
فقيل له: هلا رأيت ما فيها؟
قال (عليه السلام): يسألني الله عند وقوفه بين يدي حتى أقرأها (٢).
وفي رواية أخرى: قيل له: يا ابن رسول الله! لو نظرت في رقعته - أي الورقة - ثم رددت الجواب على قدر ذلك؟
فقال (عليه السلام): يسألني الله تعالى عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته (٣).
وهنا تأمل يا أخي القارئ في حديث النبي (صلى الله عليه وآله) إذ يقول: " ما جعل الله أولياءه إلا على
السخاء وحسن الخلق " (٤) وقال أيضا (صلى الله عليه وآله): " إن لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد،
فمن بخل بتلك المنافع من العباد، نقلها الله عنه، وحولها إلى غيره " (٥).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - يجب على من ينفق ويعطي إن كان يريد وجه الله أن لا يتبع عطاءه بالمن والأذى و
يخسر الأجر والثواب.
٢ - إحفظ كرامة غيرك أيها العاطي ليحفظ الله كرامتك.
٣ - لا يغرك غناك وحاجة الغير إليك فان لله في ذلك حكمة، هي امتحانك بما أعطاك وامتحانه بما لم يعطه.

----
١ - الخصائص الحسينية: ٢٢ بتصرف.
٢ - نفس المصدر.
٣ - القطرة ٢: ٢٣١ / الحديث العشرون نقلا عن زهر الربيع، للسيد نعمة الله الجزائري.
٤ - جامع السعادات: ج ٢ ص ١١٧.

٥ - جامع السعادات: ج ٢ ص ١١٧.

E / في المواساة والتآزر والتعاطف
من الأخلاق الاجتماعية في الإسلام مواساة المؤمنين والمستضعفين عند البلاء
والمصائب لبعث روح الصبر والتوكل والاستقامة فيهم والتخفيف من معاناتهم النفسية،
وهذه الخدمة ترفع من درجة التماسك والمحبة بين أفراد المجتمع وتسهل في تحقيق
الأهداف الكبيرة وسيادة الأخلاق الحميدة. ذكر المؤرخون انه لما نفي أبو ذر الغفاري
ذلك الصحابي الجليل (رضوان الله عليه) إلى الربذة بأمر من عثمان الذي منع الناس أن
يودعوه ويشيعوه أيضا، قد خرج الإمام علي وولداه الحسن والحسين (سلام الله عليهم)
إلى أبي ذر وودعوه وشيعوه إسقاطا للمنع الظالم وإعلانا للتضامن مع المظلوم، وقالوا له
كلمات كانت من بينهن كلمة الإمام الحسين (عليه السلام) الكاشفة عن أخلاقه وأدبه
وحسه
الانساني الرفيع قال: " يا عماه! إن الله قادر أن يغير ما قد ترى، والله كل يوم هو في
شأن، وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك.. فما أغناك عما منعوك، وأحوجهم إلى
ما منعتهم! فاسأل الصبر والظفر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين
والكرم، وإن الجشع لا يقدم رزقا، ولا يؤخر أجلا " (١).
وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: لما شيع أمير المؤمنين
(عليه السلام) أبا ذر،
وشيعه الحسن والحسين (عليهما السلام) وعقيل بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر
وعمار بن ياسر
(رضي الله عنهم)، قال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام): " ودعوا أخاكم فإنه لابد
للشاخص من أن
يمضي، وللمشيع من أن يرجع "، قال: فتكلم كل رجل منهم على حياله، فقال الحسين
بن علي (عليه السلام): " رحمك الله يا أبا ذر! إن القوم إنما امتهنوك بالبلاء لأنك
منعتهم دينك
فمنعوك دنياهم، فما أحوجك غدا إلى ما منعتهم، وأغناك عما منعوك! ".
فقال أبو ذر: رحمكم الله من أهل بيت، فما لي في الدنيا من شجن غيركم، إني إذا
ذكرتكم ذكرت رسول الله (صلى الله عليه وآله). (٢)
عبارات هي بلسم شاف لجراحات أبي ذر، قومته، وشدت عزيمته، وصبرته، وقوت
شكيمته، فواصل جهاده بالكلمة الحقة العادلة، وهو لا تأخذه في الله لومة لائم.. حتى
توفي وفيا للإسلام ناصحا مخلصا للمسلمين (٣).

---

١ - الروضة من الكافي، للشيخ الكليني: ٢٠٧.
٢ - المحاسن: ٣٥٣، ح ٤٥.
٣ - الأخلاق الحسينية / ص ٢٦٦.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - مواساة المظلوم والتضامن معه ضرورة أخلاقية رغم أنف الظالم.
٢ - الوقوف مع الحق ضد الباطل واجب أهل الحق.
٣ - كلمات التضامن والمواساة يجب اختيارها بدقة لتؤدي الغرض المطلوب.
E / في توجيه العاملين
وكان من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) توجيه العاملين في الساحة الاسلامية وتزويدهم
برؤى رسالية، وهو إن دل على أمر فإنما يدل على أن الحسين (عليه السلام) في موقفه الآتي يبين
اهتمامه بالساحة الاسلامية والعاملين فيها.
وكتب الإمام الحسين (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس حين سيره (عبد الله ابن الزبير) إلى
اليمن: " أما بعد، بلغني أن ابن الزبير سيرك إلى الطائف، فرفع الله لك بذلك ذكرا، وحط
بك عنك وزرا، وإنما يبتلى الصالحون. ولو لم تؤجر إلا فيما تحب لقل الأجر. عزم الله لنا ولك بالصبر عند البلوى، والشكر عند النعمى، ولا أشمت بنا ولا بك عدوا حاسدا أبدا، والسلام " (١).
هكذا كان الحسين (عليه السلام) مهتما بأمور المسلمين ومراقبا للمسيرة الإسلامية وموجها
للعاملين فيها، ذلك لكيلا تفرغه الأهواء عن أهدافها الرسالية وأخلاقها المحمدية وإن تصدعت كثيرا بالفتن المضلة.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - مسيرة العمل الإسلامي لن تسدد إلا بالتوجيه المستمر من قادتها الحقيقيين.
٢ - التوجيه مسؤولية شرعية مع غض النظر عن تأثيره في الأشخاص أو عدم تأثيره.
E / في المكافأة والرد بالاحسان المضاعف
روى أبو جعفر المدائني في حديث طويل أنه: خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر - وهو ابن عمهما وزوج عقيلة بني هاشم زينب ٣ - حجاجا، ففاتهم أثقالهم، فجاعوا

----
١ - تحف العقول: ١٧٧.

وعطشوا، فرأوا في بعض الشعاب خباء رثا وعجوزا، فاستسقوها، فقالت: اطلبوا هذه الشويهة - أي الشاة - ففعلوا، واستطعموها فقالت: ليس إلا هي، فليقم أحدكم فليذبحها
حتى أصنع لكم طعاما. فذبحها أحدهم ثم شوت لهم من لحمها فأكلوا وقيلوا عندها، فلما
نهضوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه - أي متجهين نحو الحج -، فإذا انصرفنا وعدنا - إلى المدينة - فالممي بنا - أي زورينا - فإنا صانعون بك خيرا. ثم رحلوا.
فلما جاء زوجها - الجاهل - وعرف الحال أوجعها ضربا.. ثم مضت الأيام، فأضرت بها
الحال فرحلت حتى اجتازت بالمدينة، فبصر بها الحسن (عليه السلام) فأمر لها بألف شاة، وأعطاها
ألف دينار، وبعث معها رسولا إلى الحسين (عليه السلام) فأعطاها مثل ذلك، ثم بعثها إلى عبد الله
بن جعفر فأعطاها مثل ذلك (١).
هكذا هم أهل البيت (عليهم السلام) في مكافئتهم الإحسان المحسنين، بالأضعاف المضاعفة،
عملا بقوله تعالى * (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) * (٢).
ويعلموننا كيف نرغب فيما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) " إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من
باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام " (٣).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الكرم والإنفاق وإن كان صعبا في بدايته ولكنه مجلب للخير والسرور.
٢ - يحسن أن يكون رد الإحسان إلى المحسن أكبر، وذلك تعظيما لروح الإحسان في
المجتمع وتشجيعا للمحسنين.
E / في الثقة بالنفس وبيان الحق
عن أبي سلمة قال: حججت مع عمر بن الخطاب، فلما صرنا بالأبطح فإذا بأعرابي قد أقبل علينا فقال: يا أمير المؤمنين! إني خرجت وأنا حاج محرم، فأصبت بيض النعام، فاجتنيت - أي اخترت منها - وشويت وأكلت، فما يجب علي؟

----
١ - نفس المصدر.
٢ - سورة النساء: الآية ٨٦.

٣ - جامع السعادات: ج ٢ ص ٢٩٦.

قال عمر: ما يحضرني في ذلك شئ، فاجلس لعل الله يفرج عنك ببعض أصحاب محمد!
فإذا باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله) الإمام علي (عليه السلام) قد أقبل والحسين (عليه السلام) يتلوه، فقال عمر: يا
أعرابي! هذا علي بن أبي طالب، فدونك ومسألتك.
فقام الأعرابي وسأله، فقال علي (عليه السلام): يا أعرابي! سل هذا الغلام عندك - يعني الحسين (عليه السلام).
وفي تحويل الإمام (عليه السلام) له إلى ابنه الحسين (عليه السلام) وهو آنئذ شاب يافع، من المغزى الذي
لا يدركه إلا الموالون لأهل البيت (عليهم السلام) وكذلك الذين يريدون أن يفهموا الطريق إلى سنة
الرسول الشريفة.
فقال الأعرابي: إنما يحيلني كل واحد منكم على الآخر. فأشار الناس إليه: ويحك! هذا ابن رسول الله فاسأله:
فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله! إني خرجت من بيتي حاجا - وقص عليه القصة -.
فقال له الحسين: ألك إبل؟
فقال: نعم.
قال: خذ بعدد البيض - الذي أصبت - نوقا - جمع الناقة - فاضربها بالفحولة، فما فصلت - أي ولدت - فاهدها إلى بيت الله الحرام.
فقال عمر مناقشا: يا حسين! النوق يزلقن.
فقال الحسين: يا عمر! إن البيض يمرقن (١).
فقال عمر: صدقت وبررت.
فقام علي (عليه السلام) وضم الحسين إلى صدره، وقرأ: * (ذرية بعضها من بعض والله سميع
عليم) * (٢).
لقد بين الإمام علي (عليه السلام) بهذا الموقف وتلاوته لهذه الآية مكانة ابنه الحسين العلمية
وهو غلام حديث السن، وأن صغير أهل البيت (عليه السلام) عالم بأحكام الدين فكيف بكبيرهم،

---

١ - مرقت البيضة: أي فسدت.
٢ - بحار الأنوار ٤٣: ١٩٧ / ح ١٢ - قال العلامة المجلسي في مقدمة الحديث: روي في بعض مؤلفات أصحابنا عن أبي سلمة.. ثم روى الحادثة. أما الآية ففي سورة آل عمران: ٣٤.

(٧٧)

فهم الأولى بالخلافة لرسول الله وأمارة المؤمنين إذن.
وراح الحسين (عليه السلام) يبين لعمر بن الخطاب ثقته العالية بنفسه. فاعترف عمر له بذلك
ووصفه بالصادق البار. حيث لا يمكن وصفه (عليه السلام) بغير الصدق والبر أليس كذلك؟!
* الدروس المستفادة هنا:
١ - العلم والمعرفة يزرعان الثقة في النفس، وهذه ترفع صاحبها عند الناس.
٢ - لابد من إعطاء الأدوار والفرص للأبناء والكفوئين بشكل عام كي يأخذ الحق محله
الطبيعي في المجتمع والتأريخ.
٣ - مهما كان الحق مضمورا فإن ظهوره يركع الطرف الآخر لا محالة، وهو قد يعترف به
على لسانه أو في قلبه.
E / في التوسط للخير
دخل الحسين (عليه السلام) على معاوية يوما وعنده أعرابي يسأله حاجة، فأمسك معاوية
وتشاغل بالحسين (عليه السلام) - ليتهرب من قضاء حاجة الأعرابي -!
فقال الأعرابي لبعض من حضر: من هذا الذي دخل؟
قالوا: الحسين بن علي.
فقال الأعرابي للحسين (عليه السلام): أسألك يا ابن بنت رسول الله لما كلمته - أي معاوية - في
حاجتي.
فكلمه الحسين (عليه السلام) في ذلك فقضى حاجته، فقال الأعرابي:
أتيت العبشمي (١) فلم يجد لي * إلى أن هزه ابن الرسول
هو ابن المصطفى كرما وجودا * ومن بطن المطهرة البتول
وإن لهاشم فضلا عليكم * كما فضل الربيع على المحول
فقال معاوية: يا أعرابي! أعطيك وتمدحه؟!

----

١ - يعني: معاوية.

فقال الأعرابي: يا معاوية! أعطيتني من حقه، وقضيت حاجتي بقوله (١).
ترى هذا الأعرابي كان يعرف أخلاق الحسين (عليه السلام) وكرمه وعلو مكانته، ولكنه لم يعرفه
شخصيا، لذا لما عرفه طلب منه ذلك لعلمه أن الذي بيد معاوية هو مال المسلمين وهو يصرفه في إسرافه وتبذيره.
ومن كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) بهذه المناسبة: " شر خصال الملوك، الجبن من
الأعداء والقسوة على الضعفاء والبخل عند الاعطاء "
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لو كنت صالحا لا تفكر أن يعرفك الناس، فالله يعرفهم عليك وهو خير معرف.
٢ - ضرورة تعريف الشخصيات الرسالية في المجتمع وبيان تاريخهم الحافل بالمواقف المشرفة.
٣ - إن الطبيعة البشرية مجذوبة نحو أهل الخير والإحسان.
E / في شجاعة اليد واللسان
تعجز الكلمات عن وصف شجاعة الحسين (عليه السلام)، ولكن الأهم في هذه الصفة الأخلاقية
النادرة في الاشخاص هو ضبطها في مواردها الصحيحة. الحسين (عليه السلام) قد علمنا في موقفه
الآتي ذلك المفهوم الصحيح للشجاعة كي لا نسئ استخدام الشجاعة.
جاء في التأريخ انه، قال مروان بن الحكم يوما للحسين بن علي (عليهما السلام): لولا فخركم
بفاطمة بما كنتم تفتخرون علينا؟ فوثب الحسين (عليه السلام) وكان (عليه السلام) شديد القبضة، فقبض على
حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه، ثم تركه وأقبل الحسين (عليه السلام) على
جماعة من قريش فقال: " أنشدكم بالله إلا صدقتموني إن صدقت، أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله مني ومن أخي؟ أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي "؟
قالوا: لا.

----
١ - المناقب ٤: ٨١.

قال: " وإني لا أعلم أن في الأرض ملعون بن ملعون غير هذا وأبيه طريد رسول الله
صلى الله عليه وآله " (١).
وزاد الطبرسي في كتاب الإحتجاج: انه (عليه السلام) قال لمروان بن الحكم أيضا: "
وعلامة
قولي فيك أنك إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك ". قال الراوي: فوالله ما قام مروان
من
مجلسه حتى غضب فانتقض رداؤه عن عاتقه. (٢)
أنظر إلى هذا الغضب المقدس الذي أطلقه الحسين (عليه السلام) في وجه طاغية من
طغاة بني
أمية وأمرائهم المتجبرين. وبهذا إعرف صفة الشجاعة الحسينية وعظمة إمامك أيها
المسلم الموالي لأهل البيت (عليهم السلام).
وللإمام علي (عليه السلام) في وصف الشجاعة كلمة رائعة، يقول: " شجاعة الرجل
على قدر
همته، وغيرته على قدر حميته. "
وهنا هل علمت أين تضع شجاعتك وغضبك؟ إياك إياك أن تضعها في وجه أخيك
المنافس لك في أمر أو المقلد لمرجع غير مرجعك أو ما شابه ذلك.
علما ان الحسين (عليه السلام) لم يكن ليضع شجاعته (عليه السلام) في وجه عدوه -
مروان - لو لم يكن هذا
الخسيس يضع إهانته في وجه الحسين (عليه السلام)، مما نستفيد أن الغضب لا يكون
مطلوبا في
وجه العدو إلا إذا كان العدو بادئا في الإساءة وكان المؤمن مدافعا عن الحق الأهم.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لابد لذي العزة والكرامة أن يعد لنفسه قوة بدنية وشجاعة قلبية مسبقة للمبادرة إلى
الدفاع عن شخصيته عند اللزوم.
٢ - الغضب ضرورة أخلاقية مقدسة عند الدفاع عن الحق في وجه الظالمين.
E / في أسلوب الخطاب والتحدث
قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين.. فلو قد أمرته يصعد المنبر

----
١ - الاحتجاج: ١٥٣. والمناقب، لابن شهرآشوب ٤: ٥١.
٢ - الإحتجاج / ج ٢ ص ٢٤

ويخطب، فإن فيه حصرا أو في لسانه كلالة.
فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا.
فلم يزالوا به - أي يصرون عليه - حتى قال للحسين: يا أبا عبد الله! لو صعدت المنبر فخطبت. فصعد الحسين (عليه السلام) المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي (عليه السلام)، فسمع
رجلا يقول: من هذا الذي يخطب؟
فقال الحسين (عليه السلام): " نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله صلى الله عليه
وآله الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كل شئ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا يبطينا تأويله، بل نتبع حقايقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة. قال الله عز وجل: * (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول (١)) * وقال: * (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، لعلمه الذين
يستنبطونه منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) * (٢).
وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا
كأوليائه الذين قال لهم: * (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما تراءت الفئتان
نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم) * (٣). فتلقون للسيوف ضربا، وللرماح وردا، وللعمد حطما، وللسهام غرضا، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ".
قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله.. قد بلغت (٤).
انظر إلى تفاوت المنطقين، منطق الحسين (عليه السلام) وفيه ذكر الله والقرآن والمبادئ
الأخلاقية والدعوة إلى الخير والتذكير بالآخرة، ومنطق معاوية وفيه (حسبك) يعني (أسكت، يكفي)، لا تتكلم عن هذه الأمور التي تهدم ما بنيناه من سلطان الدنيا!

---

١ - سورة النساء: الآية ٥٩.
٢ - سورة النساء: ٨٣.
٣ - سورة الأنفال: ٤٨.
٤ - الاحتجاج: ٢٩٨ و ٢٩٩، المناقب ٤: ٦٧.

ويا للأسف على من لا يميز في المسلمين بين هذين المنطقين!
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الطاغوت لا يعتمد المنطق العلمي في نهجه الطغياني.
٢ - منطق الحق يهدم منطق الباطل إن فسح له المجال.
E / في اللباقة والحوار
روى ابن شهرآشوب في " مناقب آل أبي طالب " (١) أن عمرو بن العاص قال للحسين (عليه السلام): ما بال أولادنا أكثر من أولادكم؟
فقال (عليه السلام):
بغاث الطير أكثرها فراخا * وأم الصقر مقلات نزور (٢)
فقال عمرو: ما بال الشيب إلى شواربنا أسرع منه إلى شواربكم؟
فقال (عليه السلام): إن نساءكم نساء بخرة، فإذا دنا أحدكم من امرأته نهكته في وجهه،
فشاب منه شاربه.
فقال: ما بال لحائكم أوفر من لحائنا؟
فقال (عليه السلام): * (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) * (٣).
فقال معاوية لعمرو: بحقي عليك إلا سكت، فإنه ابن علي بن أبي طالب!
فقال الحسين (عليه السلام):
إن عادت العقرب عدنا لها * وكانت النعل لها حاضرة
قد علم العقرب واستيقنت * أن لا لها دنيا ولا آخرة

---

١ - المناقب لشهر بن آشوب: ج ٤ ص ٦٧.
٢ - البغاث: طائر أبغث إلى الغبرة بطئ الطيران وقيل: بغاث الطير أي شرارها وما لا يصيد منها. قوله: مقلات، لعله من القلى والقلة. والمعنى هو أن ذلك الطير الذي لاقيمة له يكثر من الفراخ حوله، بينما أم الصقر قليلة التوليد ولذا الصقور نزر وقلة وذات ثمن كبير. ويقصد الحسين (عليه السلام) أنه كالصقور وأن شانئه كالبغاث!
٣ - سورة الأعراف: الآية ٥٨.

وروى صالح بن كيسان قال: لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه.. حج - معاوية -
ذلك العام فلقي الحسين بن علي (عليه السلام) فقال - وهو يفخر -:
يا أبا عبد الله! هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟
فقال (عليه السلام): وما صنعت بهم؟
قال: قتلناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم.
فضحك الحسين (عليه السلام) - مستهزءا بعقله الصغير - ثم قال: " خصمك القوم يا معاوية،
لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم "!
ثم أضاف له الحسين (عليه السلام): " ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا، واعتراضك بني هاشم بالعيوب.. فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك، ثم سلها الحق عليها ولها، فإن لم تجدها أعظم عيبا فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترن غير قوسك، ولا ترمين غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب، فإنك والله لقد أطعت فينا رجلا - يعني " عمرو بن العاص " - ما قدم إسلامه، ولا حدث نفاقه،
ولا نظر لك، فانظر لنفسك أو دع -. (١)
هذا هو الحسين (عليه السلام) لا يخشى إذا أراد قول الحق ولا يجامل منافقا يستحق الرد. هذا
ويظهر من لقائه مع رأس الضلالة معاوية عدم حرمة اللقاء مع الطاغوت إذا كان فيه بيان للحق وإفحام للباطل كما تراه وإن كانت هنا المبادرة فيه من معاوية أو كان لقاءا على سبيل
(الصدفة). ثم إن الحسين (عليه السلام) يعلمنا هنا أخلاقية الحوار الهادئ بصلابة الموقف. فالحكمة
واللباقة ووضع الكلمة في مكانها المناسب من عناصر الأخلاق الاسلامية عند الإمام الحسين
(عليه السلام).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لا يستطيع المحق أن يفحم أهل الباطل إلا بعلم يكون قد تعلمه من قبل.
٢ - لابد للمصلحين أن يتابعوا أخبار الحوادث الاجتماعية والسياسية حولهم للمحاججة حين الجدال مع أهل الباطل.

---

١ - مناقب: ٢٩٦ و ٢٩٧.

E / في الجدال بالتي هي أحسن

بينما كان يحدث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق فقال له: يا ابن عباس تفتي الناس في النملة والقملة؟! صف لي إلهك الذي تعبده!

فأطرق ابن عباس إعظاما لقوله، - أي لهذا السؤال العظيم في حضور الحسين بن علي (عليهما السلام) - فقال - له الحسين (عليه السلام) -: " إلى يا بن الأزرق ".

قال ابن الأزرق - وكان مبغضا لأهل البيت (عليهم السلام) -: لست إياك أسأل.

قال ابن عباس: يا ابن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم.

فأقبل نافع نحو الحسين (عليه السلام).

فقال له الحسين (عليه السلام): " يا نافع إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الالتباس، سائلا ناكبا عن المنهاج، ظاعنا بالاعوجاج، ضالا عن السبيل، قائلا غير الجميل، يا ابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرفه بما عرف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير منتقص، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال ".

فبكى ابن الأزرق وقال: يا حسين ما أحسن كلامك؟!

قال له الحسين (عليه السلام): " بلغني أنك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر وعلي؟ "

قال ابن الأزرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام.

فقال له الحسين (عليه السلام): " إني سائلك عن مسألة "

قال: اسأل.

فسأله عن هذه الآية: * (و أما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) * (١) " يا ابن الأزرق من حفظ في الغلامين؟ "

قال ابن الأزرق: أبوهما؟

قال الحسين (عليه السلام): " فأبوهما خير أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ "

قال ابن الأزرق: قد أنبأنا الله تعالى أنكم قوم خصمون. (٢)

---

١ - سورة الكهف: الآية ٨١.

٢ - تاريخ ابن عساكر " ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ": ١٥٧ حديث ٢٠٣.

في هذا الموقف نجد صفة الحلم الحسيني لما أهانه الرجل بقوله (لست إياك أسأل).
ثم نجد البلاغة التوحيدية للإمام (عليه السلام) حيث انبهر بها الرجل وقال (ما أحسن كلامك).
ثم نجد معالجة الحسين (عليه السلام) لإشكالية عقائدية في ذهن الرجل حول موقفه العدائي من
الإمام علي والحسن والحسين (عليهم السلام) حيث خاصمه الحسين (عليه السلام) بآية قرآنية فلم يترك
للرجل مجالا لرد هذا الدليل، فاكتفى بالقول (انكم قوم خصمون). وهذا إما يقصد منه الخصومة بمعنى انهم ذوو أدلة دامغة لمن يخاصمهم ويناقشهم في أي شئ، وإما يقصد أنهم قوم لا يسكتون عن الجدال والخصومة مع مخالفيهم. ومهما كان قصد الرجل فإن الحسين (عليه السلام) قد سجل عليه عدة نقاط أخلاقية وعقائدية.
نعم.. هكذا يجادل الإمام (عليه السلام) بالتي هي أحسن، لتبقى الأخلاق القرآنية هي العالية علو
الحق المنتصر دوما. اللهم إنا نشكرك على نعمة الولاية لأهل الحق، أهل البيت، أهل الفضيلة التوحيدية الخالدة.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - احترام الأعلم في حضوره مسألة أخلاقية تجب مراعاتها.
٢ - الجدال من أجل بيان الحقيقة وإفحام الجاهل المعاند ضرورة علمية وأخلاقية.
٣ - العلم والإحاطة بالموضوع أمر هام في الحوار والجدال الهادف.
E / في حسن الإجابة
أن تكون عالما وتحسن أسلوب الإجابة على أسألة السائلين، فهذا أمر أخلاقي هام. وتقرأوه في الموقف الحسيني التالي:
عن سعيد بن المسيب، قال: سمعت علي ابن الحسين (عليهما السلام) يقول: " إن رجلا جاء إلى
أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: أخبرني إن كنت عالما عن الناس، وعن أشباه الناس، وعن
النسناس؟
فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا حسين أجب الرجل.
فقال الحسين (عليه السلام): " أما قولك: أخبرني عن الناس، فنحن الناس، ولذلك قال الله

(تعالى ذكره) في كتابه: * (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) * (١) فرسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي
أفاض بالناس. وأما قولك: أشباه الناس، فهم شيعتنا، وهم موالينا، وهم منا، ولذلك
قال إبراهيم (عليه السلام): * (فمن تبعني فإنه منى) * (٢). واما قولك: النسناس، فهم السواد الأعظم،
وأشار بيده إلى جماعة الناس، ثم قال: * (إن هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا (٣) * (٤).
إن الحقائق العقائدية يبينها الإمام الحسين (عليه السلام) - بتحويل مقصود وهادف من أبيه
علي (عليه السلام) إليه - تكشف عن حقيقة الصراط المستقيم التي الأخلاق الإسلامية جزء منها
لا يتجزء.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - يمكن لغرض حكيم تحويل الإجابة على السؤال إلى عالم آخر.
٢ - لابد في الإجابة على الأسئلة من الاختصار الجامع والمقنع.
E / في الحلم والموقف من الشاتم
قال الله تعالى: * (إدفع باللتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) * (٥)
سؤال نسأله من أنفسنا: كم مرة عملنا بهذه الآية الكريمة في حياتنا؟ ليس مهما عدد المرات الحسابية إنما المهم أن نعمل بها فوق العدد حتى تصير الآية جزءا من حياتنا.
قلنا أن للحسين (عليه السلام) أخلاق عظيمة قد ورثها من جده المنعوت في القرآن * (وإنك لعلى
خلق عظيم) * (٦). ونحن مهما نطالع في مواقفه الأخلاقية (عليه السلام) لم نحط بكل زواياها، بل ما
وجدناه لم نبلغ عمقه تماما. من ذلك ما حكاه المرحوم المحدث القمي إذ قال: رأيت في
بعض الكتب الأخلاقية ما هذا لفظه: قال عصار بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي (عليهما السلام)، فأعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري

---

١ - سورة البقرة: الآية ١٩٩.
٢ - سورة إبراهيم: الآية ٣٦.
٣ - سورة الفرقان: الآية ٤٤.

٤ – الكافي ٨: ٢٤٤ حديث ٣٣٩، تفسير البرهان ١: ٢٠١ حديث ٢، نور الثقلين ٤: ٢١ حديث ٦٨، بحار الأنوار
٢٤: ٩٥ حديث ٢، كنز الدقائق ١: ٤٨٥.
٥ – سورة فصلت / ٣٤.
٦ – القلم: ٤.

لأبيه من البغض، فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟
فقال (عليه السلام): نعم.
فبالغت شتمه وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف ثم قال: " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، * (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم، ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون، وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون) * (١).
ثم قال (عليه السلام) لي: " خفض عليك، أستغفر الله لي ولك، انك لو استعنتنا لأعناك، ولو
استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك ".
قال عصار: فتوسم مني الندم على ما فرط مني.
فقال (عليه السلام): * (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) * (٢) - ثم أضاف
يسأل - أمن أهل الشام أنت؟ "
قلت: نعم.
فقال (عليه السلام): " شنشنة أعرفها من أخزم، (٣) حيانا الله وإياك، انبسط إلينا في حوائجك
وما يعرض لك تجدني عند أفضل ظنك ان شاءالله تعالى ".
قال عصار: فضاقت علي الأرض بما رحبت، ووددت لو ساخت بي، ثم سللت منه لواذا، وما على الأرض أحب إلي منه ومن أبيه. (٤)
هكذا هو الأسلوب مع العدو الذي يجهل مقام الحق أو المبغض الذي لا يحب أهل الحق. وكم ينبغي سكب دموع الأسف على بعض من يدعي اتباع الحسين (عليه السلام) وقد ضيع
هذا الأسلوب الحسيني حتى مع أقرب صديق له اختلف معه في جزء من أجزاء المسائل الفرعية، فشال عليه الدنيا ولم يقعدها، وتراه يستمر ويسترسل في عدائه التافه حتى يفضل الإرتماء في أحضان عدو الحسين (عليه السلام) من أن يتصالح مع أخيه الأقرب إليه في الدين

\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-

١ - الأعراف: ١٩٩.
٢ - يوسف: ٩٢.
٣ - من أمثال العرب الدالة على المعرفة القرائنية.
٤ - نفثة المصدور: ٦١٤.

والمذهب، أنه يفعل هذا الحرام البين دون تأمل في مبرراته الواهية.
وما أجمل ما قاله الحسين (عليه السلام) بهذه المناسبة فيما رواه ابنه الإمام زين
العابدين (عليه السلام) قال:
سمعت الحسين (عليه السلام) يقول: " لو شتمني رجل في هذه الاذن وأومئ إلى
اليمنى،
واعتذر لي في الأخرى، لقبلت ذلك منه، وذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب (عليه السلام) حدثني أنه سمع جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لا
يرد الحوض من لم يقبل العذر
من محق أو مبطل ". (١)
دقق جيدا، إن محور العفو والحلم والسماحة هنا هو اعتذار المسئ، فما أجدر بأتباع
الحسين (عليه السلام) أن يعتذروا إذا ما أساؤا إلى بعضهم، ولكن صعودا إلى قمة
المناقبية الأخلاقية
من الجيد العفو حتى من دون الاعتذار.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لا تستعجل الرد بالمثل بل قدم الأخلاق السمحة وانتظر الثمرة الرائعة.
٢ - الاعتذار من الخطأ نوع من أداء حق الناس وهو من طرق الإصلاح والانتصار.
E / في السخاء والعطف على الحيوان
عن الحسن البصري: أن الحسين (عليه السلام) ذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستانه،
وكان في
ذلك البستان غلام للحسين (عليه السلام) اسمه صافي، فلما قرب من البستان رأى
الغلام قاعدا يأكل
الخبز، فجلس الحسين (عليه السلام) عند بعض النخل بحيث لا يراه الغلام، فنظر إليه
الحسين (عليه السلام) و
هو يرفع الرغيف فيرمي نصفه إلى الكلب ويأكل نصفه، فتعجب الحسين (عليه السلام)
من فعل
الغلام، فلما فرغ من الأكل، قال: الحمد لله رب العالمين، اللهم اغفر لي واغفر لسيدي
كما
باركت لأبويه برحمتك يا أرحم الراحمين.
فقام الحسين (عليه السلام) وقال: " يا صافي ".
فقام الغلام فزعا وقال: يا سيدي وسيد المؤمنين إلى يوم القيامة، إني ما رأيتك فأعف
عني.

---

١ - إحقاق الحق ١١: ٤٣١، نظم درر السمطين ٢٠٩.

فقال الحسين (عليه السلام): " اجعلني في حل يا صافي، لاني دخلت بستانك بغير
إذنك ".
تأمل كيف يتكلم الحسين (عليه السلام) مع خادمه، يقول له حللني أني دخلت
(بستانك) بغير
إذنك!
فقال صافي: بفضلك يا سيدي وكرمك وسؤددك تقول هذا؟
فقال الحسين (عليه السلام): " إني رأيتك ترمى نصف الرغيف إلى الكلب وتأكل
نصفه، فما
معنى ذلك "؟
فقال الغلام: إن هذا الكلب نظر إلي وأنا آكل فاستحييت منه، وهو كلبك يحرس
بستانك وأنا عبدك نأكل رزقك معا.
فبكى الحسين (عليه السلام) وقال: " إن كان كذلك فأنت عتيق لله تعالى ووهبت لك
الفي
دينار ".
فقال الغلام: إن أعتقتني فأنا أريد القيام ببستانك.
فقال الحسين (عليه السلام): " إن الكريم ينبغي له أن يصدق قوله بالفعل، أو ما قلت
لك
إجعلني في حل فقد دخلت بستانك بغير إذنك، فصدقت قولي ووهبت البستان وما فيه
لك، فاجعل أصحابي الذين جاؤوا معي أضيافا، وأكرمهم من أجلي أكرمك الله تعالى
يوم القيامة وبارك لك في حسن خلقك وأدبك ".
فقال الغلام إن وهبتني بستانك فإني قد سبلته (١) لأصحابك وشيعتك. (٢)
ماذا دعى الإمام (عليه السلام) إلى هذا السخاء؟ أليس موقفا قد رآه في عبده وخادمه
في بستانه؟
إن الموقف الذي ارتاح له الحسين (عليه السلام) وارتاحت له نفسه الكريمة هو رعاية
عبده شعور
الكلب، إذ كان يأبى أن يأكل لوحده ولا يقدم من أكله شيئا لذلك الكلب؟
انظر أيها المسلم إلى أخلاق هذا العبد وأخلاق إمامة الحسين (عليه السلام) في الجود
والسخاء
وحب الإنسان والحيوان. هذا ما نحتاجه في كل الأزمان، وخاصة في زماننا إذ أصبح
بعض
المسلمين لا يرى لأخيه المسلم حرمة وقيمة!!!

----

١ - سبله: أي جعله في سبيل الله وأباحه للخير.
٢ - المجالس السنية ١: ٢٦ مجلس ١٢، مستدرك الوسائل ٧: ١٩٢ حديث ٨٠٠٦، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ١٥٣، إحقاق الحق ١١: ٤٤٦ مع اختلاف في الألفاظ.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - الكريم يفي بوعده إذا وعد.
٢ - الكرم سنة حسنة، ينبغي لفاعلها الاستدامة عليها وتعميمها إلى الآخرين.
٣ - احترام الحيوانات كذلك مبدأ أخلاقي في الاسلام الحسيني.
٤ - إن الجود والعطاء يعيد الخير إلى فاعله.
E / في الصبر والرضا بالقضاء
كيف تنظر إلى المصائب والصعوبات في حياتك؟ هل تسمح لها أن تمر عليك وأنت ثابت القدم، صارم النفس، قوي العقيدة، أم ترميك في الكآبة والحزن الذي لا يزول والهم
الذي لا ينقطع؟
إن عرضنا هذا السؤال على الإمام الحسين (عليه السلام) لأجابنا بما أجاب الذين سألوه مثل ذلك.
فخذ الحديث:
عن إسماعيل بن يحيى المزني قال: سمعت الشافعي يقول: مات ابن للحسين (عليه السلام) فلم
ير به كآبة (١)، فعوتب على ذلك، فقال (عليه السلام): إنا - أهل البيت - نسأل الله عز وجل فيعطينا،
فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا (٢).
إن الرضي عقيدة في القلب، وتسليم الجوارح عند حلول المصائب ترجمة دقيقة لتلك العقيدة. والإمام الحسين (عليه السلام) قد ترجم عقيدته على واقع الحياة، بدقة فريدة من
نوعها.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - كل حقيقة تبقى مرفوعة على جبين التأريخ، وترفرف على وجه الحياة إذا سلم ذو العلاقة بها أمره إلى الله تعالى بقلب ملؤه الرضا والحب لله واليقين بوعد الله.
٢ - الروح تقوى على ألم الجسم كلما غذاها الإنسان بمعطيات العقيدة بالله..

----
١ - في اللغة: كئب - كآبة: تغيرت نفسه وانكسرت من شدة الهم والحزن.
٢ - مقتل الحسين عليه السلام، للخوارزمي ١: ١٤٧.

E / في قضاء الحوائج والتنافس بالجود

روي عن الحسين بن علي (عليهما السلام) أنه قال: صح عندي قول النبي (صلى الله عليه وآله): أفضل الأعمال

بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه، فاني رأيت غلاما يواكل كلبا فقلت له في ذلك.

فقال: يا بن رسول الله إني مغموم أطلب سرورا بسروره، لأن صاحبي يهودي أريد أفارقه.

فأتى الحسين إلى صاحبه بمائتي دينار ثمنا له. فقال اليهودي: الغلام فداء لخطاك، و هذا البستان له، ورددت عليك المال، فقال (عليه السلام) " وأنا قد وهبت لك المال ".

قال: قبلت المال ووهبته للغلام.

فقال الحسين (عليه السلام): " أعتقت الغلام ووهبته له جميعا ".

فقالت امرأته: قد أسلمت، ووهبت زوجي مهري.

فقال اليهودي: وأنا أيضا أسلمت وأعطيتها هذه الدار. (١)

ما أربح هذه الصفقات الأخلاقية!

يا لهذه المواقف من عظمة وشموخ في المعنوية والجود والأخلاق!

لا يمكن لنا أبدا إلا أن نقف إجلالا لإمام هذه مواقفه الأخلاقية التي تهز الشعور الإنساني حتى في اليهود الذين من الصعب هدايتهم. حقا إن الحسين أخلاق رسالية كلها.

* الدروس المستفادة هنا:

١ - إن الأخلاق الجميلة هادية للانسان، فالمطلوب التزامها في إنجاز التوعية والهداية.

٢ - المال الذي يجود به الانسان يذهب ولكن أثره يبقى في هداية الآخرين كلما تناقلوا خبره، وهذا يدر على الجواد أجرا على أجر في صحيفة آخرته.

٣ - إقض حاجة إنسان يطرق بابك لتجد كل السرور في حياتك.

---

١ - المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٧٥، بحار الأنوار ٤٤: ١٩٤ حديث ٤.

E / في العبادة والتواضع
إن بين عبادة الله والتضرع والتذلل على أعتاب باب الله، وبين التواضع والعطاء لعباد الله
والأعمال الاجتماعية المشروعة علاقة وثيقة غير قابلة للتفكيك.
ورد في كتب التاريخ ان الحسين (عليه السلام) شوهد يطوف بالبيت، ثم صار إلى مقام إبراهيم
فصلى، ثم وضع خده على المقام فجعل يبكي ويقول: " عبيدك ببابك، خويدمك ببابك، سائلك ببابك، مسكينك ببابك " يردد ذلك مرارا، ثم انصرف فمر بمساكين معهم
فلق خبز يأكلون، فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فجلس معهم وقال: " لولا أنه صدقة لأكلت معكم "، ثم قال (عليه السلام): " قوموا إلى منزلي " فأطعمهم وكساهم وأمر لهم
بدراهم. (١)
فالعبادة لله في النظرية الأخلاقية عند الحسين (عليه السلام) لا تنفصل عن التواضع والانفاق
وخدمة العباد وفي الحديث: " من تواضع لله رفعه ". وسئل الإمام الحسين عن الأدب فقال:
" هو أن تخرج من بيتك، فلا تلقي أحدا إلا رأيت له الفضل عليك " (٢).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - العبادة والتضرع إلى الله أساس حسن الخلق مع الناس.
٢ - التواضع والإنفاق ومساعدة الفقراء نوع من العبادة والتقرب إلى الله.
E / في المروة والذكاء والأمانة
قال معاوية ليزيد: هل بقيت لذة من الدنيا لم تنلها؟
قال: نعم، أم أبيها (هند بنت سهيل بن عمرو) خطبتها، وخطبها عبد الله بن عامر بن كريز، فتزوجته وتركتني. (٣)

----
١ - إحقاق الحق ١١: ٤٢٣.
٢ - ديوان الإمام الحسين (عليه السلام): ٩٩ (عن جمال الخواطر ٢: ٧٥).
٣ - ذكرت هذه القصة في بعض المصادر مثل " ثمرات الأوراق " ج ٧ ص ١٧٤ للشيخ تقي الدين الحنفي أنها كانت أرينب بنت إسحاق وكانت من أعرق الحجازيات نسبا وأكثرهن مالا ومثل من الجمال. وكذلك ذكرها السيد الجزائري في كتابه أنوار النعمانية.

فأرسل معاوية إلى عبد الله بن عامر، وهو عامله على البصرة، فلما قدم عليه قال: أنزل عن أم أبيها لولي عهد المسلمين يزيد - أي طلقها ليتزوجها يزيد -.
قال: ما كنت لافعل.
قال: أقطعك البصرة فإن لم تفعل عزلتك عنها. - انظر إلى أسلوب الطغاة في الترغيب والترهيب -.
قال: وإن - أي وافق على العزل دون طلاق زوجته -.
فلما خرج من عنده قال له مولاه: امرأة بامرأة، أتترك البصرة بطلاق امرأة؟
فرجع إلى معاوية فقال: هي طلاق، فرده إلى البصرة، فلما دخل تلقته أم أبيها فقال: استتري لأنه أصبحت مطلقة أجنبية عنه.
فقالت: فعلها اللعين، واستترت.
قال: فعد معاوية الأيام حتى إذا نقضت العدة وجه أبا هريرة يخطبها ليزيد وقال له: أمهرها بألف ألف، فخرج أبو هريرة فقدم المدينة، فمر بالحسين بن علي (عليهما السلام) فقال (عليه السلام): "
ما أقدمك المدينة يا أبا هريرة "؟
قال: أريد البصرة أخطب أم أبيها لولي عهد المسلمين يزيد.
قال (عليه السلام): " فترى أن تذكرني لها ".
قال: إن شئت.
قال (عليه السلام): " قد شئت ".
فقدم أبو هريرة البصرة فقال لها: يا أم أبيها إن أمير المؤمنين - معاوية - يخطبك لولي عهد المسلمين يزيد، وقد بذل لك في الصداق ألف ألف. ومررت بالحسين بن علي فذكرك.
قالت: فما ترى يا أبا هريرة.
قال: ذلك إليك.
قالت: فشفة قبلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحب إلي.
قال: فتزوجت الحسين بن علي (عليهما السلام)، ورجع أبو هريرة فأخبر معاوية.
قال: فقال له - معاوية -: يا حمار ليس لهذا وجهناك.

- نعم هكذا قطع الإمام الحسين (عليه السلام) الطريق على عبدة الشهوات معاوية وابنه يزيد
الطامعين في أعراض المسلمين -.
قال: فلما كان بعد ذلك حج عبد الله بن عامر فمر بالمدينة فلقي الحسين بن
علي (عليهما السلام) فقال له: يا بن رسول الله تأذن لي في كلام أم أبيها.
فقال: " إذا شئت "، فدخل معه البيت، واستأذن على أم أبيها فأذنت له، ودخل معه
الحسين (عليه السلام)، فقال لها عبد الله بن عامر: يا أم أبيها ما فعلت الوديعة التي استودعتك؟
قالت: عندي. - ونادت - يا جارية هاتي سفط كذا. فجائت به ففتحته وإذا هو مملو لآلئ
وجوهر يتلألأ، فبكى ابن عامر.
فقال الحسين (عليه السلام): " ما يبكيك "؟
فقال: يا بن رسول الله أتلومني على أن أبكي على مثلها في ورعها، وكمالها، ووفائها.
قال (عليه السلام): " يا بن عامر نعم المحلل كنت لكما، هي طلاق "، فحج، فلما رجع
تزوج بها.
يا سبحان الله، ما أعظمك يا ابن رسول الله؟! أنت قمة المروءة والشرف، قمة الذكاء
وحفظ الأمانة، قمة الشجاعة والنزاهة والإيثار، لا أدري وهل بقيت فضيلة لست في قمتها
يا سيدي أيها الشامخ المتلألئ في سماء الأخلاق الإلهية؟
يا ليت بعضنا استلهم من بعض ما أنت على كله يا أبا عبد الله.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - القيم الانسانية تمنع الشهوة من السيطرة على الإنسان، ويبقى الإنسان في سلامة
من سرابها إذا ما عاش تلك القيم.
٢ - المروءة والشرف والحكمة في التصرف تظهر في سلوك الذي لا يعيش في داخله
ضغط الشهوات، أما الذي هكذا فلا يستطيع الحكمة في التصرف.
٣ - لابد لأفراد المجتمع أن يتربوا على نهج الحسين (عليه السلام) وإلا ماتوا في دناءة اليزيديين
وبهيمية الشهوات.
٤ - من واجب ذوي الغيرة والمروءة حفظ شرف نساء الأمة ومنع الأيادي الأثيمة من
الوصول إلى الفتيات المسلمات.

E / في الزواج والتصرف الحكيم
خطب الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) عائشة بنت عثمان، فاعترض مروان وقال: بل
أزوجها عبد الله بن زبير!
وبعد مدة كتب معاوية إلى مروان - وكان عامله على الحجاز - يأمره بأن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد، فأتى مروان إلى عبد الله بن جعفر فأخبره بذلك،
فقال عبد الله: إن أمرها ليس إلي إنما هو إلى سيدنا الحسين (عليه السلام) وهو خالها.
فأخبر الحسين بذلك. فقال (عليه السلام): " أستخير الله تعالى. اللهم وفق لهذه الجارية رضاك
من آل محمد ". - هكذا كان يريد الحسين أن يرد على مروان ومعاوية ردا بالمثل وتحقيرا
للحقراء -.
فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين (عليه السلام)
وعنده من الجلة - أي الأصحاب الأجلة -. فقال مروان: إن (أمير المؤمنين!!) أمرني بذلك
- أي أن أخطب أم كلثوم ليزيد -. وأن أجعل مهرها:
١ - حكم أبيها بالغا ما بلغ - يعني كل ما يحكمه أبوها من مقدار المهر -.
٢ - مع صلح ما بين هذين الحيين - أي الصلح بين الحسن ومعاوية -.
٣ - مع قضاء دينه - أي تسديد ديون أبيها -.
وأضاف مروان للحسين (عليه السلام) إغراءا به وترغيبا في الصفقة قائلا: وأعلم أن من يغبطكم
بيزيد أكثر ممن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفو من لا كفو له، وبوجهه
يستسقى الغمام!! فرد خيرا يا أبا عبد الله.
فقال له الحسين (عليه السلام): " الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا
على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه، وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئا إلا انتقصه الله من حقه في عاجل دنياه وآخرته، ولا يكون علينا دولة الا كانت لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين ".
وأضاف له الحسين (عليه السلام) ردا فيه تفصيل: " يا مروان قد قلت فسمعنا، أما قولك: مهرها

حكم أبيها بالغا ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك، ما عدونا سنة رسول الله في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمأة وثمانين درهما.

وأما قولك مع قضاء دين أبيها، فمتى كن نسائنا يقضين عنا ديوننا، وأما صلح
ما بين هذين الحيين: فإنا قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم للدنيا، فلعمري
فلقد أعيى النسب فكيف السبب؟!
وأما قولك العجب ليزيد كيف يستمهر، فقد استمهر من هو خير من يزيد، ومن أب
يزيد؟! ومن جد يزيد؟!
وأما قولك: أن يزيد كفو من لا كفو له، فمن كان كفوه قبل اليوم، فهو كفوه اليوم،
ما زادته أمارته في الكفائة شيئا.
وأما قولك بوجهه يستسقى الغمام!! فإنما كان بوجه رسول لله (صلى الله عليه وآله).
وأما قولك من يغبطنا به أكثر ممن يغبطه بنا، فإنما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه
بنا أهل العقل.
ثم قال بعد كلام: فاشهدوا جميعا، أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من
ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر، على أربعمأة وثمانين درهما، وقد نحلتها ضيعتي
بالمدينة - أو قال: أرضي بالعقيق، وأن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما
غنى إن شاء الله ".
فتغير وجه مروان، وقال: غدرا يا بني هاشم، تأبون إلا العداوة.
فذكره الحسين (عليه السلام) خطبة الحسن، عائشة بنت عثمان وفعله ثم قال: " فأين
موضع
الغدر يا مروان "؟
فقال مروان:
أردنا صهركم لنجد ودا * قد أخلقه به حدث الزمان
فلما جئتكم فجبهتموني * وبحتم بالضمير من الشنان
وهنا لم يتنزل الحسين (عليه السلام) لرده، بل أحاله على ذكوان مولى بني هاشم (وهو
أحد
الموالين المرافقين للحسين (عليه السلام)) فأجابه ذكوان بالشعر قائلا:
أماط الله منهم كل رجس * وطهرهم بذلك في المثاني
فما لهم، سواهم من نظير * ولا كفو هناك ولا مداني
أتجعل كل جبار عنيد * إلى الأخيار من أهل الجنان

ثم إن الحسين تزوج بعايشة بنت عثمان (١) رغما على أنف مروان، وكانت امرأة صالحة.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - السعي للتزويج إذا كان كفوا فذاك سعي أخلاقي حميد، وإلا فلا يحسن ذلك بل يجب المنع إذا أمكن.
٢ - لابد من الرد بالمثل لكي يعرف الدنئ قدره ويهان عنده.
٣ - يجب عدم التضحية بسعادة الفتاة الزوجية لكسب المال والمصالح الزوجية والتحالفات السياسية.
٤ - عندما لا تريد القبول بشئ فليكن إبلاغك للطرف الآخر مقترنا بالحكمة والذكاء.
٥ - يجب إهداء ما يدر النفقة على المتزوجين الشباب في حالة الاستطاعة.
E / في الحب وحسن المعاشرة
ذكر الكاتب المصري المعروف عباس محمود العقاد في كتابه القيم عن حياة الإمام الحسين (عليه السلام) المسمى ب (أبو الشهداء) ما نسب إليه من الشعر:
" لعمرك إنني لأحب دارا * تكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالي * وليس لعاتب عندي عتاب "
ثم قال بما خلاصته: إن الحسين كان ممن يود عياله ويريهم جميل حبه وشديد اهتمامه، ويعاملهم بأحسن الأخلاق والرعاية والبذل.
فكانت زوجته الرباب من أوفى زوجاته الكريمات، فقد رفضت من بعد الحسين (عليه السلام)
أن تتزوج بكل من تقدم إليها، وكانت تقول: ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) - أي
بعد أن تشرفت بالزواج مع الحسين (عليه السلام) وصار جده رسول الله لي حما فلن أقبل حما غيره
أبدا -.
فكانت دائمة الحزن والبكاء ولم تسكن دارا يعلوها ظل مواساة بالحسين (عليه السلام) الذي

---

١ - بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٢٠٧، والمناقب / ج ٤ ص ٣٨.

ترك جسده الطاهر مقطوع الرأس على رمضاء كربلاء ثلاثة أيام. (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - كن شفيقا مع زوجتك وبناتك في المنزل، رفيع الأخلاق، سمحا وجذابا ولطيفا.
٢ - من حسن الأخلاق أن تبذل لعيالك ما يحتاجونه.
٣ - إن القيم الأخلاقية تمتد آثارها على ظهر الزمان ولن تبيد ولا تبلى.
E / في التسامح واللين
روي أن رجلا صار إلى الحسين (عليه السلام) فقال: جئتك أستشيرك في تزويجي فلانة.
فقال (عليه السلام): " لا أحب ذلك لك ".
وكانت كثيرة المال وكان الرجل أيضا مكثرا. فخالف الحسين (عليه السلام) فتزوج بها، فلم يلبث
الرجل حتى افتقر، فقال له الحسين (عليه السلام): " قد أشرت إليك، فخل سبيلها، فإن الله
يعوضك خيرا منها "، ثم قال (عليه السلام): " وعليك بفلانة ".
فتزوجها، فما مضت سنة حتى كثر ماله، وولدت له ولدا ذكرا، ورأى منها ما أحب. (٢)
لقد اتبع الرجل هواه حينما نظر إلى مال تلك المرأة، فتزوجها لمالها ولم يفلح لا في زواجه.
وكان الحسين (عليه السلام) حينما أشار عليه ينظر إلى هذه النتيجة من خلال تلك المقدمة، ثم
عوضه بنصيحة أخرى فأفلح في زواجه الثاني. بينما لو كان غير الحسين (عليه السلام) لأمتعض منه
على مخالفته لرأيه الأول فلم ينصحه برأي آخر.
هكذا كانت أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) التسامح واللين وحب الخير للآخرين مهما كانوا
مقصرين.

----
١ - لضيق الوقت ترجمنا هذه القصة من كتاب بالفارسية نقلا عن المصدر المذكور في المتن وكتاب (الحسين سمو المعنى في سمو الذات / ص ١٥٢ - للشيخ عبد الله العلايلي)
٢ - الخرائج والجرائح ١: ٢٤٨ حديث ٤، بحار الأنوار ٤٤: ١٨٢ حديث ٦، اثبات الهداة ٥: ١٩١ حديث ٢٩ و
٢٠٥ حديث ٦٣، مدينة المعاجز ٣: ٥١٢ حديث ١٠٢٨، العوالم ١٧: ٥٦ حديث ٥ وفيه ذكرا وأنثى، وسائل الشيعة ١٤: ٣٢ حديث ١٠.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن مبدأ التسامح مع الناس جزء لا يتجزأ عن الأخلاق المطلوبة في العلاقات الاجتماعية.
٢ - ينبغي للانسان أن يقدم الخير إلى غيره ولا يتبعه بالمن والأذى، بل يجعل فعله من أجل الخير نفسه والأجر في آخرته.
٣ - إن النصيحة لا تخضع للحسابات الذاتية، إنما هي ملك للجميع، فلا يجدر البخل فيها.
E / في رفع الخصومة وإظهار الحق
إن من الأخلاق أيضا أن تبادر إلى حل مشاكل الآخرين ورفع الخصومات بينهم. وكان الحسين (عليه السلام) ذات مرة قد ضرب عصفورين بحجر واحد - كما في المثل -. إذ رفع
الخصومة بين أشخاص وأظهر لهم في نفس الوقت مكانة الإمامة عند الله.
روى صفوان بن مهران، قال: سمعت - الإمام جعفر - الصادق (عليه السلام) يقول: " رجلان
اختصما في زمن الحسين (عليه السلام) في امرأة وولدها، فقال: هذا لي، وقال: هذا لي، فمر بهما
الحسين (عليه السلام)، فقال لهما: " فيماذا تمرجان؟ "
قال أحدهما: إن الامرأة لي، وقال الآخر: إن الولد لي.
فقال للمدعي الأول: " اقعد " فقعد، وكان الغلام رضيعا، فقال الحسين (عليه السلام) - للمرأة -:
" يا هذه اصدقي من قبل أن يهتك الله سترك ".
فقالت: هذا زوجي والولد له ولا أعرف هذا.
فقال (عليه السلام): " يا غلام ما تقول هذه؟ أنطق بإذن الله تعالى. "
فقال له: ما أنا لهذا ولا لهذا! وما أبي إلا راع لآل فلان. فأمر (عليه السلام) برجمها. - لأنها كانت
ذات بعل وزانية، والقتل رجما حكمها -.
قال جعفر - الصادق - (عليه السلام): فلم يسمع أحد نطق ذلك الغلام بعدها. (١)

---

١ - المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٥١، بحار الأنوار ٤٤: ١٨٤ حديث ١١، مدينة المعاجز ٣: ٥٠٠ حديث
١٠١٥، اثبات الهداة ٥: ٢٠٩ حديث ٧٨، العوالم ١٧: ٤٩ حديث ١، تظلم الزهراء (عليها السلام): ٢٤.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - إمهال المذنب الغافل قبل إنزال العقوبة به.
٢ - المبادرة إلى حل المشاكل الاجتماعية والمشاجرات العائلية.
E / في الأمانة وقضاء الحوائج
إن معاجز الله لأوليائه تهدف إلى تكريس منزلتهم في القلوب، ليهتدي إليهم كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ثم يتأسوا بهم في ممارساتهم الأخلاقية، من هذا المنطلق
تأمل في القضية التالية التي تضمنت مفهوم السعي لقضاء الحوائج:
يقول الراوي كنا عند الحسين (عليه السلام) إذ دخل عليه شاب يبكي، فقال له الحسين (عليه السلام): " ما
يبكيك "؟
قال: إن والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توص، ولها مال وكانت قد أمرتني أن أحدث في أمرها شيئا حتى أعلمك خبرها.
فقال الحسين (عليه السلام): " قوموا بنا حتى نصير إلى هذه الحرة ".
فقمنا معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي توفيت فيه المرأة وهي مسجاة.
فأشرف على البيت ودعا الله ليحييها، حتى توصي بما تحب من وصيتها، فأحياها الله، وإذا المرأة جلست وهي تتشهد، ثم نظرت إلى الحسين (عليه السلام)، فقالت: ادخل البيت
يا مولاي ومرني بأمرك، فدخل وجلس على مخدة، ثم قال (عليه السلام) لها: " وصي، يرحمك
الله ".
فقالت: يا ابن رسول الله ان لي من المال كذا وكذا، في مكان كذا وكذا، وقد جعلت ثلثه
إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلثان لابني هذا (١)، إن علمت أنه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفا فخذه إليك، فلا حق للمخالفين في أموال المؤمنين، ثم سألته
أن يصلي عليها وأن يتولى أمرها، ثم صارت المرأة ميتة كما كانت. (٢)
في الواقع وبهذه المعجزة لقد خلد الله تعالى أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) ولتظهر عقيدة

----
١ - هكذا في الأصل ولكن الصحيح (الثلثين) عطفا على (ثلثه) المنصوب ل (جعلت).
٢ - الخرائج والجرائح ١: ٢٤٥ حديث ١، الثاقب في المناقب: ٣٤٤، حديث ٢٩٠، مدينة المعاجز ٣: ٥٠٧

حديث ١٠٢٤، العوالم ١٧: ٤٩ حديث ٤، بحار الأنوار ٤٤: ١٨٠ حديث ٣، اثبات الهداة ٥: ١٨٨ حديث ٢٦.

المسلم الشيعي في إمامة ظهورا لا مجاملة فيه. وهكذا ترى الحسين (عليه السلام) في هذا الموقف
ساعيا لقضاء حوائج الآخرين، وأمينا في تنفيذ الوصية.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - السعي في قضاء الحوائج من المهام الأخلاقية الرفيعة.
٢ - إن الأخلاق الكريمة تزرع في نفوس الآخرين صفة الخير والتعامل الحسن.
E / في العدل والورع
عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " إن امرأة كانت تطوف وخلفها رجل، فأخرجت ذراعها،
فمال بيده حتى وضعها على ذراعها، فأثبت الله يده في ذراعها حتى قطع الطواف،
وأرسل إلى الأمير، واجتمع الناس وأرسل إلى الفقهاء، فجعلوا يقولون إقطع يده،
فهو الذي جنى الجناية، فقال: هاهنا أحد من ولد محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟.
فقالوا: نعم الحسين بن علي (عليهما السلام) قدم الليلة، فأرسل إليه فدعاه. فقال: انظر ما لقيا
ذان - أي ماذا لقي هذا وهذه -.
فاستقبل القبلة ورفع يديه فمكث طويلا يدعو، ثم جاء إليها حتى خلص يده من يدها.
فقال الأمير: ألا نعاقبه بما صنع؟
فقال (عليه السلام): " لا ". (١)
وقد يتساءل القارئ:
لماذا لم يأمر الإمام الحسين (عليه السلام) بقطع يد الرجل؟
ونجيب: إنه ليس بسارق، وإن الأحكام الشرعية لا تقاس من موضع على موضع. ثم إن العقاب الذي حصله على جنايته في افتضاح أمره وذهاب كرامته بين الناس يكفيه ويكفي
الآخرين للعبرة والاتعاظ.

---

١ - التهذيب ٥: ٤٧٠ حديث ١٦٤٧، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٥١، العوالم ١٧: ٤٧، بحار الأنوار ٤٤: ١٨٣
حديث ١٠، مدينة المعاجز ٣: ٥٠٦ حديث ١٠٢٣، اثبات الهداة ٥: ١٧٧ حديث ٤ وفيهما " الكعبة بدل القبلة "،
وسائل الشيعة ٩: ٣٣٨ حديث ٦.

ومن ناحية أخرى أراد الإمام (عليه السلام) أن يسجل موقفه الأخلاقي للحاضرين ولمن يقرؤه
فيما بعد، بأن أخلاق المتقين هي رعاية الحدود الشرعية وعدم الانطلاق في العقوبات من
منطلق التشفي والانتقام والرغبة الذاتية.
ولعل الأهم في هذا الموقف الحسيني العادل هو أن يسجل على الرجل فضلا ومكرمة قد يتذكرها بعد سنوات في كربلاء!
أو تدري من كان هذا الرجل وما هو اسمه؟
اسمه (جمال) وقد حضر في جيش عمر بن سعد لمحاربة الحسين (عليه السلام)، وفي ليلة
الحادي عشر بعد مجزرة يوم عاشوراء جلس عند الجسم المقطع للحسين (عليه السلام) المحزوز
الرأس، فقطع يده وقيل إصبعه ليسرق خاتم أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).
أنظر أيها المسلم: إن الضمير ليحتار، وإن الفكر لا يجد تفسيرا للدناءة التي كان عليها هذا الرجل وأمثاله الفسقة اللقطاء. ومنها اكتشف أمثاله السفلة من أولاد الزنا ولقطاء المجتمع وحثالاته الذين حشدهم يزيد اللعين في حرب الحسين ابن بنت سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله). ومن هذه القضية إقرأ ما وراء السطور كلها!
* الدروس المستفادة هنا:
١ - خذ حدودك الشرعية مع خصمك اللدود حتى وإن كنت عالما بجريمته القادمة، ذلك لأن شريعتك وأخلاقك الاسلامية تقضيان بعدم العقوبة قبل فعل الجريمة.
٢ - إن العدل في التعامل مع الصديق والعدو يجعل صاحبه عظيما في التأريخ.
E / في الإرشاد وقضاء الحاجات
عن ابن عباس: أن أعرابيا قال للحسين (عليه السلام): يا ابن رسول الله فقدت ناقتي ولم يكن
عندي غيرها، وكان أبوك يرشد الضالة، ويبلغ المفقود إلى صاحبه.
فقال له الحسين (عليه السلام): " اذهب إلى الموضع الفلاني تجد ناقتك واقفة وفي مواجهها
ذئب أسود ".
قال: فتوجه الأعرابي إلى الموضع ثم رجع فقال للحسين (عليه السلام) يا بن رسول الله وجدت

ناقتي في الموضع الفلاني. (١)
هكذا كان الإمام الحسين (عليه السلام) مهتما بأمور المسلمين، يرشدهم ويقضي حوائجهم،
وذلك هو ما أكدت عليه الروايات الإسلامية كثيرا.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - من الأخلاق إرشاد السائل إلى مطلوبه بكل سعة صدر ووضوح في الكلام.
E / في مفاهيم أخلاقية ثلاثة
مفاهيم أخلاقية ثلاثة: " النصيحة "، " طلب الحق " و " صدق الحديث " امتزجت مع كرامة الإعجاز الإلهي التي خص بها أولياءه لتثبيت مكانتهم في قلوب المؤمنين، ولإتمام
الحجة على الذين لا يفقهون رسالة الله في الحياة.
فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: إن الحسين (عليه السلام) إذا أراد أن ينفذ
غلمانه - أي عماله - في بعض أموره، قال لهم: " لا تخرجوا يوم كذا وأخرجوا يوم كذا،
فإنكم إن خالفتموني قطع عليكم ". - أي هاجمكم قطاع الطريق -.
فخالفوه مرة وخرجوا فقتلهم اللصوص، وأخذوا ما معهم، واتصل الخبر
بالحسين (عليه السلام)، فقال: " لقد حذرتهم فلم يقبلوا مني ". ثم قام من ساعته ودخل على
الوالي، فقال الوالي يا أبا عبد الله بلغني قتل غلمانك، فآجرك الله فيهم.
فقال الحسين (عليه السلام): " فإني أدلك على من قتلهم فاشدد يدك بهم ".
قال: أو تعرفهم يا ابن رسول الله؟
قال: " نعم كما أعرفك وهذا منهم "، وأشار بيده إلى رجل واقف بين يدي الوالي.
فقال الرجل: ومن أين قصدتني بهذا؟! ومن أين تعرف أني منهم؟!
فقال له الحسين (عليه السلام): " إن أنا صدقتك تصدقني؟ "
فقال الرجل: نعم والله لأصدقنك.
فقال (عليه السلام): " خرجت ومعك فلان وفلان "، وذكرهم كلهم - بأسمائهم -، فمنهم أربعة

----
١ - اثبات الهداة ٥: ٢١١، حديث ٨٣.

من موالي المدينة والباقون من حبشان (١) المدينة.
فقال الوالي للرجل: ورب القبر والمنبر لتصدقني أو لأهرأن (٢) لحمك بالسياط.
فقال الرجل: والله ما كذب الحسين (عليه السلام) وقد صدق، وكأنه كان معنا، فجمعهم الوالي
جميعا فأقروا جميعا، فضرب أعناقهم. (٣)
وهنا ليس للعفو مورد، لأن القصاص إحياء للحق وحياة للمجتمع، تنمو به الأخلاق الحميدة ولا يجد معها القتلة والمجرمون مدخلا إلى أغراضهم الدنيئة مضافا إلى أن العفو
لا يجري في حقوق الآخرين. والإمام (عليه السلام) هنا في موقف التأديب الشرعي وتسديد الحق
لذوي المقتولين، إنه موقف أخلاقي منه مع رعاية كل الجوانب الشرعية.
ويناسب هذا المقام ما قاله الإمام الحسين (عليه السلام) أيضا:
عجبت لذي التجارب كيف يسهو * و يتلو اللهو بعد الاحتباك (٤)
ومرتهن الفضائح والخطايا * يقصر باجتهاد للفكاك
وموبق (٥) نفسه كسلا وجهلا * و موردها مخوفات الهلاك
بتجديد المآثم كل يوم * و قصد للمحرم بانتهاك
سيعلم حين تفجؤه المنايا * ويكثف حوله جمع البواكي (٦)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - ما دام لا يتوجه إلى الفرد ضرر عقلائي لابد له أن ينصح حتى ولو كان لا يرى مستمعه أهلا للنصيحة. ذلك لأن الانسان مهما كان فإن ضميره يلتقط النصائح ويختزنها
للساعة المناسبة.

---

١ - الحبش: جنس من السودان: أو سكان بلاد الحبشة. واحده حبش والجمع حبشان.
٢ - أهرأ اللحم: انضجه.
٣ - الخرائج والجرائح ١: ٢٤٦ حديث ٣، دلائل الإمامة: ١٨٦، الثاقب في المناقب ٣٤٢ حديث ٢٨٨، بحار الأنوار
٤٤: ١٨١ حديث ٥ وفيه عن هارون بن صدقة، ولكن الصحيح ما أثبتناه في المتن كما يظهر من هامش الخرائج، العوالم ١٧: ٥٥ حديث ٤، اثبات الهداة ٥: ١٩٠ حديث ٢٨، مدينة المعاجز ٣: ٤٥٥ حديث
٩٧٥. وما بين الشارحتين توضيح منا.
٤ - الاحتباك، من الحبك: وهو الشد والإحكام. الصحاح ٤: ١٥٧٨ " حبك ".
٥ - الموبق: المهلك. الصحاح ٤: ١٥٦٢ " وبق ".
٦ - ديوان الحسين بن علي عليه السلام: ١٥٢، أدب الحسين وحماسته: ٥٣.

٢ - كذلك لابد من القصاص في حال الإمكان ليقطع دابر الجريمة.
٣ - إن الله تعالى جعل النجاة في الصدق، والهلاك في الكذب.
E / في التسديد والهداية
سمع الحسين بن علي (عليهما السلام) رجلا على كرسي يقول: سلوني عما دون العرش.
فقال: " قد ادعى دعوى عريضة "، ثم قال له: " أيها المدعي أخبرني عن شعر لحيتك، أشفع هو أم وتر؟ ".
فسكت وقال: علمني يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله.
قال (عليه السلام): " شفع، فإن الله تعالى قال: * (و من كل شئ خلقنا زوجين) * (١) فالمخلوقات
زوج والوتر هو الله تعالى ". (٢)
عظيم.. عظيم جدا هذا الإمام العظيم، الذي جعله الله منارا للعلم والتسديد بالحكمة والموعظة الحسنة والأخلاق الطيبة.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - من واجب العالم أن يقف بوجه البدعة وقفة برهانية معقولة غير معنفة.
٢ - إن الكلمة الطيبة تنفذ إلى القلب وتنيره، فلابد منها دائما.
E / في الموقف من الشخص الكاذب
يحدث أحيانا كثيرة أن مرتكب الجريمة يلبس ثوب البراءة بكل ما يمتلك من براعة في تضييع حق المظلوم، ولكنه قد يمضي مع الاستدراج الشيطاني في إجرامه وتلبيسه حتى يقع في مصيدة الحق التي لا مفر منها، وقديما قالوا إن حبل الكذب قصير.
وفي هذا المقام روى المؤرخون إن رجلا ادعى عليه - أي على الحسين (عليه السلام) - مالا، فقال
الحسين (عليه السلام): " ليحلف على ما أدعاه ويأخذه "، فتهيأ الرجل لليمين - الكاذب - وقال:
والله الذي لا إله إلا هو، فقال الحسين (عليه السلام): " قل: والله والله والله ثلاثا، ان هذا الذي يدعيه،

----
١ - الذاريات: ٤٩.
٢ - إحقاق الحق ١١: ٤٣٢.

عندي وفي قبلي "، ففعل الرجل ذلك وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتا.
فقيل للحسين: لم فعلت ذلك؟ أي عدلت عن قوله: والله الذي لا إله إلا هو، إلى قوله: "
والله والله والله "؟
فقال: " كرهت أن يثنى على الله فيحلم عنه ". (١)
هذا ويحلل الإمام (عليه السلام) في كلمة تلك العناصر النفسية للذين يحلفون من غير مبالاة، إذ
قال محذرا لهم: " إحذروا كثرة الحلف فإنه يحلف الرجل لخلال أربع، إما لمهانة يجدها في
نفسه تحثه على الضراعة إلى تصديق الناس إياه، وإما لعي في المنطق فيتخذ الايمان حسوا وصلة لكلامه، وإما لتهمة عرفها من الناس له فيرى أنهم لا يقبلون قوله الا باليمين
، وإما لإرساله لسانه من غير تثبيت ". (٢)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - من الواجب تعرية المحتالين على الدين. واللازم في ذلك رعاية الدقة في أسلوب المحتال عندما يتحدث.
٢ - أهمية التحليل النفسي لهذه النماذج السقيمة في المجتمع، والمعلومات الجيدة تساعدك على فهم الحقيقة بشكل أفضل.
E / في تصديق الحديث
قال أحمد بن يحيى الأودي، حدثنا مخول بن إبراهيم، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: " ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا
دمعة، إلا بوأه الله بها في الجنة حقبا ".
فرأيت الحسين بن علي (عليهما السلام) في المنام، فقلت: حدثني مخول بن إبراهيم، عن الربيع
بن المنذر، عن أبيه، عنك أنك قلت: " ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه
فينا دمعة، إلا بوأه الله بها في الجنة حقبا "؟

---

١ - إحقاق الحق ١١: ٤٥٧.
٢ - مجموعة ورام ٢: ١١٠.

قال: " نعم ".
قلت: سقط الإسناد بيني وبينك. (١)
نعم... لا فرق لشهيد قدم حياته البدنية لدينه الحق كونه يحدثك في عالم الشهود، أو
في عالم الغيب والرؤيا، إنه حي بحياة الله الذي قال * (ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) * (٢)
هكذا حصل الراوي من الحسين (عليه السلام) تأكيدا على صحة ذلك الحديث مباشرة
دون
واسطة سندية، وذلك عندما صدقه الحسين في رؤياه على ما سمعه في اليقظة.
إن هؤلاء - أيها المسلم - هم أئمتنا الذين طهرهم الله من الرجس ليكونوا لنا مطهرين
من
كل رذيلة. فالبكاء على مظلوميتهم مبدؤه المعرفة بمقامهم، ومنتهاه الجنة، وما بينهما
التزام بنهجهم الإلهي الخالص. أليس الله قد أمرنا أن نكون مع الصادقين؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إذا صدر عنك كلام فصدقه ولا تنكر.
٢ - في العلاقات مع الناس لابد من التحقيق والتبيين في كل خبر، فكم من أخبار
يتناقلونها وهي مليئة بسموم الغيبة والبهتان والكذب (أو الصدق المبتور)!.
٣ - من الجيد في معرفة الحقائق الوصول إلى أقرب مصدر لها دون الاعتماد المطلق
على الواسطات إذا كان الطريق فوقها سالكا.
E / في إستمرارية الوفاء وثبات المحبة
علمنا الحسين (عليه السلام) أن الوفاء لا يقف عند حد الحضور العضوي للفرد، بل
لابد أن
يستمر باستمرار القيم الأخلاقية الخالدة، فالموت لا يميتها ولا يقطع حبل الوفاء.
أنظر كيف كان بين الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه الإمام الحسن (عليه السلام)
إتحاد في العقيدة
والأخلاق والسلوك السياسي والاجتماعي، أليس قال عنهما جدهما رسول الله (صلى
الله عليه وآله) أنهما "
إمامان قاما أو قعدا " فعلى فرض أن الحسين كان في موقع الحسن كان يهادن معاوية

---

١ - أمالي المفيد ٣٤٠ حديث ٦، أمالي الطوسي ١: ١١٦ حديث ١٨١، المنتخب للطريحي ٤٤٧ وفيه
إلى
قوله: " حقبا "، ينابيع المودة: ٢٢٨ و ٣٣٠، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٠ حديث ٨.
٢ - سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

تمهيدا لثورة أخيه، ولو كان الحسن في موقع الحسين لثار على يزيد مثل ما فعل الحسين.
ولقد أثبتا (عليهما السلام) هذه الحقيقة في حياتهما بل واستمر الحسين يثبتها بزيارة قبر أخيه المظلوم
أسبوعيا، وهذا هو الوفاء المستمر والمحبة الثابتة، والآن اقرأ الخبر:
قال الحميري: روى أبو البختري، عن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام): " إن الحسين بن علي (عليهما السلام)
كان يزور قبر الحسن (عليه السلام) في كل عشية جمعة ". (١).
هذا ما عدا مواقفهما المتلاحمة على طول خط الحياة والصراع ضد الباطل، فلم يكن بين الحسن والحسين أي خلاف أبدا، لا في الرأي ولا في السلوك. وما قد نقله بعض الجهلاء ليس إلا نقلا عن الأقلام الأموية المدسوسة، فمن الأخلاق التبين وتعميد العقل في تنقية المعارف الدينية والحقائق التأريخية.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الوفاء للحق وأهله لا حدود له.
٢ - إن الثبات روح القيم الأخلاقية، فلابد فيها من الثبات والاستمرار وعدم التلون وفق المصالح الدنيوية.
E / في السخاء والحكمة والأدب
ويبلغ شرف السخاء عند الإمام الحسين (عليه السلام) أن سائلا يتوهم فيأتي الحسين يظنه
الحسن أخاه (عليهما السلام) لأنه كان قد وعده بمكافأة فلم يفشله، ولم يخيبه، ولم يكشف له
توهمه، وإليك الرواية بتفاصيلها كما ينقلها الخوارزمي (٢)، حيث يقول:
خرج الحسن (عليه السلام) إلى سفر فمر براعي غنم، فنزل عنده فألطفه وبات عنده، فلما أصبح
دله على الطريق، فقال له الحسن: إني ماض إلى ضيعتي، ثم أعود إلى المدينة. ووقت له وقتا وقال له: تأتيني به. فلما جاء الوقت شغل الحسن بشئ من أموره عن قدوم المدينة، فجاء الراعي وكان عبدا لرجل من أهل المدينة، فصار إلى الحسين وهو يظنه الحسن،

---

١ - قرب الإسناد: ١٣٩ حديث ٤٩٢، بحار الأنوار ٤٤: ١٥٠ حديث ٢١، وسائل الشيعة ١٠: ٣١٧ حديث ١.
٢ - وهو من علماء السنة.

فقال: أنا العبد الذي بت عندي ليلة كذا، ووعدتني أن أصير إليك في هذا الوقت. وأراه علامات عرف الحسين أنه الحسن، فقال الحسين له: " لمن أنت يا غلام "؟
فقال: لفلان.
فقال: " كم غنمك "؟
قال: ثلاثمائة.
فأرسل إلى الرجل فرغبه حتى باعه الغنم والعبد فأعتقه، ووهب له الغنم مكافأة لما صنع مع أخيه - الحسن - وقال: " إن الذي بات عندك أخي، وقد كافأتك بفعلك معه " (١).
في أي ميزان توزن هذا السخاء الحسيني وهذه الحكمة والأدب؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - أداء حق الأخ واجب أخلاقي مفروض.
٢ - كتمان الإحسان من شروط قبوله عند الله.
٣ - زيادة المكافأة كرم في الأخلاق.
٤ - تدبير المواقف الأخلاقية لطافة وفن وحكمة.
E / في ترك الجدال والمماراة
روي أن رجلا قال للحسين بن علي (عليهما السلام): إجلس حتى نتناظر في الدين، قال: " يا هذا
أنا بصير بديني، مكشوف علي هداي، فإن كنت جاهلا بدينك فاذهب فاطلبه، ما لي وللمماراة وإن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه، ويقول: ناظر الناس في الدين، لئلا يظنوا بك العجز والجهل، ثم المراء لا يخلو من أربعة أوجه: إما أن تتمارى أنت وصاحبك فيما تعلمان، فقد تركتما بذلك النصيحة وطلبتما الفضيحة، وأضعتما ذلك العلم، أو تجهلانه فأظهرتما جهلا، وخاصمتما جهلا، وإما تعلمه أنت فظلمت صاحبك بطلب عثرته، أو يعلمه صاحبك فتركت حرمته، ولم تنزل منزلته، وهذا كله محال، فمن أنصف وقبل الحق وترك المماراة، فقد أوثق إيمانه وأحسن صحبة دينه،

---

١ - كتابه المعروف (مقتل الحسين عليه السلام) ١: ١٥٣.

وصان عقله " (١). وفي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) " إياكم والمراء والخصومة
فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق " (٢).
أقول يا ليت (بعض العلماء) و (أغلب الناس) في عصرنا يتعلمون من الحسين (عليه السلام) ترك
المماراة والجدال والقيل والقال.
وأقول لقد تمنى مثل هذا كل الصالحين ولكن أكثر (المتدينين!) لا زالوا يتجادلون على أتفه الأمور، ولذا تجدهم في هراء وخواء، وعقم وسقم، وعرض للعضلات بلا تقدم حقيقي نحو الحسنات!
* الدروس المستفادة هنا:
١ - تصحيح نهج المجادلين بنصيحتهم لترك الجدال أو تحسينه بالأدب والهدفية العقلائية.
٢ - توضيح مساوئ المراء والجدال أمر تربوي في الأخلاق الإسلامية.
E / في التشجيع على التعاون والخير
وروي: أن سائلا كان يسأل يوما، فقال (عليه السلام): " أتدرون ما يقول؟ " قالوا: لا، يا ابن رسول
الله، قال (عليه السلام): " يقول أنا رسولكم، إن أعطيتموني شيئا أخذته وحملته إلى هناك، وإلا
أرد إليه وكفي صفر " (٣).
وقال (عليه السلام): " من قبل عطاءك، فقد أعانك على الكرم " (٤).
هكذا يعلم الحسين (عليه السلام) المسلمين أهم مفردة أخلاقية هي التعاون على البر والتقوى
وفعل الخير والكرم.

----
١ - بحار الأنوار ٢: ١٣٥ حديث ٣٢ وفي هامس بحار الأنوار: ان ما ورد بعد جملة ثم المراء ليس من الحديث، المحجة البيضاء ١: ١٠٧ إلى قوله: وللمارة كما في مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة باب ٤٨.
٢ - جامع السعادات: ج ٢ ص ٢٩٤.
٣ - مستدرك الوسائل ٧: ٢٠٣ حديث ٨٠٣٥.
٤ - بحار الأنوار ٧١: ٣٥٢ حديث ٢١، بحار الأنوار ٧٨: ١٢٧ ذيل حديث ٩.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - لابد في العطاء والكرم أن ينظر الإنسان إلى أجره الأخروي العظيم.
٢ - من الأخلاق الحسينية تفسير وبيان أحاسيس وحاجة الإنسان عندما يصعب عليه التفوه بها.
٣ - أهمية التشجيع على عمل الخير والتعاون فيه.
E / في الإطعام والإكرام
صنعت امرأة من نساء الحسين (عليه السلام) طعاما في بعض أرضه فطعم، ثم رفع الطعام، فجاء
مولى له فدعى بالطعام، فقال: يا أبا عبد الله: لا أريده، قال: " لم "؟ قال: أكلنا قبيل عند
عبيد الله بن عباس، فقال الحسين (عليه السلام): " إن أباه كان سيد قريش، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:
يا بني عبد المطلب أطعموا الطعام وأطيبوا الكلام " (١).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الإطعام من أهم الوسائل الأخلاقية في الترابط والصداقة.
٢ - الكلام الطيب وسيلة أخرى في سبيل التماسك والمحبة.
E / في بيان الحق واحترام الأخ الأكبر
لما بويع معاوية، خطب فذكر عليا (عليه السلام) فنال منه ونال من الحسن (عليه السلام). فقام الحسين (عليه السلام)
ليرد عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم قال:
" أيها الذاكر عليا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله، وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرا وألأمنا حسبا وشرنا قديما وأقدمنا كفرا ونفاقا ".
فقال طوائف من أهل المسجد: آمين. قال يحيى بن معين: ونحن نقول آمين. قال أبو عبيدة ونحن أيضا نقول آمين. قال أبو الفرج وأنا أقول آمين. بل الأجيال كلها تقول آمين. (٢)

---

١ - المعجم الكبير ٣: ١٣٥ حديث ٢٩١١، مجمع الزوائد ٥: ١٧.
٢ - لمحات من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) / السيد محمد جواد فضل الله / ص ١٧٠.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - وجوب الرد على الظالم الكذاب.
٢ - التنسيق في الرد المنطقي.
٣ - احترام الأخ الأكبر سنا.
E / في الحلم والعفو وقول الحق
كان الحسين (عليه السلام) جالسا في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمع رجلا - من بني أمية - يحدث
أصحابه، ويرفع صوته ليسمعه الحسين وهو يقول: إنا شاركنا آل أبي طالب في النبوة حتى
نلنا منها مثل ما نالوا منها من السبب والنسب، ونلنا من الخلافة مالم ينالوا، فبم يفخرون
علينا؟ وكرر هذا القول ثلاثا.
فأقبل عليه الحسين (عليه السلام) فقال له: " اني كففت عن جوابك في قولك الأول حلما، وفي
الثاني عفوا، واما في الثالث فاني مجيبك، انى سمعت أبي يقول: إن في الوحي الذي أنزله الله على محمد (صلى الله عليه وآله) إذا قامت القيامة الكبرى حشر الله بني أمية في صور الذر يطأهم
الناس حتى يفرغ من الحساب، ثم يؤتى بهم فيحاسبوا، ويصار بهم إلى النار ".
فلم يطق الأموي جوابا وانصرف وهو يتميز من الغيظ. (١)
لقد وضع الإمام (عليه السلام) في هذا الموقف الشجاع كل مفردة أخلاقية في موضعها المناسب،
الحلم، العفو، بيان الحق ببرهان قاطع، فجعل الأموي المهزوم طريد المجلس، ألا تريد أيها المسلم الكريم أن تتعلم الأخلاق الحسينية هذه لتطرد من حولك كل ذي أخلاق أموية؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الترفع عن السفهاء يجب جعله ضمن الصفات الأخلاقية.
٢ - سعة الصدر والثقة بالنفس صفتان متلازمتان، فالواسع صدرا واثق من نفسه، والواثق نفسا واسع في صدره.
٣ - إن العفو عن الجاهل يرفع من درجة العاقل.

---

١ - حياة الحسين عليه السلام ٢: ٢٣٥.

E / في الأدب والتصديق والقبول
عن أبي عبد الله - الإمام الصادق - (عليه السلام) قال: " قال علي للحسين (عليهما السلام): يا أبا عبد الله أسوة
أنت قدما؟
فقال: جعلت فداك ما حالي؟
قال: " علمت ما جهلوا وسينتفع عالم بما علم، يا بني إسمع وأبصر من قبل أن يأتيك، فوالذي نفسي بيده ليسفكن بنو أمية دمك ثم لا يزيلونك عن دينك، ولا ينسونك ذكر ربك ".
فقال الحسين (عليه السلام): " والذي نفسي بيده حسبي، أقررت بما أنزل الله، واصدق قول نبي
الله، ولا اكذب قول أبي ". (١)
التسليم لأمر الله تعالى والتصديق للرسول والإمام الولي روح الأخلاق وحقيقتها وجوهرها، وقد تمثل في موقف الحسين (عليه السلام) من قضاء الله وقدره، وتأدبه في محضر
أبيه (عليه السلام). فلن يخطأ أبوه (عليه السلام) إذن حينما بدأ الكلام معه بأن " أسوة أنت قدما ".
فالحسين أسوة قديمة في الخير كله، قد عرفه الأنبياء والأوصياء وكل الذين عرفوا الله فأخلصوا له العمل، هكذا قال عنه أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي لا يقول إلا عن الرسول
الأمين (صلى الله عليه وآله) القائل عن الله رب العالمين.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إقبل ما يقوله لك الصالحون بكل أدب وتصديق واحترام.
٢ - إذا رأيت صفة حسنة في غيرك باركها له وشجعه عليها.
E / في آداب السلوك إلى الله
عن الباقر (عليه السلام) قال: قال علي بن الحسين (عليهما السلام): مرضت مرضا شديدا، فقال لي أبي (عليه السلام):
" ما تشتهي "؟
فقلت: أشتهي أن أكون ممن لا أقترح على الله ربي ما يدبره لي.

---

١ - كامل الزيارات: ٧١ حديث ٢، بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٢ حديث ١٧، العوالم ١٧: ١٥٢ حديث ١٣.

فقال (عليه السلام) لي: " أحسنت، ضاهيت إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، حيث قال جبرئيل (عليه السلام)
هل من حاجة؟ فقال: لا أقترح على ربي، بل حسبي الله ونعم الوكيل ". (١)
وهنا يعلمنا الحسين (عليه السلام) في عيادته لابنه علي السجاد أخلاقية العيادة وفن الكلام مع
المريض، وترى ابنه العزيز وربيبه الكامل كيف لا يرغب لنفسه إلا ما رغب له ربه، ولا يشتهي حتى الاقتراح على الله العالم بمصلحته الواقعية، وهكذا فمن غير الأدب أن يقترح الإنسان على هذا الإله العليم الرحيم شيئا والله أعلم بما يصلحه، ولذلك كان من أدعية العرفاء الصالحين: " اللهم افعل بي، ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله ".
نرجو أن نتعلم هذه الأخلاق المعنوية ونتأدب بآداب الحسين وأبنائه البررة في
السلوك إلى الله تعالى، حيث هذا الأدب ينعكس أيضا على معاشرة الانسان مع الناس.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - أهمية عيادة المريض، وما لاختيار الكلمات الصحيحة في الحديث معه من أثر نفسي على شفائه.
٢ - واجب المؤمن أن يسلم أمره إلى الله في كل الحالات، فذلك ما يبدل حاله إلى أحسن حال بإذن الله الذي بيده الخير وهو على كل شئ قدير.
E / في التواضع وتسديد الخدمة
تسديد الخدمة للصالحين مفردة من الفضائل الأخلاقية، وقد رغب فيه الإسلام وشرع له منهاجا أخلاقيا حكيما، فكيف إذا كانت هذه الخدمة لأشرف الكائنات في عصره كالإمام المهدي (عليه السلام) منقذ البشرية من ويلاتها، فهنا تكون الخدمة تتجه نحو الواجب
التطوعي تارة والواجب التعييني تارة أخرى. ولأهمية هذه الخدمة ورد في الحديث أن الحسين بن علي (عليهما السلام) سئل: هل ولد المهدي (عليه السلام)؟
قال: " لا، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي ". (٢)

---

١ - بحار الأنوار ٨١: ٢٠٨ حديث ٢٤ و ٤٦، ٦٧ حديث ٣٤.
٢ - عقد الدرر: ١٦٠، غيبة النعماني: ٢٤٥ عن أبي عبد الله عليه السلام.

إنك ترى الجد، وهو الحسين (عليه السلام) يتمنى أن يخدم الحفيد وهو المهدي (عليه السلام) إذن فاعلم
قيمة الخدمة للمهدي (روحي فداه) وتعلم مبدأ التواضع من الحسين (عليه السلام).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لا تتردد في خدمة الصالحين ولو كنت أكبر منهم سنا.
٢ - ليكن طموحك أكبر من محيطك، وفكرك متجاوزا زمانك.
E / في أدب التعليم والحث عليه
من أساليب التعليم أن تبين للمستمع فكرتين صحيحتين، ثم تطالبه باكتشاف الأرجح منهما. ولهذا الأسلوب التعليمي أخلاقية خاصة عند الحسين (عليه السلام) تقرؤها فيما يلي:
ورد انه (عليه السلام) قال لرجل: " أيهما أحب إليك: رجل يروم قتل مسكين قد ضعف، تنقذه من
يده؟ أو ناصب يريد إضلال مسكين مؤمن من ضعفاء شيعتنا تفتح عليه ما يمتنع المسكين به
منه ويفحمه ويكسره بحجج الله تعالى "؟
وبعبارة أخرى: أيهما أهم إنقاذ مسكين من القتل، أم إنقاذ شيعي من الاشكالات التي يثيرها أهل الضلالة في طريقه؟ فأجاب الإمام (عليه السلام) بنفسه على السؤال قائلا:
بل إنقاذ هذا المسكين المؤمن من يد هذا الناصب، إن الله تعالى يقول: * (و من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) *، (١) أي ومن أحياها وأرشدها من كفر إلى إيمان، فكأنما أحيا الناس جميعا من قبل أن يقتلهم بسيوف الحديد. (٢)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - من المهم استخدام أفضل الطرق لتعليم الآخرين فكرة ما وانتقالها إليهم، فالطريقة التعليمية مسألة هامة وعلى ضوئها لابد من اكتشاف كل الطرق التي تصب في هذا القصد.
٢ - إن الفكر والثقافة أهم المنطلقات في حياة الإنسان، فمن الجدير بذل أكثر

---

١ - سورة المائدة: الآية / ٣٢.
٢ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤٨، بحار الأنوار ٢: ٩ حديث ١٧. وفي تفسير الإمام العسكري
عليه السلام. قبل: بكسر القاف وفتح الباء: أي من جهة قتلهم بالسيوف، ويحتمل فتح القاف وسكون الباء.

الإمكانات في نشر الفكر الصحيح بين الناس وهدايتهم إلى البصائر القرآنية، فان الناس إذا
هدوا إليها سلمت علاقاتهم من التوتر والحروب والمشاكل.
E / في الصدقة والإنفاق
ورد: أنه ورث أرضا وأشياء، فتصدق بها قبل أن يقبضها. (١)
ولكن البعض منا يستلم الإرث ويرفه به نفسه حتى يتخم، ولعله برر ترفه أيضا بعدم وجوب الخمس في ما يرثه الإنسان! وربما يعطف على بعض فيعطيه منة عليه وتظاهرا بين الناس!
وأنى لهذه الطبقة من أهل الدنيا أن تقلد الإمام الحسين (عليه السلام) في أخلاقه الكريمة؟
وسواءا تصدق الانسان من ماله إلى الفقراء أم لم يتصدق فالمال زائل، أو صاحبه مفارقه. وترى العاقل - حيث يعرف هذه الحقيقة - لن يتردد في إنفاق ماله ليخلفه ذكرا
حسنا في الدنيا وثوابا كبيرا في الآخرة.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إذا أردت أن تنفق مالا حاول أن لا تنظر إليها، فالشيطان يصد طريق الخير بزرع الندامة، وذلك ليفوت عليك الأجر الذي ما أحوجك إليه في يوم فقرك يوم القيامة.
E / في الجواب العملي
يقول بشير بن غالب: سألت الحسين بن علي (عليهما السلام) وأنا أسايره عن الشرب قائما، فلم
يجبني، حتى إذا نزل أتى ناقة فحلبها ثم دعاني فشرب وهو قائم. (٢)
أنظر إلى الجواب العملي للحسين (عليه السلام) وهذا أسلوب من أساليب الحكمة الأخلاقية.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - العمل أبلغ من الكلام.
٢ - شرط تأثير الكلام الحق هو عملك به.

----
١ - دعائم الاسلام ٢: ٣٣٩ حديث ١٢٦٨.
٢ - المحاسن ٢: ٤٠٨ حديث ٢٤٢٨، وسائل الشيعة ١٧: ١٩٤ حديث ٥، بحار الأنوار ٦٦: ٤٧٠ حديث ٤١.

E / في الكياسة والعمل بالشريعة
تحث الأخلاق الإسلامية على التوسط في الأمور الخيرية، ولكنها إذا دار الأمر بينها وبين تعطيل الحدود والأحكام الإسلامية فإن الأخلاق تكون مع الحدود والأحكام. ولابد
من تزريق الوعي لهذه الحقيقة بين الناس بشتى الأساليب التلطيفية الحكيمة وهذا بحد ذاته مفردة أخرى من الأخلاق الحميدة.
ورد أن عليا (عليه السلام) أخذ رجلا من بني أسد في حد وجب عليه ليقيمه عليه، فذهب بنو أسد
إلى الحسين بن علي (عليهما السلام) يستشفعون به، ويتوسطون فأبى عليهم - الحسين - فانطلقوا إلى
- أبيه - علي (عليه السلام) فسألوه، فقال: " لا تسألوني شيئا أملكه إلا أعطيتكموه "! فخرجوا مسرورين فمروا بالحسين (عليه السلام) فأخبروه بما قال، فقال (عليه السلام): " إن كان لكم
بصاحبكم حاجة فانصرفوا فلعل امره قد قضى " فانصرفوا إليه، فوجدوه (عليه السلام) قد أقام عليه
الحد، قالوا: ألم تعدنا يا أمير المؤمنين؟
قال: " لقد وعدتكم بما أملكه، وهذا شئ لله لست أملكه ". (١)
كم أتمنى أن يقرأ كل واحد ممن بيده شئ من بيت المال أو المكانة الاجتماعية أن يتخلق بأخلاق الشريعة فلا يتلاعب في الأمانات وحقوق الناس والمبادئ الكريمة وفق أهواء القرابة والصداقة والواسطات فيبرر تعطيل أحكام الله برعاية الأخلاق والمصالح الثانوية، في الوقت الذي هذا الأمر يتطلب درجة عالية من التقوى والمعرفة الموضوعية.
يقول الإمام الحسين (عليه السلام) في حديث: " اتقوا هذه الأهواء التي جماعها الضلالة وميعادها
النار ". (٢)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الأخلاق الحسنة من أجل إحقاق الحق، وليست لتعطيله عن التنفيذ، ذلك لأنها من الحق، والحق لا يتجزأ أو يبطل بعضه بعضا.
٢ - لابد في سبيل تنفيذ الحق أن ينظر المنفذ إلى عاقبة عمله السارة وثمرة حزمه اللذيذة. فالبعد في النظر يخدم الأخلاق والحق دائما.

---
١ - دعائم الاسلام ٢: ٤٤٣ حديث ١٥٤٧.
٢ - لسان العرب ٢: ٣٥٦ " جمع "، إحقاق الحق ١١: ٥٩١.

E / في أسلوب الكلام الدامغ
مر الحسين (عليه السلام) على عبد الله بن عمرو بن العاص - وكان من أعداء الحسين (عليه السلام) - فقال
عبد الله: من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى هذا المجتاز،
وما كلمته منذ ليالي - حرب - صفين، فأتى به أبو سعيد الخدري إلى الحسين (عليه السلام).
فقال - له - الحسين (عليه السلام): " أتعلم اني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء وتقاتلني وأبي
يوم صفين، والله ان أبى لخير مني "؟
فاستعذر، وقال: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لي: أطع أباك! - وأبوه عمرو بن العاص، ذلك الثعلب
الماكر الذي هندس للبيت الأموي ظلمهم وفسادهم، وهل يأمر النبي بطاعة هذا الخبيث المفسد في الأرض؟ -
إلا أن عبد الله بن العاص المنافق لا زال لم يعرف حقيقة الحسين المتصلة بحقيقة جده محمد (صلى الله عليه وآله) لذلك إنطفأ ناكصا رأسه حينما رد عليه الإمام الحسين (عليه السلام) قائلا: " إما سمعت
قول الله تعالى: * (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) *، (١) وقول
رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنما الطاعة في المعروف. وقوله: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق! " (٢)
حقا إن منطق النفاق متهافت من داخله، ولذا يتساقط كأوراق الخريف عندما تهب رياح المنطق الحسيني الجارف. الحسين (عليه السلام) منطقه القرآن والأحاديث النبوية، ومنطق
المنافقين كذب ودجل، وما كتب الله لهذا المنطق إلا الزهوق.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الأخلاق الجميلة تفرض جاذبيتها حتى على العدو، فتجره إلى الاعتراف والإشادة بصاحبها ولو نفاقا.
٢ - من الأخلاق أن تكشف ضدها، وتعري قبح النفاق والدجل، ولكن في أحيان كثيرة
بل أكثرها يتم ذلك بالعمل الأخلاقي الجيد.

----

١ - سورة لقمان: الآية / ١٥.
٢ - المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٧٣، نور الثقلين ٤: ٢٠٣، العوالم ١٧: ٣٥ حديث ١، بحار الأنوار ٤٣: ٢٩٧
حديث ٥٩، أسد الغابة ٣: ٣٥١، مجمع الزوائد ٩: ١٨٦ مع اختلاف، الميزان ١٦: ٢٢٠، كنز الدقائق ٨: ٢٧.

E / في الشجاعة وطلب الحق والإستغناء
كان بين الحسين وبين الوليد بن عقبة منازعة في ضيعة - فخرج وليد عن الحدود
الأخلاقية المرسومة للانسان المسلم، بل وزاد على طغيانه من موقع كونه أميرا على
المدينة ونسي أن الذي يقابله هو الحسين سبط النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)
رسول الإسلام وصاحب
الأمة ومؤسس دولتها الكريمة، فلما خرج الوليد عن حده - تناول الحسين (عليه
السلام) عمامته عن
رأسه وشدها في عنقه، فقال مروان وكان حاضرا في المجلس: بالله ما رأيت كاليوم
جرأة
رجل على أميره!.
فقال الوليد وهو يحاول تبرير جبنه وضعفه: والله ما قلت هذا غضبا لي ولكنك
حسدتني على حلمي عنه، وانما كانت الضيعة له!
فقال الإمام الحسين (عليه السلام) وكان يريد أن يخزيه: " الضيعة لك يا وليد " وقام
وخرج. (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - طالب بحقك وأنت تحاسب للظروف المحيطة بك حسابها الدقيق.
٢ - أعط عدوك على قدر ما يستحق من المهانة والتحقير كلما استطعت إلى ذلك
سبيلا.
٣ - بين له ترفعك عن مستواه الدنئ الهابط، وكن شديدا معه إذا شد عليك.
E / في بواعث الأخلاق
كيف تنظر إلى وجودك المادي والمعنوي؟
تعلم من الحسين (عليه السلام) كيف كان ينظر إلى وجوده الشريف، فإنها نظرة تشكل
البنية
الخلفية للفعاليات الأخلاقية مع الناس.
عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام) قال: " سئل الحسين
بن
علي (عليهما السلام): فقيل له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال (عليه السلام): "
أصبحت ولي رب فوقي،
والنار امامي، والموت يطلبني، والحساب محدق بي، وأنا مرتهن بعملي، لا أجد ما
أحب،
ولا ادفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاء عذبني، وإن شاء عفى عني، فأي فقير
أفقر
مني "؟! (٢)

---

١ - العوالم ١٧: ٦٦ حديث ١ بتصرف الألفاظ.
٢ - أمالي الصدوق: ٤٨٧ مجلس ٨٩، حديث ٣، بحار الأنوار ٧٨: ١١٦ حديث ١.

هذا هو الحسين (عليه السلام) في محضر الله سبحانه، أفهل عرفت الحسين كيف ينظر إلى
وجوده؟ ومن كان هكذا فإنه يكون مع الناس في أفضل صورة أخلاقية.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن ما يمارسه بعض الشعوب من مظاهر أخلاقية عفوية فإنها مطبوعة على فطرتهم ومنعكسة على عاداتهم، بينما الأخلاق الإسلامية أشمل من ذلك وهي تنبع من الفطرة الإلهية المصاغة بالعقيدة الواعية، فيثبت صاحبها على الأخلاق بقصد التقرب إلى الله وحصول الأجر في يوم الآخرة.
٢ - لابد من بناء المظاهر الأخلاقية على مبادئ اعتقادية وأدعية ترشف على الروح طراوة العمل الأخلاقي، أليس الله مصدر الخير كله وأننا امرنا أن نتخلق بأخلاقه؟
E / في الإجابة على أسئلة الناس
عن يحيى بن يعمن (نعمان)، قال: كنت عند الحسين (عليه السلام) إذ دخل عليه رجل من العرب
متلثما أسمر شديد السمرة، فسلم، ورد الحسين (عليه السلام) فقال: يا ابن رسول الله مسألة؟
قال (عليه السلام): " هات ".
قال: كم بين الإيمان واليقين؟
قال (عليه السلام): " أربع أصابع ".
قال: كيف؟
قال (عليه السلام): " الايمان ما سمعناه، واليقين ما رأيناه، وبين السمع والبصر أربع أصابع ".
قال: فكم بين السماء والأرض؟
قال: " دعوة مستجابة ".
قال: فكم بين المشرق والمغرب؟
قال: " مسيرة يوم للشمس ".
قال: فما عز المرء؟
قال: " استغناؤه عن الناس ".

- وهذا أصل أخلاقي رفيع -.
قال: فما أقبح شئ؟
قال: " الفسق في الشيخ قبيح، والحدة في السلطان قبيحة، والكذب في ذي الحسب قبيح، والبخل في ذي الغناء، والحرص في العالم ".
- وهذه رذائل الأخلاق التي يتقلب فيها الناس، فما أقبحهم -!
قال - الأعرابي -: صدقت يا ابن رسول الله، فأخبرني عن عدد الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).
قال: " اثنا عشر، عدد نقباء بني إسرائيل ".
قال: فسمهم لي.
قال: فأطرق الحسين (عليه السلام) مليا ثم رفع رأسه فقال: " نعم أخبرك يا أخا العرب، إن الامام
والخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين علي والحسن وأنا وتسعة من ولدي، منهم
علي ابني، وبعده محمد ابنه، وبعده جعفر ابنه، وبعده موسى ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده محمد ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده الحسن ابنه، وبعده الخلف المهدي هو التاسع
من ولدي، يقوم بالدين في آخر الزمان ".
قال: فقام الأعرابي وهو يقول:
مسح النبي جبينه * فله بريق في الخدود
أبواه من أعلا قريش * وجده خير الجدود (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - علاقة الأخلاق بالعقيدة علاقة المظهر بالجوهر، فالجدير دراستهما معا، لا أن يتلون الفرد في أخلاقه تبعا لمصالحه الذاتية.
٢ - من الجميل أن يحلم الإنسان في إجاباته على أسألة الناس، ويوضح لهم الحقائق بأدب واحترام وأجمل الألفاظ.

---

١ - كفاية الأثر: ٢٣٢، بحار الأنوار ٣٦: ٣٨٤ حديث ٥، العوالم ١٥: ٢٥٦، حديث ٢، غاية المرام ١: ٣٢٢
حديث ٣٤، تفسير البرهان ٤: ١٦٧ حديث ٣ وفيه إلى قوله: " أربع أصابع ".

E / في أدب النقد والتصحيح
للنقد هدف نبيل، وهو تصحيح الفكرة لخدمة الحق الذي لو انكشف لمال إليه كل ذي لب. لهذا فان المخلصين للحق لا يخشون النقد أبدا بل يرحبون به ويحترمون الناقد المخلص. والنقد بين المخلصين أنفسهم دليل التواضع وحب الأصلح وعدم المكابرة على الحق، وهذا ما نجده في أخلاق الصالحين.
قيل للحسين (عليه السلام): إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من
الصحة، فقال (عليه السلام): " رحم الله تعالى أبا ذر، أما انا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله
تعالى له لم يتمن غير ما اختاره الله عز وجل له ". (١)
لا شك في مقام أبي ذر عند الله، كما لا شك أيضا في أن الأولياء درجات عند الله. ولذا
كان أبو ذر الغفاري رغم مقامه وكبر سنه لا يرى لنفسه درجة عند المقارنة بدرجة الحسين
(عليه السلام) أنظر إلى أدب النقد والتصحيح الذي بدأه الحسين (عليه السلام) بكلمة (رحم الله تعالى أبا ذر)
فهل نتعلم من الإمام الحسين (عليه السلام) أخلاقه وأدبه إذا أردنا نقد الآخرين لتصحيح المسار؟!
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لا شك أن الاحترام مسألة أخلاقية، وبيان الحق مسألة أخلاقية أخرى، فإذا تزاحمتا
في مورد فان الحكمة الأخلاقية تكفل بالعلاج التوفيقي بينهما.
٢ - إن فوق كل عالم تقي من هو أعلم منه وأدرى وأدق وأكثر رعاية للتقوى، فمن الجدير بالعاقل أن لا يغلق على نفسه أبواب التعلم من كل عالم بحثا عن الأفضل بشكل مستمر.
E / في التدليل إلى الخير
عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام) قال: " كتب رجل إلى الحسين
بن علي (عليهما السلام): يا سيدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة، فكتب إليه: بسم الله الرحمن
الرحيم، أما بعد فإنه من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب

----

١ - إحقاق الحق ١١: ٥٩١.

رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام ". (١)
وهذا هو روح الأخلاق التي يدعو إليها الإمام الحسين (عليه السلام) إذ برعايتها تنتظم الصفات
الأخلاقية في سلوك الفرد، ومنه يبلغ إلى خير الدنيا والآخرة.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - أن تشخص نظرك إلى رضا الله في كل ما تقدم إليه.
٢ - أن يكون رضوان الله محور حركتك الأخلاقية بين الناس، ومنتهى وصولك إلى الجنة.
E / في الرفق مع الناقد
قال رجل للحسين (عليه السلام): إن فيك كبرا، فقال: " كل الكبر لله وحده، ولا يكون في غيره،
قال الله تعالى: * (فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين) * (٢). (٣)
يا عزيزي القارئ، بينك وبين الله.. قل لي إذا أهانك شخص، مثلا واجهك بقوله: أنت متكبر! هل تجيبه كما أجاب الحسين (عليه السلام) أم تصفعه في وجهه، أو ترمي عليه كلمات تولج
بها في قلبه كالسكينة عملا بما قاله بعضهم (رد الصاع بالصاعين)؟!
إذا أردت التخلق بأخلاق الحسين (عليه السلام) فعليك بالرفق مع الناقد حتى إذا كان في نقده
جارحا وغير مؤدب، فكم من هؤلاء قد اهتدوا إلى الحق لما رأوا الأخلاق الكريمة والأدب الرفيع في الطرف الآخر..
وفي الحديث عنه (عليه السلام) قال: " من أحجم عن الرأي وعييت به الحيل كان الرفق
مفتاحه " (٤).

----
١ - أمالي الصدوق: ١٦٧، الاختصاص: ٢٢٥، بحار الأنوار ٧١: ٣٧١ حديث ٣ و ٧٨: ١٢٦ حديث ٨، معادن
الحكمة ٢: ٤٥ حديث ١٠٢.
٢ - سورة المنافقون: الآية / ٨.
٣ - بحار الأنوار ٤٤: ١٩٨ حديث ١٣، العوالم ١٧: ٦٥ حديث ٢.
٤ - أعلام الدين: ٢٩٨، بحار الأنوار ٧٨: ١٢٨ حديث ١١.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - أقوى رد على المسئ هو الرد بالإحسان إليه، لجعله أمام نفسه اللوامة وضميره المحاسب.
٢ - إن النقد حتى لو كان ثقيلا على قلبك أو لم يكن واردا عليك لا تقبله، ولكن أيضا لا
تعنف صاحبه، إذ قد يتشابه الأمر على الإنسان الذي يريد بنقده إيصال النفع إليك. فمن أجل قصده الشريف إرفق به، ومن أجل قيمة الحق تخلق بقيم الحق.
E / في السلام وآدابه وأهميته
لإشاعة (تحية السلام) فلسفة أخلاقية بناءة، هي التذكر بالود وتوثيق العلاقات السلمية في المجتمع، ولذلك فالبخل وهو من رذائل الأخلاق صفة الذين لا يسلمون قال الحسين (عليه السلام): " البخيل من بخل بالسلام ". (١) وكان (عليه السلام) يطبق أخلاق السلام وآدابه
ويوصي الناس بهذه التحية الاسلامية الرائعة.
فمن كلماته (عليه السلام): " للسلام سبعون حسنة، تسع وستون للمبتدى، وواحدة للراد ". (٢)
وذات مرة قال له رجل ابتداءا: كيف أنت عافاك الله؟ فقال (عليه السلام) له: " السلام قبل الكلام
عافاك الله ". ثم قال (عليه السلام) - لمن حوله - " لا تأذنوا لاحد حتى يسلم ". (٣)
ولعل سائلا يقول: وهل يجوز السلام على العاصي؟
ويجيب الإمام الحسين (عليه السلام) (عليهم السلام) " إن ابن الكوا سأل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال: يا
أمير المؤمنين، نسلم على مذنب هذه الأمة؟! فقال (عليه السلام): " يراه الله عز وجل للتوحيد أهلا،
ولا نراه للسلام عليه أهلا! ". (٤)
نعم يا أخي تعال إلى إشاعة هذه الفضيلة لنكسب من تنفيذها بهجة الدنيا وسرور التلاحم الاجتماعي، وفوق ذلك لنا عند الله به أجرا ما أحوجنا إليه يوم وقوفنا بين يدي الله.

---

١ - تحف العقول: ١٧٧، أعيان الشيعة ١: ٦٢١ بحار الأنوار ٧٨: ١٢٠ حديث ١٨.
٢ - تحف العقول: ١٧٧، بحار الأنوار ٧٨: ١٢٠ حديث ١٧، أعيان الشيعة ١: ٦٢١.
٣ - تحف العقول: ١٧٥، بحار الأنوار ٧٨: ١١٧ حديث ٦، مستدرك الوسائل ٨: ٣٥٨ حديث ٩٦٥٩.
٤ - الجعفريات ٢٣٤ مستدرك الوسائل ٨: ٣٥٩ حديث ٩٦٦٣.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - ينظر الإسلام إلى العلاقات البشرية في الحياة نظرة سلمية دائمة، وإذا أجاز عنفا محدودا بالأولويات وقاعدة الأهم والمهم إنما لهدف إحلال السلامة والدخول في السلم
كافة. وكان الرمز لهذا الهدف الكبير هو تبادل تحية (السلام عليكم) بين المؤمنين به والمسلمين بالحق. هكذا أصبح (السلام) أمرا هاما فلا ينبغي للمسلم أن يبخل فيه.
٢ - إن السلام تحية أهل الجنة، ولكنها قد يصير سببا لهداية المذنب فيجعله من أهل الجنة وأنت تكسب ذلك أجرا عظيما، لذا فحتى (السلام) على المذنب (أو من يخالفك
في رأيك وإتجاهك) أمر أخلاقي غاية في الجمال والمطلوبية.
E / في خطر اللسان
هل تعلم أن أعظم المشاكل وأكثرها فتكا براحة الإنسان هي وليدة اللسان وكثرة الثرثرة
والكلام؟
انظر إلى الحسين بن علي (عليهما السلام) كيف قد حذر يوما ابن عباس قائلا: " يا ابن عباس،
لا تكلمن فيما لا يعنيك فإنني أخاف عليك فيه الوزر، ولا تتكلمن فيما يعنيك حتى ترى
للكلام موضعا، فرب متكلم قد تكلم بحق فعيب، ولا تمارين حليما ولا سفيها، فإن الحليم
يقليك، والسفيه يرديك، ولا تقولن في أخيك المؤمن إذا توارى عنك، إلا مثل ما تحب أن
يقول فيك إذا تواريت عنه، واعمل عمل رجل يعلم أنه مأخوذ بالاجرام مجزي بالاحسان،
والسلام ". (١)
وهذا التحذير الأخلاقي تعميم إلى كل من يقرؤه، وكذلك أنا وأنت!
فهل نتعلم فن الصمت وتقطير الكلمات؟
نعم إنه بالعمل بتوصية الحسين (عليه السلام).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لابد من تعليمات أخلاقية واضحة وتذكير بها على الدوام حتى لمن كان ذا مكانة علمية أو وجاهة اجتماعية، فإن الإنسان بحاجة إلى التذكير.

----

١ - كنز الفوائد: ١٩٤، اعلام الدين: ١٤٥، بحار الأنوار ٧٨: ١٢٧ حديث ١٠.

E / في رواية الخاطرة الأخلاقية
لا شك أن الحسين (عليه السلام) حينما يروي خاطرة فإنها تكون عميقة الجذور وبعيدة المرمى،
وإليك ما رواه من خاطرته (عليه السلام) مع والده وفيها معان أخلاقية دقيقة وعظيمة، قال (عليه السلام): " بينا
أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات يوم جالس مع أصحابه يعبيهم للحرب إذا أتاه شيخ عليه شحبة
السفر، فقال: أين أمير المؤمنين؟
فقيل: هو ذا فسلم عليه.
ثم قال: يا أمير المؤمنين إني أتيتك من ناحية الشام وأنا شيخ كبير، قد سمعت فيك من الفضل ما لا أحصي، وإني أظنك ستغتال، فعلمني مما علمك الله.
قال: نعم يا شيخ.. من اعتدل يوماه فهو مغبون، ومن كانت الدنيا همته اشتدت حسرته عند فراقها، ومن كان غده شر يوميه فهو محروم، ومن لم يبال بما رزئ من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك، ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى، ومن كان
في نقص فالموت خير له. يا شيخ.. إرض للناس ما ترضى لنفسك، وائت إلى الناس ما تحب أن يؤتى إليك.
ثم أقبل – يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) – على أصحابه فقال: أيها الناس أما ترون إلى أهل
الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى: فبين صريع يتلوى، وبين عائد ومعود، وآخر بنفسه يجود، وآخر لا يرجى، وآخر مسجى، وطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل و ليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي يصير الباقي.
فقال له زيد بن صوحان العبدي: يا أمير المؤمنين أي سلطان أغلب وأقوى؟
قال: الهوى.
قال: فأي ذل أذل؟
قال: الحرص على الدنيا.
قال: فأي فقر أشد؟
قال: الكفر بعد الإيمان.
قال: فأي دعوة أضل؟
قال: الداعي بما لا يكون.

قال: فأي عمل أفضل؟
قال: التقوى.
قال: فأي عمل أنجح؟
قال: طلب ما عند الله عز وجل.
قال: فأي صاحب لك شر؟
قال: المزين لك معصية الله عز وجل.
قال: فأي الخلق أشقى؟
قال: من باع دينه بدنيا غيره.
قال: فأي الخلق أقوى؟
قال: الحليم.
قال: فأي الخلق أشح؟
قال: من أخذ المال من غير حله فجعله في غير حقه.
قال: فأي الناس أكيس؟
قال: من أبصر رشده من غيه فمال إلى رشده.
قال: فمن أحلم الناس؟
قال: الذي لا يغضب.
قال: فأي الناس أثبت رأيا؟
قال: من لم يغره الناس من نفسه ومن لم تغره الدنيا بتشوفها.
قال: فأي الناس أحمق؟
قال: المغتر بالدنيا وهو يرى ما فيها من تقلب أحوالها.
قال: فأي الناس أشد حسرة؟
قال: الذي حرم الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.
قال: فأي الخلق أعمى؟
قال: الذي عمل لغير الله، يطلب بعمله الثواب من عند الله عز وجل.
قال: فأي القنوع أفضل؟

قال: القانع بما أعطاه الله عز وجل.
قال: فأي المصائب أشد؟
قال: المصيبة بالدين.
قال: فأي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟
قال: انتظار الفرج.
قال: فأي الناس خير عند الله؟
قال: أخوفهم لله، وأعملهم بالتقوى، وأزهدهم في الدنيا.
قال: فأي الكلام أفضل عند الله عز وجل؟
قال كثرة ذكره والتضرع إليه بالدعاء.
قال: فأي القول أصدق؟
قال: شهادة أن لا إله إلا الله.
قال: فأي الأعمال أعظم عند الله عز وجل؟
قال: التسليم والورع.
قال: فأي الناس أصدق؟
قال: من صدق في المواطن.
ثم أقبل (عليه السلام) على الشيخ فقال: يا شيخ إن الله عز وجل خلق خلقا ضيق الدنيا عليهم نظرا
لهم، فزهدهم فيها وفي حطامها، فرغبوا في دار السلام التي دعاهم إليها، وصبروا على ضيق المعيشة، وصبروا على المكروه، واشتاقوا إلى ما عند الله عز وجل من الكرامة، فبذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله، وكانت خاتمة أعمالهم الشهادة، فلقوا الله عز وجل وهو
عنهم راض، وعلموا أن الموت سبيل من مضى ومن بقي، فتزودوا لآخرتهم غير الذهب والفضة، ولبسوا الخشن، وصبروا على البلوى، وقدموا الفضل، وأحبوا في الله و أبغضوا في الله عز وجل، أولئك المصابيح وأهل النعيم في الآخرة والسلام.
قال الشيخ: فأين أذهب وأدع الجنة وأنا أراها وأرى أهلها معك يا أمير المؤمنين، جهزني بقوة أتقوى بها على عدوك. فأعطاه أمير المؤمنين (عليه السلام) سلاحا وحمله، وكان في
الحرب بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) يضرب قدما، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يعجب مما يصنع،

فلما اشتد الحرب أقدم فرسه حتى قتل - رحمة الله عليه - وأتبعه رجل من أصحاب أمير
المؤمنين (عليه السلام) فوجده صريعا، ووجد دابته ووجد سيفه في ذراعه، فلما انقضت الحرب
أتي أمير المؤمنين (عليه السلام) بدابته وسلاحه وصلى عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: هذا والله
السعيد حقا، فترحموا على أخيكم ". (١)
لقد روى الإمام الحسين (عليه السلام) في هذه الخاطرة الجميلة عن أبيه الإمام علي (عليه السلام) أحسن
الحديث وأكمله في الأخلاق الروحية والأخلاق السلوكية والنموذج العملي في التأسي والتطبيق. فلم نتردد في الاقتداء؟ أبدا لا يتردد فيه محبو الأخلاق والفضيلة والسعادة.
اللهم وفقنا أن نكون مثل ذلك السعيد في رياض السعداء.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - على العالم أن يعلم ويعطي من علمه زكاة وتزكية.
٢ - إن حديث الأخلاق المعنوية والعملية من أحلى أحاديث الروح والحياة، فلماذا يعوضه بعض الخطباء بأحاديث لا نفع كبير وراءها أو أحاديث ضررها أكبر من نفعها.
٣ - لابد في نقل الأخبار والخواطر من الدقة والوضوح والأمانة.
E / في صون ماء الوجه
قال الحراني: وجاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة، فقال (عليه السلام): " يا أخا
الأنصار صن وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإني آت فيها ما سارك
إن شاء الله ".
فكتب الرجل: يا أبا عبد الله إن لفلان علي خمسمأة دينار، وقد ألح بي، فكلمه ينظرني إلى ميسرة.
فلما قرأ الحسين (عليه السلام) الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار وقال (عليه السلام) له:
" أما خمسمائة فاقض بها دينك، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك
إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروة، أو حسب، فأما ذو الدين فيصون دينه، وأما ذو

----

١ - من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨١ حديث ٥٨٣٣.

المروة فإنه يستحيى لمروته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له
في
حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك ". (١)
من هذه المفردة اللامعة في أخلاق الحسين (عليه السلام) تعالوا نستلهم الكرم بشروطه
الأخلاقية، إذ قليل أولئك الأسخياء والكرماء الذين يراعون الدقة في التعامل مع نفسية
وشعور المتورطين في الحياة، فيخسرون أنفسهم عظيم الأجر الذي أعده الله للمحسنين
الذين لا يتبعون إحسانهم بالمن والأذى.
ومن كلام الحسين (عليه السلام) قاله لرجل يعلمه العفة في الطلب: " يا هذا لا تجاهد
في الرزق
جهاد المغالب، ولا تتكل على القدر إتكال مستسلم، فإن ابتغاء الرزق من السنة،
والإجمال في الطلب من العفة، وليست العفة بمانعة رزقا، ولا الحرص بجالب فضلا،
وإن الرزق مقسوم، والأجل محتوم، واستعمال الحرص طالب المأثم " (٢).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - قيمة الإنسان رفيعة عند الله الذي فضله وكرمه، فلا يجوز له بسبب العوز
والحاجة
أن يذل نفسه ويبيع كرامته.
٢ - على العلماء والمتصدين في أمور الناس أن يحافظوا على كرامة الأشخاص.
٣ - لابد من عطاء يبني للفرد كيانه لكي لا يحتاج مرة أخرى، ويتكفل بيت مال
المسلمين بهذه المهمة بعد التحقيق في الأمر مع رعاية صون الوجه وحفظ كرامة الفرد.
E / في العطاء الواعي
عن أبي عبد الله - الإمام الصادق - (عليه السلام) قال: " جاء رجل إلى الحسن
والحسين (عليهما السلام) وهما
جالسان على الصفا - جبل الصفا والمروة في مكة - فسألهما - حاجة مالية - فقالا:
" إن
الصدقة لا تحل إلا في دين موجع، أو غرم مفظع، أو فقر مدقع، ففيك شئ من هذا؟ "
قال: نعم، فأعطياه، وقد كان الرجل سأل عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر

---

١ - تحف العقول: ١٧٦، أعيان الشيعة ١: ٥٨٠، بحار الأنوار ٧٨: ١١٨ حديث ١٢.
٢ - أعلام الدين: ٤٢٨، بحار الأنوار ١٠٣: ٢٧ حديث ٤١ و ٤٢، مستدرك الوسائل ١٣: ٣٥ حديث ١٤٦٧٠.

فأعطياه ولم يسألاه عن شئ، فرجع إليهما فقال لهما: مالكما لم تسألاني عما سألني
عنه
الحسن والحسين (عليهما السلام)؟ وأخبرهما بما قالا، فقالا: إنهما غذيا بالعلم غذاء.
(١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - زكاة العلم نشره، وزكاة المال عطاؤه، علينا أن نفقه أدب العطاء بالمال مع انتهاز
الفرصة لنشر العلم والتوعية كما سلكهما الحسن والحسين (عليهما السلام)، فهذا هو
العطاء الواعي
وإيصال النفع المادي والمعنوي..
٢ - لابد من انتهاز الفرص لنشر الوعي.
E / في السخاء والإنسانية
مر الحسين بن علي (عليهما السلام) براع، فأهدى الراعي إليه شاة، فقال له الحسين
(عليه السلام): " حر أنت
أم مملوك "؟
فقال: مملوك.
فردها الحسين (عليه السلام) عليه.
فقال له المملوك: إنها لي، فقبلها منه، ثم اشتراه واشترى الغنم، فأعتقه وجعل الغنم
له. (٢)
نعم.. إن للحر أن يملك وليس للعبد أن يهب من مال غيره. لذا سأله الإمام (عليه
السلام) كيلا يقع
في المحذور الشرعي، ولكي يعلم كل من يصله هذا الخبر. ثم إنه (عليه السلام) قبل
الهدية منه بعد
أن أقر بأن الشاة من ملكه الخاص. ولكن السخاء الحسيني كان أعظم، إذ اشترى العبد
من
صاحبه فورا واشترى الغنم كلها منه أيضا ثم أعتق العبد ووهبه الغنم ليعيش حرا كريما
بين
الناس. تأمل جيدا في عظمة الحسين كيف تجلت في ورعه وسخائه وحسه الإنساني
المرهف، هل يمكنك تقليده ولو في أدنى الحد؟

---

١ - الكافي ٤: ٤٧ حديث ٧، بحار الأنوار ٤٣: ٣٢٠ حديث ٤، العوالم ١٦: ٩٩ حديث ١ وفيه " غرم مقطع ".
٢ - المحلى ج ٨ ص ٥١٤.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - بناء التصرف على ضوء الأحكام الشرعية (من الحلال والحرام).
٢ - القبول من الفرد إذا قال واعترف على نفسه، فلا يصح تكذيبه.
٣ - محاولة التفوق في الخير.
E / في عون الضعفاء
إن للضعفاء والمحرومين مكانة خاصة في المنظور الأخلاقي عند الإمام الحسين (عليه السلام)
لا مثيلة لها عند غيره سوى أبنائه المعصومين وأخيه الحسن وأبيه علي وامه فاطمة وجده
محمد. أليسوا هم سلسلة ذهبية واحدة من أخلاق نقية متلألئة عند الله قبل وجود الخلق،
ومما سجله لنا التاريخ بدمع الأسى في هذا الخصوص هو ما يلي:
إن في رواية وجد على ظهر الحسين (عليه السلام) يوم الطف - بكربلاء - أثر، فسئل - ابنه - زين
العابدين (عليه السلام) عن ذلك؟
فقال: " هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره - وفيه الخبز والطعام - إلى منازل الأرامل
واليتامى والمساكين ". (١)
أفعلمت إمامك الفذ، وكم يستحق قاتلوه العذاب واللعن والبراءة؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - المباشرة في العطاء.
٢ - التواضع في الإنفاق.
E / في تصحيح الأفكار الأخلاقية
توجد عند بعض الناس أفكار خاطئة عن القضايا الأخلاقية يزعمونها صحيحة، وإذا
كان البعض يخشى أن يصححها لهم فان الحسين (عليه السلام) ما كان ليخشى من كلمة الحق، إلا
أنه (عليه السلام) لم تسمح له أخلاقه الفاضلة أن يقولها جافة دون رعاية الأدب. وهذا هو الزاوية

----

١ - أعيان الشيعة ١: ٥٨٠.

الهامة في الأخلاق التي ندعو إليها، أن تقول الحق في ثوبه الأخلاقي الحق.
فذات مرة قال عنده (عليه السلام) رجل: إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع.
فقال
الحسين (عليه السلام): " ليس كذلك ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البر
والفاجر ". (١)
هذه من أخلاق الله تعالى، أما ترى كيف يرزق عباده جميعا دون النظر إلى إيمانهم به
أو
عدمه. فالأخلاق الإلهية تقضي بالمعروف إلى كل مستحق له. فكم من معروف أسدي
إلى
غير أهله فجعله من أهله واهتدى. ثم لا ننسى إن الله لا يضيع أجر المحسنين.؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لا مجاملة على حساب إبداء الحقيقة وبيان الصحيح في الأمور الهامة.
٢ - لابد من احتواء جميع الناس وإرادة الخير لهم دون التمييز القومي والعنصري
والفئوي إلا إذا كانت الإمكانات محدودة أو خاصة بهم شرعا، حيث تجب رعاية
الأولويات.
E / في النهي عن الغيبة
الغيبة من أخطر ما يفتت الجموع ويمزق القلوب وتجعل أصحابها في مجابهات
ونحول. ومثل هذا المجتمع لن تصمد فيه الفضائل الأخلاقية لأنها تقوم على أساس الود
والمحبة بين الناس، والغيبة تفسد الود وتكشف عن وجود الحقد والضغينة. ولذا
حرمهما الاسلام، وما كان قادته الأبرار يهادنون من تصدر منهم الغيبة، فهذا إمامنا
الحسين (عليه السلام) نجده يقول لرجل اغتاب عنده رجلا: " يا هذا كف عن الغيبة
فإنها إدام كلاب
النار ". (٢)
ومن العجيب إن أكثر الناس يزاحمون الكلاب في أكل إدامها وهم لا يبالون؟!
نستجير بالله منهم ومنها ومن النار الكبرى التي لا يموت فيها المعذب ولا يحيى.

---

١ - تحف العقول: ١٧٥، بحار الأنوار ٧٨: ١١٧ حديث ٣، مستدرك الوسائل ١٢: ٣٤٨ حديث ١٤٢٥٦،
أعيان الشيعة ١: ٦٢٠.
٢ - تحف العقول: ١٧٥، بحار الأنوار ٧٨: ١١٧ حديث ٢، أعيان الشيعة ١: ٦٢٠.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - من الواجب النهي عن المحرمات والموبقات لأنها تدمر سعادة المجتمع، فيصل الدمار حتى إلى الذين لم ينهوا عن أسباب الدمار.
٢ - لابد في النهي من شرح ما يكره الحرام عند فاعله.
E / في الموعظة العلاجية
تعد أكثر السيئات الأخلاقية من الذنوب الكبيرة. مثلا الكذب، النميمة، الغيبة، التكبر، البذائة...
ولكنها تمحى من القلوب والسلوك بشرط أن يعي الإنسان رقابة السماء عليه بالمفهوم الذي عالجه الحسين بن علي (عليهما السلام)، فقد جاءه رجل وقال: أنا رجل عاص ولا أصبر عن
المعصية، فعظني بموعظة.
فقال (عليه السلام): " افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت، فأول ذلك: لا تأكل رزق الله وأذنب ما
شئت، والثاني: اخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث: اطلب موضعا لا يراك الله
وأذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما
شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت ". (١)
هل أنت قادر على واحدة من هذه الأشياء؟
إن المريض الجاد في طلب الشفاء يطلب من الطبيب دواءا ناجعا وعلاجا ناجحا ويلتزم بالنصيحة الطبية التي يقولها الطبيب الحاذق، وما أحوج الناس في كل زمان إلى الالتزام بموعظة الحسين (عليه السلام) هذه التي فيها شفاء كامل وعلاج أساسي لكل الأمراض
الأخلاقية والنفسية والبدنية المترتبة.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لابد من إنقاذ المذنبين بإقناعهم بترك الذنب.
٢ - لابد للمتورط في الرذيلة أن يراجع العالم الواعي ليرشده إلى الطرق العلاجية.

----

١ - بحار الأنوار ٧٨: ١٢٦ حديث ٧، جامع الأخبار ٣٥٩ حديث ١٠٠١ عن علي بن الحسين (عليهم السلام).

E / في الترشيد وإيصال النفع
أن تقدم لسائل حلا يسعفه في الخروج من ورطته، كذلك خصلة من خصال الأخلاق الحسينية.
عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: " أن رجلا اشتكى إلى أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) فقال: يا ابن رسول الله إني أجد وجعا في عراقيبي، قد منعني من النهوض إلى
الصلاة. قال (عليه السلام): " فما يمنعك من العوذة؟ " قال: لست أعلمها. قال (عليه السلام): " فإذا أحسست
بها فضع يدك عليها وقل: بسم الله وبالله والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم اقرأ عليه: * (و ما
قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) * (١) ".
ففعل الرجل ذلك فشفاه الله تعالى ". (٢)
هذه الأخلاقية من مصاديق قضاء حوائج المؤمنين وارشادهم إلى ما يسعفهم وينفعهم.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - يجب على المؤمن أن لا يبخل على المتورطين في المشاكل بترشيدهم إلى ما ينفعهم سواءا طلبوا منه حلا أو لم يطلبوا، لأن ايصال النفع إلى الآخرين خلق ممدوح إبتداء.
٢ - لابد في الإرشاد الطبي من ربط المريض بالعلاج النفسي وتقوية روحه الدينية، فإن النفس والروح إذا غذيا بغذاء العقيدة والإيمان دفعا كثيرا من الأسقام عن البدن.
E / في احترام معلم القرآن
قيل إن عبد الرحمن السلمي علم ولد الحسين (عليه السلام) الحمد، فلما قرأها على أبيه أعطاه -
الحسين (عليه السلام) - ألف دينار وألف حلة، وحشا فاه - أي فمه - درا، فقيل له في ذلك - إنك
أكرمته كثيرا -!

---

١ - سورة الزمر / الآية ٦٧.
٢ - طب الأئمة عليهم السلام: ٣٣، بحار الأنوار ٩٥: ٨٥ حديث ١، كنز الدقائق ٩: ٧٢، الألفاظ من البحار.

قال (عليه السلام): " وأين يقع هذا من عطائه " - يعني تعليمه القرآن لولدي - وأنشد الحسين (عليه السلام)
يقول:
إذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرا قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت * ولا البخل يبقيها إذا ما تولت (١)
الحسين (عليه السلام)، ذلك الجود كله، قد رسم لنا أخلاق التعامل مع المعلمين القرآنيين،
احتراما لهم وللقرآن العظيم.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - للعلم النافع والعالم الرباني مكانة عالية.
٢ - لا يذهب هباءا كل مال يصرفه الوالدان في تربية أبنائهما القرآنية.
٣ - لابد عند البذل في التربية الصحيحة أن ينظر المربي بنظرة مستقبلية بعيدة.
٤ - لا قيمة للمال أمام تعلم العلوم القرآنية.
E / في التطبيق الأخلاقي
العبيد في جوار الأئمة (عليهم السلام) كانوا في مدرسة إسلامية متكاملة الدروس، يحتضنهم
مدرسوها الطاهرون (عليهم السلام) ليربوهم ثم يعتقوهم ليغدوا أحرارا في المجتمع يتحركون مع
المضامين الأخلاقية المجيدة، لذلك كان العبد في بيت الإمام (عليه السلام) ملزم بتعاليم مولاه
الإسلامية. بهذه المناسبة حكي أنه ذات مرة اتبع أحد العبيد هواه فجنى ما يوجب التأديب،
فأمر (عليه السلام) بتأديبه، فانبرى العبد يعتمد مخزونه التربوي وبصوت واثق من استجابة المولى
فقال قبل نزول العقاب التأديبي:
يا مولاي، إن الله تعالى يقول: * (الكاظمين الغيظ) *.
فقال الإمام وبسماته الفياضة منتشرة على وجهه الرحيم: " خلوا عنه، فقد كظمت غيظي... "

____
١ - المناقب ٤: ٦٦، بحار الأنوار ٤٤: ١٩١، العوالم ١٧: ٦٤، أعيان الشيعة ١: ٥٧٩، ديوان الحسين بن علي
عليه السلام: ١٢٢ وفيه الأشعار فقط.

وسارع العبد يكمل الآية: * (والعافين عن الناس) *.
فقال الإمام (عليه السلام): " قد عفوت عنك... "
وتقدم العبد يطلب المزيد من إحسان الحسين (عليه السلام) بتلاوة البقية من الآية: *
(والله يحب
المحسنين) *.
فقال الإمام (عليه السلام): " أنت حر لوجه الله... "
ثم أمر له بجائزة سنية تغنيه عن الحاجة ومسألة الناس (١).
بالله عليك، قل لي هل طبقت هذه الآية في حياتك ولو مرة واحدة؟ إن طبقتها فهنيئا
لك، وبشرى لك في الاستمرار، وإن لم تطبقها حتى الآن، قرر والله معك.
هكذا كان الحسين (عليه السلام) عظيما في حلمه وعفوه وكرمه وسمو تطبيقاته
الأخلاقية
المستقاة من هدى القرآن.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لابد من التسليم أمام القرآن الكريم، والطاعة لتعليماته القويمة.
٢ - لابد من إعطاء دروس في بناء الحياة الكريمة، وهي مقدمة على العطاء المالي.
٣ - العالم أولى بتطبيق علومه بالقرآن الكريم.
E / في الإحسان والعطف على المساكين
إجتاز الإمام الحسين (عليه السلام) على مساكين يأكلون فدعوه إلى الغذاء، فنزل عن
راحلته،
وتغذى معهم، ثم قال لهم: " قد أجبتكم فأجيبوني "، فلبوا كلامه وجاؤا معه إلى منزله،
فقال (عليه السلام) لزوجه الرباب: " أخرجي ما كنت تدخرين " فأخرجت ما عندها
من نقود فناولها
لهم (٢).
ومرة أخرى، كان الإمام الحسين (عليه السلام) قد مر على فقراء يأكلون كسرا من
أموال الصدقة،
فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فجلس معهم، وقال: " لولا أنه صدقة لأكلت معكم
"،

---

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ١ ص ١٢٤.
(٢) تاريخ ابن عساكر ج ١٣ ص ٥٤.

ثم دعاهم إلى منزله، فأطعمهم، وكساهم، وأمر لهم بدراهم (١).
وكذلك كان جده الرسول (صلى الله عليه وآله) يخالط الفقراء ويجالسهم، ويفيض
عليهم ببره
وإحسانه، حتى لا يتبيغ بالفقير فقره، ولا يبطر الغني ثراؤه.
وهل تعرف في الملوك والأغنياء قليلا من هذه الأخلاق العظيمة؟
إن عرفتها فيهم بلغهم أنهم على الطريق الصحيح والله معهم ولهم العاقبة الحسنى
والسرور الدائم. ولكن قليل هم أو لعلهم معدومون!
* الدروس المستفادة هنا:
١ - مقابلة الإحسان بإحسان أكبر، شأن من أرفع شؤون الأخلاقية.
٢ - تغليب الفقراء والمساكين على العائلة في العطاء نوع من الإيثار، ولابد أن يقترن
مع
الثقة بالله الرزاق ذي القوة المتين.
٣ - النزول إلى خدمة الضعفاء في المجتمع عروج إلى قمم الأجر والثواب عند الله
تعالى.
E / في التصرف حين المشادات العائلية
المشادات العائلية أمر طبيعي لضرورة الاختبار الذي لابد للإنسان أن يخضع له، ومثل
هذا الأمر حصل بين الإمام الحسين وأخيه محمد بن الحنفية - في أيام شبابهما -
فانصرف
محمد إلى داره وكتب إلى الحسين ما يلي: " أما بعد: فان لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا
أدركه، أبونا علي لا أفضلك فيه ولا تفضلني، وأمي امرأة من بني حنيفة، وأمك فاطمة
بنت
رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولو كان ملء الأرض مثل أمي ما وفين بأمك، فإذا
قرأت رقعتي هذه فالبس
رداءك ونعليك وسر إلي، وترضيني، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى
به
مني... ".
ولما قرأ الحسين رسالة أخيه سارع إليه وترضاه (٢).

---

١ - أعيان الشيعة ج ٤ ص ١١٠.
٢ - نهاية الإرب ج ٣ ص ٢٦٠.

هذا الموقف نابع من معالي أخلاق الحسين (عليه السلام) وسمو ذاته وعلو درجته وفضله. ولولا
هذه الرفعة الذاتية والثقل الروحي في الحسين لما صدر منه ذلك التواضع.
ويا ليت الناس يتصرفون كمحمد بن الحنفية إذا غضبوا، ويتصرفون مثل الحسين في تواضعه ومسارعته إلى الوئام ويا ليت... ويا ليت... وألف يا ليت! ولكن الكثيرين في واد
غير وادي الحسين (عليه السلام). لذا ترى الحياة تحترق في نار الغضب وسوء الظن والمشادات
والعداوات. والحسين (عليه السلام) هو الحل المهجور!
* الدروس المستفادة هنا:
١ - المبادرة إلى فض الخلافات ثمرة الأخلاق الفضلي.
٢ - يجب إنهاء كل مشادة قبل تعميقها في النفوس.
٣ - من الإنصاف أن يعترف الإنسان للآخرين بالحقيقة. فلا يبخسها لهم فيبين نصفها مثلا ويخفي النصف الآخر.
٤ - إذا غضب الطيبون إنما هو لسوء فهم طارئ فإنهم سرعان ما يعودون بعده إلى الرشد
بذكرهم لله واستعاذتهم من الشيطان.
E / في العفو وتفاوت الرشد والغي
كان الإمام الحسين (عليه السلام) شديد الرأفة بالناس يمد يده لكل ذي حاجة، ويسعف كل ذي
لهفة، ويجير كل من استجار به، وقد فزع مروان إليه وإلى أخيه الحسن (عليه السلام) وهو من ألد
أعدائهما جاء هما، بعد فشل واقعة الجمل، فطلب منهما أن يشفعا له عند أبيهما علي (عليه السلام)
فكلماه في شأنه وقالا له: " يبايعك يا أمير المؤمنين ".
فقال (عليه السلام): " أو لم يبايعني قبل قتل عثمان، لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية،
لو بايعني لغدر بسبباته، أما أن له امرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة من ولده يوما أحمر ".
وما زالا - الحسن والحسين - يلطفان به - أي بأبيهما علي - حتى عفا عنه، إلا أن هذا
الوغد قد تنكر لهذا المعروف وقابل السبطين بكل ما يملك من وسائل الشر والمكر، فهو

الذي منع جنازة الإمام الحسن أن تدفن بجوار جده، وهو الذي أشار على الوليد بقتل الإمام الحسين إن امتنع من البيعة ليزيد، وهو الذي سبق أن أظهر السرور والفرح بمقتل الإمام علي (عليه السلام).

وحسب مروان أنه من تلك الشجرة التي لم تثمر إلا الخبيث الدنس وما يضر الناس (١). وحسب الحسن والحسين وأبوهما علي أنهم من شجرة أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله).

ونتذكر هنا كلمة للحسين (عليه السلام): " إياك وما تعتذر منه، فإن المؤمن لا يسئ ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسئ ويعتذر " (٢).

* الدروس المستفادة هنا:

١ - إصدار العفو فضيلة رفيعة.

٢ - التوسط في ذلك فضيلة أخرى.

٣ - لا علاقة بين العفو عن المجرم والعلم بعدم ارتداعه عن الجريمة مرة أخرى.

٤ - كلما استطعت أن تسجل على خصمك موقفا أخلاقيا لا تتردد في تنفيذه.

E / في التسامح والإحسان والتآخي

مرض أسامة بن زيد مرضه الذي توفي فيه، فدخل عليه الإمام الحسين (عليه السلام) عائدا، فلما
استقر به المجلس قال أسامة: وا غماه.

فقال له الحسين: ما غمك؟

قال أسامة: ديني وهو ستون ألفا.

فقال له الحسين: هو علي.

قال أسامة: أخشى أن أموت قبل أن يقضى.

فقال له الحسين: لن تموت حتى أقضيها عنك.

وبادر الإمام (عليه السلام) فقضاها عنه قبل موته، وقد غض طرفه عن أسامة، إذ كان من

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ١ ص ١٢٦.

٢ - تحف العقول: ١٧٧، بحار الأنوار ٧٨: ١٢٠ حديث ١٦، أعيان الشيعة ١: ٦٢٠.

المتخلفين عن بيعة أبيه الإمام علي (عليه السلام)، فلم يجازيه بالمثل وإنما أغدق عليه بالإحسان (١).
وهذه من نبل الخصال الحسنة التي أفلت عن حياة المسلمين الذين يختلفون مع بعضهم في المسائل الفرعية وعلى أتفه الأسباب المضحكة، وهي تستدعي البكاء بدل الضحك، بينما الإمام الحسين (عليه السلام) وهو مختلف مع أسامة في مسألة من أهم الأصول
العقائدية والسياسية قد تقدم لعيادته وتبرع بتسديد دينه، ويا ليت المختلفين يكونوا دائما
شرفاء كالحسين بن علي (عليه السلام) لا كما هم يسلكون.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - ان الخلافات بين المسلمين يجب أن لا تقطع عليهم حبل التواصل الأخلاقي، فالقيم أرفع من خلافات الرأي حتى في القضايا الدينية.
٢ - المال وسيلة للإصلاح وتأليف القلوب وليس هدفا قائما بذاته.
٣ - لابد من النظر إلى سوابق الفرد المشرقة والوقوف معه في حل أزمته دون الحساب للخلافات الشخصية.
E / في رد التحية بأحسن منها
روى أنس قال: كنت عند الحسين فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان، فحيته بها، فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى.
وبهر أنس، فانصرف يقول: جارية تجيئك بطاقة ريحان، فتعتقها؟!!
فقال الحسين (عليه السلام): - كذا أدبنا الله، قال تبارك وتعالى: * (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن
منها أو ردوها) *، وكان أحسن منها عتقها (٢).
وبهذا السخاء والخلق الرفيع كان الحسين (عليه السلام) يملك قلوب المسلمين حتى هاموا
بحبه وولائه، إنه الانتصار الحقيقي الكبير حتى ولو كانوا مغلوبين على أمرهم كما يتصوره
الطغاة المتجبرون والذين لا يفقهون القيم وخلودها.

----
١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ١ ص ١٢٩ نقلا عن أعيان الشيعة ج ٤ ص ١٠٤.
٢ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ١ ص ١٢٩ نقلا عن الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٨٤.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - لابد من كل وسيلة أخلاقية لخلق الفضائل الأخلاقية، كحرية الفرد وإدخال السرور
عليه مثلا.
٢ - وجه الله هو الإخلاص في النوايا، فمن الواجب جعله في كل عمل صالح يقوم به الإنسان، وهكذا فالعمل الصالح بدون نية الإخلاص لله أجره محدود في الدنيا بلا آخرة،
بينما الأجدر والأنفع هو أجر الآخرة.
٣ - احترام الإنسان وحفظ كرامته ورفع شأنه وخاصة المرأة، من أهم الأعمال الأخلاقية في الإسلام، سيما إذا كانت المرأة في موقف أخلاقي وإنساني.
E / في الجود والمساعدة الإنسانية
كان الإمام الحسين (عليه السلام) جالسا في مسجد جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك بعد وفاة أخيه
الحسن (عليه السلام)، وكان عبد الله بن الزبير جالسا في ناحية منه، كما كان عتبة بن أبي سفيان جالسا
في ناحية أخرى منه، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها ودخل المسجد فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال له الأعرابي:
إني قتلت ابن عم لي (خطئا)، وطولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئا؟.
فرفع عتبة إليه رأسه وقال لغلامه: إدفع إليه مائة درهم.
فقال له الأعرابي: ما أريد إلا الدية تامة.
فلم يعن به عتبة، فإنصرف الأعرابي آيسا منه، فالتقى بابن الزبير فعرض عليه قصته، فأمر له بمائتي درهم فردها عليه، وأقبل نحو الإمام الحسين (عليه السلام) فرفع إليه حاجته، فأمر له
بعشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لقضاء ديونك، وأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى وقال
له: هذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك، وتنفق بها على عيالك.
فاستولت على الأعرابي موجات من السرور واندفع يقول:
طربت وما هاج لي معبق * ولا لي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسو * ل فلذ لي الشعر والمنطق
هم الأكرمون الأنجبون * نجوم السماء بهم تشرق

سبقت الأنام إلى المكرمات * وأنت الجواد فلا تلحق
أبوك الذي ساد بالمكرمات * فقصر عن سبقه السبق
به فتح الله باب الرشاد * وباب الفساد بكم مغلق (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إذا تورط مسلم في قضية قضائية تتطلب ديته دعما ماليا فلا يجدر البخل عليه والتذرع بأنه يستحق العقوبة.. دعوه يذوق مر القضية!
٢ - إن إنقاذ المتورطين يسبب هدايتهم، وتلك يجب أن تكون الهدف من جود الكرماء.
E / في العطاء والملاطفة
قصده أعرابي فسلم عليه وسأله حاجته، وقال: سمعت جدك يقول: إذا سألتم حاجة فاسألوها من أربعة، إما عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل القرآن، أو صاحب وجه صبيح، فأما العرب فشرفت بجدك، وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم، وأما القرآن ففي بيوتكم نزل، وأما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:
إذا أردتم أن تنظروا إلي
فانظروا إلى الحسن والحسين.
فقال له الحسين (عليه السلام): " ما حاجتك "؟
فكتبها الأعرابي على الأرض، فقال له الحسين (عليه السلام): " سمعت أبي عليا يقول:
المعروف
بقدر المعرفة فأسألك عن ثلاث مسائل إن أجبت عن واحدة فلك ثلث ما عندي، وإن
أجبت
عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي، وإن أجبت عن الثلاث فلك كل ما عندي، وقد حملت
إلي
صرة من العراق ".
فقال الأعرابي: سل ولا حول ولا قوة إلا بالله. - وهذه ملاطفة منه إزاء الموقف
اللطيف
من الإمام (عليه السلام) -!
- فسأله - الإمام الحسين (عليه السلام): " أي الأعمال أفضل "؟
الأعرابي: الإيمان بالله.

---

١ - عقد الآل في مناقب الآل.

الإمام الحسين (عليه السلام): " ما نجاة العبد من الهلكة "
الأعرابي: الثقة بالله.
الإمام الحسين (عليه السلام): " ما يزين المرء "؟
الأعرابي: علم معه حلم.
الإمام الحسين (عليه السلام): " فان أخطأه ذلك "؟
الأعرابي: مال معه كرم.
الإمام الحسين (عليه السلام): " فان أخطأه ذلك "؟
الأعرابي: فقر معه صبر.
الإمام الحسين: " فان أخطأه ذلك "؟.
الأعرابي: صاعقة تنزل من السماء فتحرقه.
فضحك الإمام ورمى إليه بالصرة (١).
هذا هو الحسين (عليه السلام).. عطاء فكري.. حديث حلو.. كرم مدهش.. ابتسامة عالية.
ورد في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام): " تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرفه
القذى عنه حسنة، وما عبد الله بشئ أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن " (٢).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الملاطفة الهادفة جزء من الأخلاق الحميدة.
٢ - العطاء والتبرع الخيري في المجتمع لابد أن يقترن مع التذكير بالقيم الإيمانية والفضائل الأخلاقية.
٣ - الضحك عمل جميل، ولكنه عند القادة المعصومين (عليهم السلام) ابتسامة عالية وليست
قهقهة شيطانية. ونحن على خطى قادتنا.

---

١ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة / ج ٣ ص ٢٦٨.
٢ - بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٢٨٩.

E / في أدب العطاء وجميل التواضع
وفد على الإمام (عليه السلام) سائل فقرع الباب وأنشأ يقول:
لم يخب اليوم من رجاك ومن * حرك من خلف بابك الحلقة
أنت ذو الجود أنت معدنه * أبوك قد كان قاتل الفسقة
وكان الإمام - الحسين (عليه السلام) - واقفا يصلي فخف من صلاته، وخرج إلى الأعرابي فرأى
عليه أثر الفاقة، فرجع ونادى بقنبر - خادمه الولائي الوفي - فلما مثل عنده قال له: " ما تبقى
من نفقتنا؟ "
قال: مائتا درهم أمرتني بتفرقتها - أي توزيعها - في أهل بيتك.
فقال: هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم، فأخذها ودفعها إلى الأعرابي معتذرا منه وهو ينشد هذه الأبيات:
خذها فاني إليك معتذر * واعلم بأني عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا عصا تمد إذن * كانت سمانا عليك مندفقة
لكن ريب المنون ذو نكد * والكف منا قليلة النفقة
فأخذها الأعرابي شاكرا وداعيا له بالخير، وانبرى مادحا له:
مطهرون نقيات جيوبهم * تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
وأنتم أنتم الأعلون عندكم * علم الكتاب وما جاءت به السور
من لم يكن علويا حين تنسبه * فما له في جميع الناس مفتخر (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الإنفاق مع الاعتذار يعني أن المال ليس ملكا خاصا بيد المؤمن بالله المالك لكل شئ، بل هو عارية بيده لينتفع به من أجل سعادته الدنيوية والأخروية، بما في ذلك إنفاقه
في سبيل الله لنفس الهدف.
٢ - النظرة الإلهية إلى المال والإنفاق تلازم التواضع في العطاء للسائل.
٣ - إن الصلاة والعبادة الشخصية يجب أن تصب في قنوات الأخلاق الاجتماعية، وإلا

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ١ ص ١٣١.

فهي عبادات فارغة عن الهدف وليست ذات قيمة كبيرة عند الله مهما أطال العابد عليها
عكوفه.
E / في الوفاء وأفضل الجهاد وأدب الخطاب
رفع جواسيس معاوية بن أبي سفيان تقريرا على الإمام الحسين (عليه السلام) بعد استشهاد أخيه
الإمام الحسن (عليه السلام) - علما أن التجسس من أبرز الرذائل الأخلاقية التي نهى عنها القرآن
بصريح قوله تعالى * (ولا تجسسوا...) * وكيف إذا كانت هذه الرذيلة تستهدف الحسين (عليه السلام)
- فكتب معاوية - على ضوء التقرير - رسالة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يهدده من أي تحرك (١)،
فرد عليه الإمام الحسين (عليه السلام) بمذكرة خطيرة كانت جوابا لرسالته، حمله مسؤولية جميع ما
وقع في بلاد المسلمين من سفك الدماء، وفقدان الأمن، وتعريض الأمة للأزمات، وهي من أروع الوثائق الرسمية التي حفلت بذكر الأحداث التي صدرت من معاوية، وهذا نصها:
" أما بعد: فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنه بلغك عني أمور ترغب عنها، فإن كانت حقا لم تقارني عليها، ولن يهدي إلى الحسنات ولا يسدد لها إلا الله تعالى.
أما ما نمي إليك فإنما رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنمائم، المفرقون بين
الجمع، وما أريد حربا لك، ولا خلافا عليك، وأيم الله لقد تركت ذلك، وأنا أخاف في
تركه وما أظن الله راضيا مني بترك محاكمتك إليه ولا عاذري دون الاعتذار إليه فيك
وفي أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظالمين وأولياء الشياطين.
ألست قاتل حجر بن عدي وأصحابه المصلين العابدين الذين ينكرون الظلم،
ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم ظلما وعدوانا، بعد ما إعطائهم الأمان بالمواثيق والأيمان المغلظة؟!
أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي أبلته العبادة فصفرت
لونه، وأنحلت جسمه، بعد أن أمنته وأعطيته من عهود الله عز وجل وميثاقه ما لو
أعطيته العصم ففهمته لنزلت إليك من شعف الجبال، ثم قتلته جرأة على الله عز وجل
واستخفافا بذلك العهد.

---

١ - تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٦٢.

أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد عبد ثقيف، وزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة رسول
الله (صلى الله عليه وآله) وخالفت أمره متعمدا، واتبعت هواك مكذبا بغير هدى من الله، ثم سلطته على
العراقين فقطع أيدي المسلمين، وسمل أعينهم، وصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وكأنها ليست منك. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) " من ألحق بقوم نسبا
ليس لهم فهو ملعون ".
أولست صاحب (قاتل) الحضرميين الذين كتب إليك ابن سمية أنهم على دين علي، فكتبت إليه أن اقتل من كان على دين علي ورأيه، فقتلهم، ومثل بهم بأمرك، ودين علي هو دين محمد (صلى الله عليه وآله) الذي كان يضرب عليه أباك، والذي إنتحالك إياه
أجلسك مجلسك هذا ولولاهموا كان شرفك تجشم الرحلتين في طلب الخمور!
وقلت: انظر لنفسك ودينك والأمة واتق شق عصا هذه الأمة، وان ترد الناس إلى الفتنة.
فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة، ولا أعلم نظرا لنفسي وديني أفضل من جهادك، فإن أفعله فهو قربة إلى ربي، وإن أتركه فذنب أستغفر الله منه في كثير من تقصيري، وأسأل الله توفيقي لأرشد أموري.
وقلت فيما تقول: إن أنكرك تنكرني، وإن أكدك تكدني، وهل رأيك إلا كيد الصالحين منذ خلقت؟! فكدني ما بدا لك. فاني أرجو أن لا يضرني كيدك، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، على أنك تكيد فتوقظ عدوك وتوبق نفسك، كفعلك بهؤلاء الذين قتلتهم ومثلت بهم بعد الصلح والأيمان والعهد والميثاق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا بما شرفت وعرفت، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوه، أو ماتوا قبل أن يدركوه.
فأبشر يا معاوية بالقصاص، وأيقن بالحساب، واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وليس الله بناس لك أخذك بالظنة وقتلك أولياءه على الشبهة والتهمة، ونفيك إياهم من دار الهجرة إلى الغربة والوحشة، وأخذك الناس ببيعة

لابنك غلام سفيه يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب. ولا أعلمك إلا قد خسرت نفسك وأوبقت دينك وأكلت أمانتك وغششت رعيتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل وأخفت التقي الورع الحليم وتبوأت مقعدك من النار، فبعدا للقوم الظالمين. والسلام على من اتبع الهدى " (١).
إن موقف الإمام الحسين (عليه السلام) هذا الذي أبداه في جواب معاوية، أربك معاوية بحيث
فوجئ به، وهو في أواخر أيامه، وقد إستنفذ كل الجهود واستعد ليجني ثمارها، فإذا به يواجه " أسدا " من بني هاشم يثور في وجهه، ويحاسب على جرائمه التي تكفي واحدة منها لإدانته أمام الرأي العام، فكان يقول: " إن أثرنا بأبي عبد الله إلا أسدا ".
إن الحسين (عليه السلام) باتخاذه هذا الموقف من معاوية، وضع أمام إنجازاته حجرة عرقلت
سيرها، وأوقفت إنتاجها السريع، مما جعل معاوية يفكر ويخطط من جديد، ولكن كبر السن لم يساعده، والأجل لم يمهله، وإن كان قد فتح للحسين صفحة في وصاياه لابنه من
بعده (٢).
ومن حق معاوية هنا أن لا يتذكر كلمة خالدة قالها رسول الله في سبطه الحسين " حسين
مني وأنا من حسين " وأنى لمعاوية أن يتذكر وقد نسي ذكر الله فأنساه الله ذكره ومودة أهل
الذكر معا. ولو كان لعرف ذلك لتذكر أن الحسين أولى من يطبق كلمة جده: " أفضل الجهاد
كلمة حق أمام سلطان جائر " فرسالة الحسين (عليه السلام) إحياء لهدف البعثة النبوية الشريفة التي
عنونها النبي (صلى الله عليه وآله) وهو صاحب الخلق العظيم قائلا: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ".
فجهاد الحسين (عليه السلام) مثل جهاد النبي (صلى الله عليه وآله) يصب مؤداه إلى إتمام مكارم الأخلاق. وقد أماتها
معاوية باحيائه للجاهلية. فكان لابد من الحسين السبط وهو الامتداد الرسالي لجده الرسول الكريم. فالرسول (صلى الله عليه وآله) واجه أبا سفيان، بينما الإمام علي والحسن (عليهما السلام) واجها
معاوية، وكان الحسين في وجه معاوية ويزيد. تأمل في طبيعة هاتين المواجهتين لتعرف الحق وأهله على طول الحياة.

----
١ - الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته: ص ١١٦ - ١٢٠ نقلا عن تاريخ ابن عساكر.
٢ - نفس المصدر.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - ضرورة معرفة الحق والباطل لاكتشاف أهلهما.
٢ - كلمة الحق أفضل الجهاد إذا ما قالها الإنسان في وجه الطاغوت تقربا إلى الله تعالى.
٣ - الدفاع عن الشهداء والمظلومين حق شرعي وأخلاقي مفروض على كل مسلم ومسلمة، فذلك من الوفاء الواجب.
٤ - حفظ الحقائق التاريخية لإدانة المجرمين حركة إيجابية تصب في الدفاع عن حقوق الناس، وهو شأن من الأخلاق.
E / في احترام رأي الناس وأداء حق الأمة
الناس هدف الرسالات السماوية، لأن الله تعالى قد بعث الرسل كي ينقذهم من الضلالة ويهديهم الطريق إلى الجنة، ولما تتأمل قول الرسول (صلى الله عليه وآله): " إنما بعثت لأتمم مكارم
الأخلاق " يتأكد لك أن الأخلاق بكل أبعادها المكارمية هي البداية.. هي الوسط.. وهي
النهاية في مسيرة الإنسان إلى الجنة. ومن أجل هذا كان صراع أهل الحق وأهل الباطل قائما
في حياة البشرية، وهنا إليك صورة من صور الأخلاق الحسينية في هذا الصراع، حيث تجد فيها قيمة الناس والطريقة (الديمقراطية الحقيقية) في تذكيرهم بالقيم وإستفتائهم فيها.
عقد الإمام الحسين (عليه السلام) في مكة مؤتمرا سياسيا عاما دعا فيه جمهورا غفيرا ممن شهد
موسم الحج من المهاجرين والأنصار والتابعين وغيرهم من سائر المسلمين فانبرى (عليه السلام)
خطيبا فيهم، وتحدث ببليغ بيانه بما ألم بعترة النبي (صلى الله عليه وآله) وشيعتهم من المحن والخطوب
التي صبها عليهم معاوية وما اتخذه من الإجراءات المشددة من إخفاء فضائلهم، وستر ما
أثر عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في حقهم وألزم - الحسين - حضار مؤتمره بإذاعة ذلك بين
المسلمين، وفيما يلي نص حديثه فيما رواه سليم بن قيس قال:
ولما كان قبل موت معاوية بسنة حج الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن
جعفر، فجمع الحسين بني هاشم ونساءهم ومواليهم، ومن حج من الأنصار ممن

يعرفهم
الحسين وأهل بيته، ثم أرسل رسلا، وقال لهم: " لا تدعوا أحدا حج العام من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) المعروفين بالصلاح والنسك إلا أجمعوهم لي ".

فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادق، عامتهم من التابعين، ونحو
من مائتي رجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) فقام فيهم خطيبا " فحمد الله
وأثنى عليه، ثم قال:
أما بعد: فان هذا الطاغية - يعني معاوية - قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم، وعلمتم
وشهدتم، واني أريد أن أسألكم عن شئ فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني،
اسمعوا مقالتي، واكتبوا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، فمن أمنتم من الناس،
ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا، فاني أتخوف أن يدرس هذا الأمر ويغلب،
والله متم نوره ولو كره الكافرون ".
- يقول الراوي -: وما ترك شيئا مما أنزله الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسره، ولا
شيئا
مما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أبيه وأخيه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه.
وفي كل ذلك كان يقول أصحابه: اللهم نعم، قد سمعنا وشهدنا، ويقول التابعي: اللهم
قد حدثني به من أصدقه وأئتمنه من الصحابة فقال (عليه السلام): " أنشدكم الله إلا
حدثتم به من
تثقون به وبدينه.. ".
وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر إسلامي عرفه المسلمون بعد مؤتمر يوم الغدير الذي
جمع النبي (صلى الله عليه وآله) المسلمين في حجة الوداع. وهكذا قد شجب الإمام
الحسين (عليه السلام) سياسة
معاوية ودعا المسلمين لإشاعة فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، وإذاعة مآثرهم التي
حاولت
السلطة الأموية حجبها عن المسلمين (١).
وترى في هذا الموقف أخلاقية الدعوة إلى الحق، والحكمة العملية في الإقناع بالدليل
والمنطق العذب. فقد جمعهم الحسين (عليه السلام) وتواضع لهم في الحديث قائلا: "
أريد أن
أسألكم عن شئ فإن صدقت فصدقوني وإن كذبت فكذبوني ".
هكذا هم أهل الحق لا يشكون في أنفسهم أنهم على حق، ولكنهم يريدون الالتزام
بالأخلاق لتبقى هذه القيم هدفا ساميا في الحياة.
نعم.. وهذه طريقة الحسين الأخلاقية في التذكير بالحق والقيم الإيمانية واعتماد
التوعية الجماهيرية، وبذلك يعلم الحسين (عليه السلام) الخطباء والعلماء والموجهين
والحكام
قيمة المبادئ الحقة وقيمة الناس، فذلك أقرب إلى التقوى.

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - ضرورة التذكير بالمبادئ والتكرار والتأكيد فيه.
٢ - احترام الناس وتوعيتهم.
٣ - أهمية الحق وقيمه الرفيعة.
٤ - إستفتاء آراء الجماهير في القضايا التي تهمهم مبدأ إسلامي نابع من احترام الإسلام للناس ومن أهميته لأخلاقيات الإمام والأمة.
٥ - الحديث مع الناس في حقوقهم السياسية يجب أن يكون في إطار التفهيم والتقدير وهذا ما تكفل به الأخلاق الكريمة في القيادة.
E / في الشجاعة وحقوق الفقراء
كان معاوية ينفق أكثر أموال دولة المسلمين على تدعيم ملكه، كما كان يهب الأموال الطائلة لبني أمية لتقوية مركزهم السياسي والاجتماعي، وكان الإمام الحسين يشجب هذه
السياسة، ويرى ضرورة إنقاذ الأموال من معاوية وإنفاقها على المحتاجين، وقد اجتازت على يثرب أموال من اليمن إلى خزينة دمشق، فعمد الإمام (عليه السلام) إلى الاستيلاء عليها،
ووزعها على المحتاجين من بني هاشم وغيرهم وكتب إلى معاوية: " من الحسين بن علي
إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فإن عيرا مرت بنا من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا
وطيبا إليك لتودعها خزائن دمشق، وتعل بها بعد النهل بني أبيك، واني احتجت إليها فأخذتها، والسلام.. ".
وأجابه معاوية: (من عبد الله معاوية إلى الحسين بن علي، أما بعد: فان كتابك ورد علي،
تذكر أن عيرا مرت بك من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا وطيبا إلي لأودعها خزائن دمشق، وأعل بها بعد النهل بني أبي، وانك احتجت إليها فأخذتها، ولم تكن جديرا بأخذها إذ نسبتها إلي لأن الوالي أحق بالمال، ثم عليه المخرج منه، وأيم الله لو تركت ذلك
حتى صار إلي لم أبخسك حظك منه، ولكنني قد ظننت يا ابن أخي أن في رأسك نزوة،
وبودي أن يكون ذلك في زماني فأعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك ولكنني والله أتخوف أن تبلى بمن لا ينظرك فواق ناقة).

وفي هذا الكتاب تهديد للإمام (عليه السلام) بمن يخلف معاوية وهو ابنه يزيد الذي لا يؤمن
بمقام الحسين ومكانته من رسول الله (صلى الله عليه وآله).
وعلى أي حال فقد قام الإمام (عليه السلام) بإنقاذ هذه الأموال من معاوية وأنفقها على الفقراء في
حين أنه لم يكن يأخذ لنفسه أي صلة من معاوية، وقد قدم له مالا كثيرا وثيابا وافرة وكسوة
فاخرة فرد الجميع عليه، وقد روى الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) ان الحسن والحسين كانا
لا يقبلان جوائز معاوية (١). هذا وكان من أخلاق الإمام الحسين أن يحمل زاد الفقراء إليهم
بنفسه ليلا ودون أن يعرفوه، لذا ورد في رواية: أنه رأوا في ظهره يوم الطف ثفنات (٢)،
فسئل السجاد - ولده - (عليه السلام) عنها فقال: إن ذلك مما كان ينقله في الليل على ظهره للأرامل
والأيتام. وجاء في رثاء هذا الإمام المظلوم:
وإن ظهرا غدا للبر ينقله * سرا إلى أهله ليلا لمكسور (٣)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - للإمام الحق حق التصرف فيما يصلح الأمة حتى ولو لم تكن له سلطة رسمية وبيعة
علنية.
٢ - مصالح الإسلام والأمة فوق أن تتعطل على أبواب الدوائر الحكومية المماطلة في
أداء الحقوق إلى أصحابها.
٣ - تنفيذ هذه الأمور الشرعية بيد الإمام المعصوم العارف بالأخلاق الحكيمة والتي
منها الشجاعة وقوة القلب.
٤ - المال في الدولة الجائرة حق الناس، فكلما استطاع أحدهم أخذ حقه من دون ضرر
جاز له ذلك.

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٣.
٢ - جمع ثفنه، ما في ركبة البعير وصدره، من كثرة مماسة الأرض.
٣ - الخصائص الحسينية: ٢٣. وفي رواية المناقب ٤: ٦٦ جاء بهذه العبارة: هذا مما كان ينقل الجراب
على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين.

E / في الرد على الجاهل البغيض

كان لمعاوية جواسيس بالمدينة يكتبون إليه أمور الناس. فكتب إليه أحدهم أن الحسين أعتق جارية له وتزوجها. فكتب معاوية إلى الحسين يعيره ويعيبه. فرد عليه الإمام الحسين
بالرسالة التالية:

" أما بعد فقد بلغني كتابك وتعييرك إياي بأني تزوجت مولاتي - أي الأمة - و تركت أكفائي من قريش. فليس فوق رسول الله (صلى الله عليه وآله) منتهى في شرف، ولا غاية في نسب، وإنما
كانت يميني خرجت من يدي بأمر إلتمست فيه ثواب الله. ثم أرجعتها على سنة نبيه (صلى الله عليه وآله)
وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة ووضع عنا به النقيصة، فلا لوم على امرئ مسلم إلا في مأثم، وانما اللوم لوم الجاهلية " (١).

* الدروس المستفادة هنا:

١ - وجوب الرد على الظالم الجاهل وتذكيره بالقيم الاسلامية.
٢ - أن يعمل الانسان لله ولا يبالي بلومة اللائمين الجهلاء.
٣ - إن الانسان حر في زواجه وأحواله الشخصية ما التزم فيها بالشروط الشرعية والأخلاقية فيها.
٤ - حرمة التجسس والتدخل في الأمور الخاصة بالأشخاص.

E / في أدب الكناية البليغة

روي أنه قد تذاكروا العقل عند معاوية، وكان الحسين (عليه السلام) حاضرا، فقال (عليه السلام): " لا يكمل
العقل إلا باتباع الحق "
فقال معاوية: ما في صدوركم إلا شئ واحد!! (٢)
نعم لم يكن في صدر الحسين (عليه السلام) إلا شئ واحد، وهو الحق والعدل، والكرم،
والحرية وارشاد الأمة إلى منهج الدين المحمدي الحق، وهذا مالم يكن يعقله معاوية بن

---

١ - موسوعة المصطفى والعترة / للشاكري / ج ٦ ص ٩١.
٢ - بحار الأنوار / ج ١٧ ص ٢١٧.

أبي سفيان، وأنى له أن يعقل وهو لم يتعلم عبادة الله التي قد تعلمها الحسين بن علي
(عليهما السلام)
الذي كان من دعائه: " اللهم أسألك توفيق أهل الهدى، وأعمال أهل التقوى، ومناصحة أهل التوبة، وعزم أهل الصبر، وحذر أهل الخشية، وطلب أهل العلم، وزينة أهل الورع، وحذر أهل الجزع، حتى أخافك اللهم مخافة تحجزني عن معاصيك، حتى أعمل لطاعتك عملا أستحق به كرامتك، وحتى أناصحك في التوبة خوفا لك، وحتى أخلص في النصيحة حبي لك، وحتى أتوكل عليك في الأمور حسن ظن بك، سبحان خالق النور، سبحان الله العظيم. " (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - يمكنك أن تقول كلمتك الرشيدة بالكناية، فإنها أبلغ من التصريح بالقصد في أحيان كثيرة.
٢ - العقل أساس التقدم والسعادة والهناء، وعندما تغيب السعادة فإنه يدل على غياب العقل، لأن الأثر يتبع مؤثره.
E / في الإباء والشجاعة
امتنعت يثرب من البيعة ليزيد، وأعلن زعماؤها وعلى رأسهم سبط النبي المصطفى الإمام الحسين (عليه السلام) رفضهم القاطع للبيعة مع يزيد السافل، ورفعت السلطة المحلية
تقريرها إلى معاوية، فرأى أن يسافر إلى يثرب ليتولى بنفسه إقناع المعارضين، فإن أبوا أجبرهم على ذلك، واتجه معاوية إلى يثرب في موكب رسمي تحوطه قوة هائلة من الجيش، ولما إنتهى إليها إستقبله أعضاء المعارضة - الجبناء - فجفاهم وهددهم، لأنه يعرف خواءهم، وفي اليوم الثاني أرسل إلى الإمام الحسين وإلى عبد الله بن عباس، وكان
معاوية يطمح استعطاف الحسين (عليه السلام)، فلما مثلا عنده قابلهما بالتكريم والحفاوة، وأخذ
يسأل الحسين (عليه السلام) عن أبناء أخيه الحسن، والإمام يجيبه، ثم خطب معاوية فأشاد
بالنبي (صلى الله عليه وآله) وأثنى عليه، وعرض إلى بيعة يزيد ومنح ابنه الألقاب الفخمة والنعوت الكريمة
ودعاهما إلى بيعته.

---
١ - أدب الحسين وحماسته / ص ٥٨ نقلا عن المجلد التاسع عشر من بحار الأنوار.

ولو كان أحد سوى الإمام الحسين (عليه السلام) لخنع مجاملة أو خجلا ولكن الإمام
أبي الضيم
قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أما بعد: يا معاوية فلن يؤدي المادح وإن أطنب في
صفة
الرسول (صلى الله عليه وآله) من جميع جزءا، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد
رسول الله (صلى الله عليه وآله) من إيجاز
الصفة، والتنكب عن إستبلاغ النعت، وهيهات هيهات يا معاوية!!... ولقد فضلت حتى
أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما
بذلت
لذي حق من اسم حقه من نصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل.
وفهمت
ما ذكرته عن يزيد من إكتماله، وسياسته لامة محمد (صلى الله عليه وآله) تريد أن
توهم الناس في يزيد
كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد
دل
يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من إستقرائه الكلاب المهارشة
عند
التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضروب الملاهي تجده
ناصرا. ودع عنك ما تحاول: فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت
لاقيه،
فوالله ما برحت تقدح باطلا في جور، وحنقا في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك
وبين
الموت إلا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص... "
وذهل معاوية من خطاب الإمام، وضاقت عليه جميع السبل فقال لابن عباس: ما هذا
يا ابن عباس؟.
فقال ابن عباس: لعمر الله إنها لذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) وأحد أصحاب
الكساء، ومن البيت
المطهر... (١).
ونهض الحسين (عليه السلام) أبي الضيم وترك معاوية يتميز من الغيظ، وقد إستبان له
أنه لا
يتمكن أن يخدع الإمام الحسين ويأخذ البيعة منه. وهذه الشجاعة من ونهض الحسين
(عليه السلام)
أبي الضيم وترك معاوية يتميز من الغيظ وقد إستبان له أنه لا يتمكن أن يخدع الام

الحسين (عليه السلام) ويأخذ البيعة منه. وهذه الشجاعة من ملازمات الايمان الحقيقي بالله
والأخلاق الإلهية التي لا تعطب عند بريق الماديات. وهكذا نقرأ في الجغرافية الأخلاقية عند الإمام الحسين (عليه السلام) أن لا مجاملة على حساب القيم الاسلامية.

----

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٢ ص ٢١٨ - ٢٢٠ نقلا عن الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٩٥ - ١٩٦.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - قل الحق وقف معه ثم لا تغتم ولا تحزن.
٢ - إن الشجاعة النابعة من حقيقة التوكل على الله تمنح الفرد قول الحق بنية القربة إلى الله.
٣ - إن روح الإباء والكرامة تمنع الخضوع للظالم.
٤ - مصالح الدين والأمة فوق أن تساوم إذا كانت الفتنة كارثة.
E / في الإباء والحكمة والدفاع
للمواقف الصعبة أخلاقية إسلامية خاصة، تنجي صاحبها من الهلكة، وترفعه إلى مستوى النجاح، فما هي تلك الأخلاقية؟
يمكنك استلهامها من موقف الإمام الحسين (عليه السلام) في الواقعة التالية:
حينما مات معاوية وأخلف على الأمة ابنه يزيد، بعث يزيد إلى الوليد - واليه على المدينة - ليكره الإمام الحسين (عليه السلام) على بيعته، لأنه إن بايعه الحسين اتبعه أكثر المسلمين
طوعا وزالت أعظم السدود أمام سلطانه وطغيانه، فبعث الوليد رسولا إلى الحسين (عليه السلام)
ليأتيه فماطل الحسين في المجئ متشاغلا في محاورة ابن الزبير. فبينما هما كذلك، إذ رجع إليهما رسول الوليد فقال: أبا عبد الله! إن الأمير قاعد لكما خاصة، فقوما إليه!
فزبره الحسين بن علي (عليهما السلام) ثم قال: " انطلق إلى أميرك لا أم لك! فمن أحب أن يصير
إليه منا فإنه صائر إليه، وأما أنا فإني أصير إليه الساعة إن شاء الله تعالى ".
هنا يبين الإمام (عليه السلام) مبدأ تحقير الطاغوت ورسوله معا، ويجسد قيمة الحرية ويربطها
بمشيئة الله عز وجل.
ثم أقبل الحسين (عليه السلام) على من بحضرته، فقال: " قوموا إلى منازلكم فإني صائر إلى
هذا الرجل فأنظر ما عنده وما يريد ".
فقال له ابن الزبير: جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)! إني خائف عليك أن
يحبسوك عندهم فلا يفارقونك أبدا دون أن تبايع أو تقتل.
فقال الحسين (عليه السلام): " إني لست أدخل عليه وحدي، ولكن أجمع أصحابي إلي و

خدمي وأنصاري وأهل الحق من شيعتي، ثم آمرهم أن يأخذ كل واحد سيفه مسلولا تحت ثيابه، ثم يصيروا بإزائي، فإذا أنا أومأت إليهم وقلت: يا آل الرسول ادخلوا! دخلوا وفعلوا ما أمرتهم به، فأكون على الامتناع، ولا أعطي المقادة والمذلة من نفسي، فقد علمت والله أنه جاء من الامر مالا قوام به، ولكن قضاء الله ماض في، وهو الذي يفعل في بيت رسوله (صلى الله عليه وآله) ما يشاء ويرضى ". (١)

قال ابن الزبير: فإني أخافه عليك إذا دخلت.

قال (عليه السلام): " لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر ". (٢)

ثم صار الحسين بن علي (عليهما السلام) إلى منزله، ثم دعا بماء، فلبس وتطهر بالماء وقام فصلى

ركعتين ودعا ربه بما أحب في صلاته، فلما فرغ من ذلك قال لمن حوله من أهل بيته: إذا أنا

دخلت على الوليد وخاطبته وخاطبني وناظرته وناظرني كونوا على الباب، فإذا سمعتم الصيحة قد علت والأصوات قد ارتفعت فاهجموا إلى الدار ولا تقتلوا أحدا ولا تثيروا إلى الفتنة. (٣)

أجل، هل رأيت أخلاقية سلمية تنظيمية دفاعية أعظم من هذه الأخلاقية الحكيمة؟ فهو يعتمد المناظرة رغم موقفه الثابت من الطاغوت، وينظم رجالا في الدفاع دون سفك

دم ولا إثارة فتنة، وهكذا كان الحسين (عليه السلام) يمتلك روحا إيمانية قوية، وقلبا مطمئنا، وعلما

وافرا، وحكمة وشجاعة. هذه الخصال والأسس تكفل في كل عصر النجاح للانسان الهادف بناء الموقف الشرعي في إطاره الأخلاقي الحكيم.

* الدروس المستفادة هنا:

١ - احتقار الظالم ومندوبه مبدأ من مبادئ العزة في الأخلاق الإسلامية.

٢ - التنظيم والتخطيط في العمل شرط من شروط النجاح.

---

١ الفتوح ٥: ١٢، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ١٨٢ وفيه عوض " لا أعطي "، " دون " وبدل " قضاء الله " " قدر الله ".

٢ - تاريخ الطبري ٣: ٢٧٠، الكامل في التاريخ ٢: ٥٣٠ وفيه: " وأجلسهم على الباب وأدخل عليه "، وقعة الطف، ٨٠.

٣ - المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٨٨.

٣ – العنف بمقدار الحاجة جائز إذا لزم.
٤ – السلم هو الهدف الأول دائما ولكن لا على حساب إلغاء الحق.
E / في التشاور وتبادل الرأي
فزع محمد بن الحنفية إلى الحسين، فجاء يتعثر في خطاه، وهو لا يبصر طريقه من شدة الحزن والأسى، ولما استقر به المجلس أقبل على الحسين قال له بنبرات مشفوعة بالإخلاص والحنو عليه:
" يا أخي فدتك نفسي، أنت أحب الناس إلي، وأعزهم علي، ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحد أحق بها منك فإنك كنفسي وروحي، وكبير أهل بيتي، ومن عليه اعتمادي، وطاعته في عنقي لأن الله تبارك وتعالى قد شرفك وجعلك من
سادات أهل الجنة واني أريد أن أشير عليك برأيي فاقبله مني.. ".
لقد عبر محمد بهذا الحديث الرقيق عن عواطفه الفياضة المترعة بالولاء والإكبار لأخيه – الحسين – وأقبل عليه الإمام الحسين فاسحا أمامه جو النصيحة بكل إخلاص وإصغاء. فقال له محمد بن حنفية:
" أشير عليك أن تتنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم إبعث برسلك إلى الناس، فان بايعوك حمدت الله على ذلك وان اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولم تذهب مروءتك ولا فضلك، واني أخاف عليك أن تدخل
مصرا من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم فطائفة معك واخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنة غرضا، فإذا خير هذه الأمة كلها نفسا وأبا واما أضيعها دما وأذلها أهلا ".
وبادر الإمام الحسين فقال له: " أين أذهب؟ ".
فقال محمد بن حنفية: " تنزل مكة فإن اطمأنت بك الدار، وإلا لحقت بالرمال، وشعب
الجبال، وخرجت من بلد إلى آخر حتى ننظر ما يصير إليه أمر الناس، فإنك أصوب ما تكون رأيا وأحزمهم عملا، حتى تستقبل الأمور استقبالا ولا تكون الأمور أبدا أشكل عليك منها حتى تستدبرها استدبارا ".
لم يقتنع الإمام بهذا الاقتراح طبعا...

وانفجر ابن الحنفية بالبكاء، ولن تفوت الإمام (عليه السلام) هنا الضرورة الأخلاقية
تجاه أخيه
الناصح فشكر نصيحته وقال: " يا أخي: جزاك الله خيرا لقد نصحت، وأشرت
بالصواب،
وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخي وشيعتي،
أمرهم أمري، ورأيهم رأيي، وأما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا، لا
تخف
عني شيئا من أمورهم " (١).
وزاده ثقة واحتراما حينما عهد إليه أيضا بوصيته الخالدة، وقد تحدث فيها عن أسباب
ثورته الكبرى على حكومة يزيد وجاء فيها:
" هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية، ان الحسين يشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عنده،
وان
الجنة حق، والنار حق، وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور.
وإني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب
الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر،
وأسير بسيرة
جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد
علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين. وهذه وصيتي إليك
يا أخي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " (٢).
أنظر إلى حالة الاستماع في الحسين (عليه السلام) وهو ثابت على رأيه، فالحوار من
مبادئه
الأخلاقية، ثم الوصية إلى أخيه وفيها معاني الثبات على العقيدة والهدفية والصبر
والتوكل.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - نبذ الاستبداد بالرأي واجب أخلاقي.
٢ - الشكر للناصح رغم عدم قبول رأيه.
٣ - التشاور مع العقلاء قيمة أخلاقية ومطلب حضاري.

____

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣.
٢ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٢ ص ٢٦٤.

E / في الاستماع إلى الرأي الآخر
لقد علمنا الحسين (عليه السلام) في أخلاقياته الرسالية أن الإنسان مهما كان مقتنعا بأفكاره
وقراراته ينبغي له أن لا يسد نافذته على الآخرين ليدلوا بآرائهم له، لأن الاستماع إلى الرأي
الآخر قيمة مستقلة بذاتها، والحسين بكل كيانه الرشيد نهضة لإحياء القيم الفاضلة كلها.
من هذه الزاوية فقد روى المؤرخون أن الإمام الحسين (عليه السلام) لما سار إلى مكة استقبله
عبد الله بن مطيع العدوي - فقال: أين تريد أبا عبد الله جعلني الله فداك؟!
قال: " أما في وقتي هذا أريد مكة، فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمري بعد ذلك ".
فقال له عبد الله بن مطيع: خار الله لك يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، غير أني
أشير عليك بمشورة فاقبلها مني.
فقال له الحسين (عليه السلام): " وما هي يا ابن مطيع "؟
قال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قتل أبوك وأخوك بطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم، فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك، والسلام.
فودعه الحسين (عليه السلام) ودعا له بخير. (١)
وروى الدينوري: أن الإمام (عليه السلام) قال لابن مطيع: " يقضي الله ما أحب ". (٢)
وروى عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين (عليه السلام) تهيأ للمسير إلى العراق، أتيته فدخلت عليه وهو بمكة، فحمدت
الله وأثنيت عليه ثم قلت: أما بعد، فاني أتيتك يا ابن عم لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة، فإن
كنت ترى أنك تستنصحني، وإلا كففت عما أريد أن أقول.
فقال الحسين (عليه السلام): " قل فوالله ما أظنك بسيئ الرأي، ولا هو للقبيح من الامر والفعل ".
قلت له: إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق وإني مشفق عليك من مسيرك، إنك تأتي بلدا فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار،

____

١ - الفتوح ٥: ٢٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ١٨٩ وأنساب الأشراف ٣: ١٥٥.
٢ - الأخبار الطوال: ٢٢٩.

ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه.
فقال الحسين (عليه السلام): " جزاك الله خيرا يا ابن عم، فقد والله علمت أنك مشيت
بنصح
وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد
مشير وأنصح ناصح ". (١)
يدلك هذا الحوار وهذه الكلمة الحسينية المؤدبة على أن الناصح مهما كان فان من
حقه
أن تصغي إلى نصيحته احتراما لقصده الصالح وتشجيعا لكل ناصح مثله في الآتي،
ولكي
لا تقتل النصيحة في مهدها.
فالاستماع إلى الرأي الآخر إذن من أخلاق الأحرار الواعين لمسيرتهم والواثقين من
أنفسهم والمخلصين لربهم، إذ لا مصلحة شخصية تدفعهم في حركتهم ومواقفهم، هذا
وعلى صفحة أخرى فهم يريدون بهذه الأخلاقية إثباتا عمليا لمكافحة الاستبداد المهلك
للمجتمع، ولا أجدني بحاجة إلى شرح أكبر إشكالية تعانيها أكثر الجماعات الاسلامية
في
عصرنا، هي إشكالية الاستبداد الذي أوردهم إلى المشاكل والمهالك وفيهم مع الأسف
بعض دعاة السير على خط الحسين أيضا!
أرجو أن ينتبهوا إلى أخلاق الحسين (عليه السلام) بهذا الخصوص، مع العلم أنه
المعصوم
المستمد عبر السماء الملهم، فلا يرى مع وضوح الحق مبررا للإستبداد برأيه، فمن
إهتدى
فقد إهتدى لنفسه ومن ضل فقد أضر بنفسه، إلا إذا أراد الضرر بغيره أيضا فلابد من
الوقوف بوجهه اعتمادا على الحكمة البالغة لقطع الطريق على الإضرار بالغير.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الحوار وتبادل الرأي والسماح للآخرين بإدلاء آرائهم مهما كانت مرفوضة أمر
أخلاقي جميل.

____
١ - تأريخ الطبري ٣: ٢٩٤، الفتوح ٥: ٧١ ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢١٥ مع اختلاف
يسير، تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ٢٠٢ وفيه: أبو بكر بن حارث، وقال الامام:
" ما أنت ممن يستغش ولايتهم فقل "، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٩٤ أشار إلى آخر الحديث فقط،
الكامل
في التاريخ ٢: ٥٤٥ وفيه: " قل فوالله ما استغشك وما أظنك بشئ من الهوى "، أعيان الشيعة ١: ٥٩٣،
نفس
المهموم: ١٦٨ وفيه مثل تاريخ ابن عساكر، وقعة الطف: ١٥١.

٢ – ليس بالضرورة الإفصاح عن أسرارك ان لم يكن طرفك ذا حاجة إلى الإفصاح عنها.
E / في الوداع مع الأحبة
خف الحسين (عليه السلام) في الليلة الثانية إلى قبر جده (صلى الله عليه وآله) وهو حزين كئيب ليشكو إليه ظلم
الظالمين له، ووقف أمام القبر الشريف – بعد أن صلى ركعتين – وقد ثارت مشاعره وعواطفه، فاندفع يشكو إلى الله ما ألم به من المحن والخطوب قائلا: " اللهم إن هذا قبر
نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم إني أحب
المعروف وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه إلا ما
اخترت لي ما هو لك رضي ولرسولك رضي ".
وأخذ الحسين يطيل النظر إلى قبر جده، وقد وثقت نفسه أنه لا يتمتع برؤيته، وانفجر بالبكاء، وقبل أن يندلع نور الفجر غلبه النوم فرأى جده الرسول (صلى الله عليه وآله) قد أقبل في كتيبة من
الملائكة، فضم الحسين إلى صدره، وقبل ما بين عينيه، وهو يقول له: " يا بني كأنك عن
قريب أراك مقتولا مذبوحا بأرض كرب وبلاء، بين عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة، فما لهم عند الله من خلاق. حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا علي، وهم إليك مشتاقون، إن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة.. ".
وجعل الحسين يطيل النظر إلى جده (صلى الله عليه وآله) ويذكر عطفه وحنانه عليه فازداد وجيبه
وتمثلت أمامه المحن الكبرى التي يعانيها من الحكم الأموي، فهو إما أن يبايع فاجر بني أمية أو يقتل، وأخذ يتوسل إلى جده ويتضرع إليه قائلا: " يا جداه لا حاجة لي في الرجوع
إلى الدنيا، فخذني إليك، وأدخلني معك إلى منزلك ".
والتاع النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له: " لابد لك من الرجوع إلى الدنيا، حتى ترزق الشهادة، وما
كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فإنك وأباك وأخاك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم
القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة ".

واستيقظ الحسين فزعا مرعوبا قد ألمت به تيارات من الأسى والأحزان وصار على يقين لا يخامره أدنى شك انه لابد أن يرزق الشهادة، وجمع أهل بيته فقص عليهم رؤياه

الحزينة، فطافت بهم الآلام، وأيقنوا بنزول الرزء القاصم ووصف المؤرخون شدة حزنهم، بأنه لم يكن في ذلك اليوم لا في شرق الأرض ولا في غربها أشد غما من أهل بيت
رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا أكثر باكية وباك منهم.
ثم توجه الحسين (عليه السلام) في غلس الليل البهيم إلى قبر امه وديعة النبي (صلى الله عليه وآله) وبضعته،
ووقف أمام قبرها الشريف مليا، وهو يلقي عليه نظرات الوداع الأخير، وقد تمثلت أمامه عواطفها الفياضة، وشدة حنوها عليه، وقد ود أن تنشق الأرض لتواريه معها، وانفجر بالبكاء، وودع القبر وداعا حارا، ثم انصرف إلى قبر أخيه الزكي أبي محمد، فأخذ يروي
ثرى القبر من دموع عينيه، وقد ألمت به الآلام والأحزان، ثم رجع إلى منزله، وهو غارق
بالأسى والشجون (١).
إن هذه السلوكيات المليئة بالعواطف الجياشة لا تصدر إلا ممن عاشوا في أسرة متماسكة بالحب والاحترام وكانوا مع الأخلاق في قمم محاسنها وقلل مكارمها، هكذا كان محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لابد للعائلة المسلمة أن تزرع في قلوب أبنائها الحب والتماسك ليظهر أثره في كل
الحالات والأزمات.
٢ - تعني الوداع مع الأحبة مفردة أخلاقية يفرزها الحب بينهم.
٣ - في الأزمات العاصفة بالمؤمن لابد له أن يتضرع إلى الله القوي العزيز بالتوسل إلى النبي وأهل بيته (عليهم السلام).
E / في أدب الوصية والوداع
إذا أردت سفرا يحمل في أبعاده وآفاقه أهدافا كبيرة على كافة المستويات عليك أن توصي بما يحفظ تلك الأهداف من الدس والتزوير، هذه الأخلاقية تنبع من الأمانة وحب
الخير، وذلك ما علمنا الإمام الحسين (عليه السلام) حينما كتب وصيته في مدينة جده الرسول
وقدمها إلى أخيه محمد بن الحنفية عند وداعه الساخن معه.

----
١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٢ ص ٢٥٩ - ٢٦١.

: انظر إلى نص الكلمات: " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد على هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ".

ثم طوى الحسين (عليه السلام) الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه (١).

وهل كانت سيرة جده محمد (صلى الله عليه وآله) وأبيه علي (عليه السلام) سوى دعوة الإنسان إلى الحياة
المعنوية في ظل الأخلاق الكريمة والقيم الحميدة.

فهل كان الحسين يستحق من أجل هذا الهدف أن يقتل بتلك القتلة الفجيعة؟

* الدروس المستفادة هنا:

١ - كتابة الأمور المهمة أمر هام في الحياة والتقدم في مجالاتها المتعددة.

٢ - الاستفادة من كل إنسان حسب ظروفه وإمكانياته ومستواه.

٣ - بيان القصد الذي يروم إليه الإنسان وتوضيح ذلك لمن يهمه الأمر.

E / في آداب التضامن والتماسك العائلي

عن محمد بن علي (عليهما السلام) قال: " لما هم الحسين (عليه السلام) بالشخوص عن المدينة، أقبلت نساء
بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة، حتى مشى فيهن الحسين (عليه السلام) فقال: " أنشدكن الله ان
تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله ".

---

١ - بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٨٩ أشار إلى بعض الكتاب، الفتوح ٥: ٢٣ وأضاف
فيه بعد سيرة أبي علي بن أبي طالب " وسيرة خلفاء الراشدين المهديين " وهم من بعد علي (عليه السلام) ابنه الحسن (عليه السلام)، العوالم ١٧: ١٧٩.

فقالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي هذه النياحة والبكاء، فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) ورقية وزينب وأم كلثوم... (١)
ثم إن نساء بني هاشم أقبلن إلى أم هاني عمة الحسين (عليه السلام) - وكانت طاعنة في السن -
فقلن لها: يا أم هاني أنت جالسة والحسين (عليه السلام) مع عياله عازم على الخروج، فأقبلت أم هاني
فلما رآها الحسين (عليه السلام) قال: " أما هذه عمتي أم هاني "؟ قيل: نعم.
فقال: " يا عمة ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة "؟
فقالت: وكيف لا آتي وقد بلغني أن كفيل الأرامل ذاهب عني، ثم إنها انتحبت باكية و تمثلت بأبيات أبيها أبي طالب (عليه السلام):
وأبيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل
ثم قالت: سيدي وأنا متطيرة عليك من هذا المسير لهاتف سمعت البارحة يقول:
وإن قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقابا من قريش فذلت
حبيب رسول الله لم يك فاحشا * أبانت مصيبته الأنوف وحلت
فقال لها الحسين (عليه السلام): " يا عمة لا تقولي من قريش ولكن قولي أذل رقاب المسلمين
فذلت "، ثم قال: " يا عمة كل الذي مقدر فهو كائن لا محالة ".
ثم أضاف الحسين (عليه السلام):
وما هم بقوم يغلبون ابن غالب * ولكن بعلم الغيب قد قدر الامر
فخرجت أم هاني من عنده باكية وهي تقول:
وما أم هاني وحدها ساء حالها * خروج حسين عن مدينة جده
ولكنما القبر الشريف ومن به * ومنبره يبكون من أجل فقده (٢)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الحب والمودة بين أفراد الأسرة ضرورة أخلاقية.

----
١ - كامل الزيارات: ٩٦، بحار الأنوار ٤٥: ٨٨، أعيان الشيعة ١: ٥٨٨، مقتل الحسين عليه السلام للمقرم:
١٥٢، مدينة المعاجز ٤: ١٧٧، معالي السبطين ١: ٢١٤.
٢ - معالي السبطين ١: ٢١٤.

٢ - توقير الكبار في السن وتلطيف الحديث معهم مبدأ أخلاقي رفيع.
٣ - التسليم لله مقدم على العواطف العائلية، وتجاوزها لابد فيه من الحكمة واللين.
E / في توقير الكبار
قد يعتقد الانسان بصحة رأيه، ويعارضه من هو أكبر منه سنا لأسباب المحبة والعطف وعدم معرفة الحقيقة بتفاصيلها. فيكون المطلوب في هذه الحالة من الانسان العاقل توظيف أخلاقه الحميدة لإقناع المعارض برأيه.
هذا ما تقرؤه في الموقف التالي للامام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وذلك لما عزم على
الخروج من المدينة حيث أتته أم سلمة (رضي الله عنها) فقالت: يا بني! لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق، في أرض يقال لها كربلاء فقال لها: يا أماه! وأنا والله أعلم ذلك، وإني مقتول لا محالة، وليس
لي من هذا بد، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أريك حفرتي ومضجعي.
ثم أشار (عليه السلام) إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع
عسكره وموقفه ومشهده.. فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديدا، وسلمت أمره إلى الله.
فقال لها: يا أماه! قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولا مذبوحا ظلما وعدوانا، وقد شاء
أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا ولا معينا (١).
نعم، إن الأخلاق الطيبة تبعث في الانسان رزانة وحكمة وصلابة، وهكذا يكون قد التزم بالمبدأ الأخلاقي القاضي بتوقير الكبار، وكذلك مبدأ عدم التنازل عن الرأي الأصوب. ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) ورد أن " أهل الأرض لمرحومون ما
تحابوا، وأدوا الأمانة وعملوا بالحق " (٢).

---

١ - بحار الأنوار ٤٤: ٣٣١ و ٣٣٢.
٢ - بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١١٧.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - حاول دائما أن تصل إلى معرفة الحقيقة بتفاصيلها قدر المستطاع لتهديك إلى اتخاذ
المواقف الصعبة.
٢ - حالة التسليم في النفس وعدم التكبر والاستكبار حالة نابعة من الإيمان بالله مع حسن المعرفة بصفاته عز وجل.
E / في الصمت وآداب الهجرة إلى الله
بعد ما قرر الإمام الحسين (عليه السلام) رفضه الكامل لبيعة يزيد إتجه مع أهل بيته إلى مكة التي
هي حرم الله، وحرم رسوله، عائذا ببيتها الحرام الذي فرض فيه ربنا تعالى الأمن والطمأنينة لجميع العباد.
لقد اتجه إلى هذا البلد الأمين ليكون بمأمن من شرور الأمويين واعتداءاتهم، يقول المؤرخون: إنه خرج ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة (٦٠ ه) وقد خيم الذعر على
المدنيين حينما رؤوا آل النبي (صلى الله عليه وآله) ينزحون عنهم إلى غير مآب.
وفصل الركب من يثرب - المدينة - وكان الإمام (عليه السلام) يتلو قوله تعالى: * (رب نجني من
القوم الظالمين) *.
لقد شبه خروجه بخروج موسى على فرعون زمانه، أليس الحسين خارج على طاغية زمانه فرعون هذه الأمة، لا لشئ إلا ليقيم الحق، ويبني صرح العدل، وأشار عليه بعض أصحابه أن يحيد عن هذا الطريق الصعب - كما فعل ابن الزبير - مخافة أن يدركه الطلب من
السلطة في يثرب، فأجابه (عليه السلام) بكل وضوح وثقة نفس: " لا والله لا فارقت هذا الطريق
أبدا أو أنظر إلى أبيات مكة، أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى.. " (١).
واستقبله في أثناء الطريق عبد الله بن مطيع العدوي، فقال له: أين تريد أبا عبد الله، جعلني الله فداك؟
فأجابه الحسين بإجابة حكيمة: " أما في وقتي هذا أريد مكة، فإذا صرت إليها استخرت الله في أمري بعد ذلك ".

----
١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٢ ص ٣٠٥.

فقال: خار الله لك، يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، إني أشير عليك
بمشورة
فاقبلها مني - وتلك هي -:
إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فبها قتل أبوك، وأخوك طعنوه بطعنة كادت
أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم فإنك سيد العرب في دهرك فوالله لئن هلكت ليهلكن
أهل
بيتك بهلاكك.
وشكره الإمام وودعه ودعا له بخير، وسار موكب الإمام يجد السير لا يلوي على شئ
حتى إنتهى إلى مكة، فلما نظر الإمام إلى جبالها تلا قوله تعالى: * (ولما توجه تلقاء
مدين قال
عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) *.
لقد كانت هجرته إلى مكة كهجرة موسى إلى مدين، فكل منهما قد فر من فرعون
زمانه، وهاجر لمقاومة الظلم ومناهضة الطغيان (١).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن استطعت أن تؤدي واجبك في أرضك فافعل، وإلا فالهجرة من أجل ذلك
واجبة
من الواجبات شريطة أن تؤديها في الهجرة.
٢ - إستعن في أمورك على الصمت والكتمان وقلة الكلام، حتى إذا كنت واثقا فيمن
يحادثك.
٣ - حاول أن تستند في كلامك ومواقفك إلى أدلة من القرآن الحكيم.
E / في الموقف من الناصح المشبوه
كتب إلى الحسين عمرو بن سعيد بن العاص:
إني أسأل الله أن يلهمك رشدك، وأن يصرفك عما يرديك، بلغني أنك قد إعتزمت على
الشخوص إلى العراق، فإني أعيذك بالله من الشقاق. فإن كنت خائفا فأقبل إلي، فلك
عندي
الأمان والبر والصلة!
وعمرو هذا من الامراء الأقوياء في فلك الحكام، وذو عدة وعدد، ويبدو من كتابه أنه

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٨.

على ثقة من نفسه، وأنه إنما كتب الكتاب مستقلا، وأما نيته فلا يبعد أن يكون قد فكر في
التخلص من الحسين (عليه السلام) وحركته بنحو سلمي، لأنه كان ممن يرشح نفسه للحكم، أو هو
محسوب على الحكم، ولا يحب أن يتورط في مواجهة مع الحسين (عليه السلام)، ومع هذا فهو
جاهل بكل الموازين والمصطلحات الإسلامية، فهو يحذر الإمام من " الشقاق " ثم هو يحاول أن يطمع الحسين في الأمان والبر والصلة!
وقد كتب إليه الحسين (عليه السلام) جوابا مناسبا هذا نصه:
" إن كنت أردت بكتابك إلي بري وصلتي، فجزيت خيرا في الدنيا والآخرة. وإنه لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين. وخير الأمان أمان الله، ولم يؤمن الله من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمان الآخرة عنده " (١).
ومن العبر أن عمرا - هذا - اغتر بأمان خلفاء بني أمية فغدروا به وقطعوه بالسيوف، ولم
ينفعه أهله وعشيرته، فخسر أمان الدنيا وأمان الآخرة (٢).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - دراسة شخصية المشبوهين في النصيحة.
٢ - إعطاء الجواب على طريقة الدوران بين جانبين واحتمالين.
٣ - الذكاء في التصرف مع النصيحة الخادعة.
٤ - إن ميزان الوعي الإيماني يكفل بالتفريق واكتشاف الناصح الأمين والناصح الماكر.
E / في فن الحوار وتبادل الكلام
كان عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر مقيمين في مكة حينما أقبل الإمام الحسين إليها، وقد خفا لإستقباله والتشرف بخدمته، وكانا قد عزما على مغادرة مكة، فقال له ابن
عمر - يريد التثبط من عزمه على الثورة -!

---

١ - مختصر تاريخ دمشق: ٧ / ١٤١.
٢ - الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته: ص ١٣٣ - ١٣٤.

" أبا عبد الله، رحمك الله، إتق الله الذي إليه معادك، فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت
- يعني بني أمية - لكم، وقد ولى الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية، ولست آمن أن يميل
الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء - الذهب والفضة - فيقتلونك، ويهلك فيك بشر
كثير، فإني قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: " حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه ولن
ينصروه ليخذلهم الله إلى يوم القيامة، وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين ".
فقال له أبي الضيم: " أنا أبايع يزيد، وأدخل في صلح؟!! وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله) فيه وفي
أبيه ما قال "؟!!
وانبرى ابن عباس فقال له: " صدقت أبا عبد الله، قال النبي (صلى الله عليه وآله) في حياته: " مالي
وليزيد لا بارك الله في يزيد، وانه يقتل ولدي، وولد ابنتي الحسين، والذي نفسي بيده، لا يقتل ولدي بين ظهراني قوم فلا يمنعونه إلا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم ".
وبكى ابن عباس والحسين، والتفت إليه قائلا: " يا ابن عباس أتعلم أني ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ ".
قال ابن عباس: " اللهم نعم.. نعلم ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله غيرك، وان نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة والزكاة التي لا يقبل أحدهما دون الأخرى.. ".
فقال له الحسين: " يا ابن عباس، ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من
داره، وقراره، ومولده، وحرم رسوله، ومجاورة قبره، ومسجده وموضع مهاجره، فتركوه خائفا مرعوبا لا يستقر في قرار، ولا يأوي في موطن، يريدون في ذلك قتله، وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله ولا اتخذ من دونه وليا، ولم يتغير عما كان عليه رسول
الله (صلى الله عليه وآله) ".
وانبرى ابن عباس يؤيد كلامه، ويدعم قوله قائلا: " ما أقول فيهم إلا انهم كفروا بالله ورسوله، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا، مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا، وعلى مثل

هؤلاء

(١٧٠)

تنزل البطشة الكبرى، وأما أنت يا ابن رسول الله فإنك رأس الفخار برسول الله، فلا تظن
يا ابن بنت رسول الله أن الله غافل عما يفعل الظالمون، وأنا أشهد أن من رغب عن مجاورتك، وطمع في محاربتك، ومحاربة نبيك محمد فما له من خلاق.. ".
فصدق الإمام الحسين قوله قائلا: " اللهم نعم ".
وانطلق ابن عباس يظهر له الاستعداد للقيام بنصرته قائلا: " جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله، كأنك تريدني إلى نفسك، وتريد مني أن أنصرك، والله الذي لا إله إلا هو إن لو
ضربت بين يديك بسيفي هذا بيدي حتى انخلعا جميعا من كفي لما كنت ممن وفى من
حقك عشر العشر، وها أنا بين يديك مرني بأمرك ".
وقطع ابن عمر كلامه، وأقبل على الحسين فقال له: " مهلا عما قد عزمت عليه، وارجع من هنا إلى المدينة، وادخل في صلح القوم، ولا تغب عن وطنك، وحرم جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجة وسبيلا، وإن أحببت أن لا
تبايع فأنت متروك حتى ترى رأيك، فان يزيد بن معاوية عسى أن لا يعيش إلا قليلا فيكفيك الله أمره ".
وزجره الإمام، رادا عليه قائلا: " أف لهذا الكلام أبدا ما دامت السماوات والأرض، أسألك يا عبد الله أنا عندك على خطأ من أمري؟ فإن كنت على خطأ ردني فأنا أخضع، وأسمع وأطيع "!
فقال ابن عمر: " اللهم لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسول الله على خطأ، وليس مثلك من طهارته وصفوته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) على مثل يزيد بن معاوية، ولكن
أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وترى من هذه الأمة ما لا تحب،
فارجع معنا إلى المدينة، وإن لم تحب أن تبايع، فلا تبايع أبدا، واقعد في منزلك ".
والتفت إليه الإمام فأخبره عن خبث الأمويين، وسوء نواياهم نحوه قائلا:
" هيهات يا ابن عمر ان القوم لا يتركوني، وإن أصابوني وإن لم يصيبوني، فلا يزالون حتى أبايع وأنا كاره، أو يقتلوني، أما تعلم يا عبد الله ان من هوان الدنيا على الله تعالى أنه أتي برأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. والرأس ينطق بالحجة عليهم؟!! أما تعلم يا أبا عبد الرحمن إن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع

الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيا ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنهم لم يصنعوا شيئا، فلم يعجل الله عليهم ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ".
وهنا أقبل الحسين على ابن عباس، فعهد إليه بهذه الوصية قائلا: " وأنت يا ابن عباس ابن عم أبي، لم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع أبي تشير عليه بما فيه الرشاد والسداد، وقد كان أبي يستصحبك ويستنصحك ويستشيرك، وتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله، ولا تخف علي شيئا من أخبارك، فاني مستوطن هذا الحرم، ومقيم به ما رأيت أهله يجيبونني وينصرونني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم يوم القي في النار * (حسبي الله ونعم الوكيل) * فكانت النار عليه بردا وسلاما.. (١).
تكشف هذه المحاورة عن تصميم الإمام على الثورة، وعزمه على مناجزة يزيد لأنه لا يتركه وشأنه، فإما أن يبايع، وبذلك يذل هو ويذل الإسلام وتستباح حرماته، وإما أن يقتل
عزيزا كريما، فاختار المنية للحفاظ على كرامته وكرامة الأمة ومقدساتها. ولكن الحسين
(عليه السلام) رغم عزمه الراسخ تجده يفتح سمعه على الرأي الآخر، فيحترم صاحبه دون الإساءة
إليه بشطر كلمة. وهذا ما لم يلتزم به أكثر الناس بما فيهم شيعة الحسين، أسفا عليهم!
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الحوار دليل قوة، لذا لا يخاف القوي من أي حوار إذا ما وجد فيه نفعا ولو على مستوى بيان الحقيقة للتاريخ.
٢ - إن من مبادئ الحوار أن تصغي إلى كلام الطرف الآخر وتكشف له ثغرات رأيه بمنطقك الحكيم.
E / في احترام حرمة الحرم الشريف
إذا كان الظالمون لا يلتزمون للكعبة والحرم بأية حرمة، ويستعدون لقتل النفوس البريئة فيه، وهتك الأعراض في ساحته، وحتى لهدمه وإحراقه، كما أحدثوه في تاريخهم

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٢ ص ٣١٧ - ٣٢١.

الأسود مرارا، وصولا إلى أغراضهم السياسية المشؤومة، فإن بإمكان الحسين (عليه السلام) أن
يسلبهم إمكانية تلك الدناءة، فلا يوفر لهم فرصة ذلك الإجرام، ولا يجعل من نفسه ودمه
موضعا لهذا الإقدام الذي يريده المجرمون، فلا يتحقق بحضوره في الحرم للمجرمين أغراضهم الخبيثة، بقتله وهتك حرمة الحرم، وإن كان مظلوما على كل حال. وهذه هي الغاية في احترام الكعبة، وحفظ حرمة الحرم.
وقد صرح الإمام الحسين (عليه السلام) بهذه الغاية لابن عباس، لما وقف أمام خروجه إلى
العراق، فقال: " لئن اقتل بمكان كذا وكذا، أحب إلي من أن أستحل حرمتها ".
وفي نص آخر: "... أحب إلي من أن يستحل بي ذلك " (١).
والنص الوارد في نقل الطبراني: ".. أحب إلي من أن يستحل بي حرم الله ورسوله ".
وهذه مأثرة اختص بها أهل البيت (عليهم السلام) لابد أن يمجدها المسلمون (٢).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - حفظ حرمة المسجد الحرام حتى على حساب الضرر الشخصي.
٢ - ترجيح القيم العبادية الثابتة على أية قضية فرعية.
٣ - سلب مبررات الظلم في أماكن العبادة، والعمل على منع حدوث ما يلوثها.
٤ - تكريس الأمن في دور العبادة، وعدم السماح للأمور السياسية بإفنائه.
E / في قضاء الحاجة بالإعجاز والكرامة
الإمامة - عندنا نحن الشيعة الإمامية - تشترك مع النبوة في كل شئ إلا أن النبوة تختص
بالوحي المباشر، وبالشريعة المستقلة، أما النص، والأهداف، والوسائل، والغايات، فهما لا يفترقان في شئ من ذلك.
بل الإمامة امتداد أرضي للرسالة السماوية، فلا غرو أن يمد الله الإمام بما يمد النبي من القدرة على الخوارق التي لا يستطيعها البشر.

---

١ - مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور: ٧ / ١٤٢.
٢ - الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته: ص ٩٣.

أليس الهدف من الإعجاز إقناع الناس بالحق الذي جاء به الأنبياء؟! فإذا كان ما يدعو إليه
الأئمة هو عين ما يدعو إليه الأنبياء، فأي بعد في دعم هؤلاء بما دعم به أولئك؟! من دون
تقصير في حق أولئك، ولا مغالاة في قدر هؤلاء!
ومهما كان فإن الحسين (عليه السلام) لما خرج من المدينة يريد مكة مر بابن مطيع، وهو يحفر
بئره، وجرى بينهما حديث عن مسير الإمام، وجاء في نهايته:
قال ابن مطيع: إن بئري هذه قد رشحتها، وهذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو شئ من
الماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة.
قال (عليه السلام): هات من مائها. فاتي من مائها في الدلو، فشرب منه، ثم تمضمض، ثم رده في
البئر، فأعذب وأمهى.
وهذا من الحسين (عليه السلام) أيضا غيض، وهو معدن الكرم والفيض. إلا أن حديث الماء،
والحسين في طريقه إلى كربلاء، فيه عبرة، تستدر العبرة:
فهل هي إشارات غيبية إلى أن الحسين سيواجه المنع من الماء، وسيقتل " عطشا " وهو
منبع البركة، من فيض فمه يعذب الماء وينفجر ينبوعه؟! (١).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - مزج الأخلاق بالعقيدة، أي قضاء الحاجة للمؤمن بالمعجزة.
٢ - أهمية بيان الشخصية لتثبيت الحق وتكريس القيم الأخلاقية.
E / في العدل والإنصاف
في طريقه إلى كربلاء أقبل الحسين (عليه السلام) حتى مر بالتنعيم، فلقى بها عيرا قد أقبل بها من
اليمن، بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية - وكان عامله على اليمن -
وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد، فأخذها الحسين (عليه السلام) فانطلق بها.
ثم قال لأصحاب الإبل: " لا أكرهكم، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه
وأحسنا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع
من الأرض ".

----

١ - الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته: ص ٩٠ - ٩١.

فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه. (١)
كم رائع هذا العدل الحسيني مع الكراء، وكم رائع أخذه لتلك الأموال التي هي أموال المسلمين ولكنها كانت على طريقها إلى الطاغوت الأموي، فأرجعها سبط الرسول (صلى الله عليه وآله)
إلى استحقاقاتها الشرعية مع الالتزام الكامل بالأخلاق الاسلامية. إنه لا يعترف بيزيد بن معاوية، أليس الحسين (عليه السلام) هو الحاكم الإسلامي الحق، وهو الأحق بالتصرف؟
أجل هذه هي الثورية بلباس الإنصاف والعدل والورع، ومن دون هذا اللباس فإنها فوضة وضلالة وليست ثورة حسينية.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - العمل الثوري في ظل الإمام العادل الواعي جائز.
٢ - أموال المسلمين يعود إليهم وبتصرف الإمام الحق.
E / في أخلاق السؤال والتفحص
كم أنت مسلم أمرك إلى الله؟
وإلى أي قدر تبحث في حياتك عن رضي الله؟
كيف تحاول أن تستخبر الحقائق لتوظفها في سبيل الله؟
وأخيرا ما هو الأدب الأخلاقي الواجبة رعايته في المحادثة مع الآخرين؟
هذه الأسئلة يجيبك عليها الإمام الحسين (عليه السلام) في موقفه مع فرزدق الذي روي عنه أنه
قال: حججت بأمي في سنة ستين، فبينما أنا أسوق بعيرها حتى دخلت الحرم إذ لقيت الحسين (عليه السلام) خارجا من مكة، معه أسيافه وأتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي (عليهما السلام)، فأتيته وسلمت عليه، وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأملك
فيما تحب، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الحج؟
قال: " لو لم أعجل لأخذت "، ثم قال لي: " من أنت "؟

---

١ - تاريخ الطبري ٣: ٢٩٦، الارشاد: ٢١٩ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٢٠، الكامل في التاريخ ٢: ٥٤٧، اللهوف ٣٠، مثير الأحزان: ٤٢، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٧، أعيان الشيعة ١: ٥٩٤، وقعة الطف:
١٥٧ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

قلت: امرؤ من العرب، فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك - أي انه لم يحقق معه ويكثر
عليه السؤال للكشف عن شخصيته كما تفعله العقليات المخابراتية والفضوليون في عصرنا -.
ثم قال لي: " أخبرني عن الناس خلفك "؟
فقلت: الخبير سألت، قلوب الناس معك وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.
فقال: " صدقت، لله الامر من قبل ومن بعد، وكل يوم (ربنا) هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب ونرضى فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال
القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سريره " (١).
فقلت له: أجل بلغك الله ما تحب، وكفاك ما تحذر. وسألته عن أشياء من نذور ومناسك
فأخبرني بها، وحرك راحلته وقال: " السلام عليك "، ثم افترقنا. (٢)
لقد جعل الإسلام للتفحص والسؤال عما يروم إليه الإنسان أخلاقية وأدبا لامعا
ومنهجية علمية، وإن أدنى ما يحققه ذلك هو التعارف بين المتفحص وبين الآخرين، و
هذا داخل في الأخلاق الاجتماعية كما تقرؤه أيضا في الموقف التالي للإمام الحسين (عليه السلام)
حينما وصل إلى منطقة ذات عرق (٣) في طريقه إلى كربلاء حيث لقيه رجل من بني أسد
يقال له بشر بن غالب، فقال له الحسين (عليه السلام): " ممن الرجل "؟
قال: رجل من بني أسد.
قال: " فمن أين أقبلت يا أخا بني أسد "؟
قال: من العراق.

---

١ - الاخبار الطوال: ٢٤٨.
٢ - الارشاد: ٢١٨، تأريخ الطبري ٣: ٢٩٦، وفيه: قال أبو مخنف، عن أبي جناب عن عدى بن حرملة، عن
عبد الله بن سليم والمذري قالا: اقبلنا حتى انتهينا إلى الصفاح فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر فواقف حسينا، فقال له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب، فقال له الحسين عليه السلام: بين لنا نبأ الناس خلفك...
الخ. الكامل في التاريخ ٢: ٥٤٧، وفيه بدل قوله " من قبل ومن بعد " " يفعل ما يشاء، وبدل كلمة يبعد " يعقد
"، مثير الأحزان: ٤٠، البداية والنهاية ٨: ١٨٠ إلى قوله قلوب الناس معك، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٥، أعيان

الشيعة ١: ٥٩٤، وقعة الطف: ١٥٨ مثل تاريخ الطبري.
٣ - ذات عرق: مهل أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة. وقيل: عرق جبل بطريق مكة، ومنه ذات عرق.
معجم البلدان ٤: ١٠٧.

فقال: " كيف خلفت أهل العراق "؟
قال: يا ابن بنت رسول الله خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية!
فقال له الحسين (عليه السلام): " صدقت يا أخا العرب! إن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء،
ويحكم ما يريد ".
فقال له الأسدي: يا ابن بنت رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى: * (يوم ندعوا كل أناس
بإمامهم) * (١)؟
فقال الحسين (عليه السلام): " نعم يا أخا بني أسد! هم إمامان: إمام هدى دعا إلى هدى، وإمام
ضلالة دعا إلى ضلالة، فهدى من أجابه إلى الجنة، ومن أجابه إلى الضلالة دخل النار ". (٢)
فهل تعلمت أيها الباحث عن الحقيقة أخلاق السؤال عن الحقيقة وأدب المحادثة مع الآخرين؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لابد في السفر من السؤال عما تحتاجه خاصة عما جئت من أجله.
٢ - من الجيد أن يتعرف الإنسان على الأشخاص الذين يلتقون معه في أي موقع بالسؤال عن أسمائهم وأوطانهم وانتماءاتهم.
E / في التصرف الحكيم مع اليتيم
وجاء في بعض كتب التواريخ إنه كان لمسلم بن عقيل بنت عمرها ثلاث عشرة سنة وكانت مع بنات الحسين (عليه السلام) وتصاحبهم ليلا ونهارا، فلما بلغ الحسين (عليه السلام) مقتل مسلم
جاء إلى فسطاطه فاخذ ابنته وتلطف إليها ومسح على رأسها أكثر مما كان يفعل - وعلى
قول كان الحسين خالها - فقالت ابنة مسلم: يا ابن رسول الله تتعامل معي معاملة الأيتام هل
أستشهد أبي؟

----
١ - سورة الإسراء: الآية ٧١.
٢ - مثير الأحزان: ٤٢ الفتوح ٥: ٧٧، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٢٠ وفيه: فهذا ومن اجابه
إلى الهدى في الجنة وهذا ومن اجابه إلى الضلالة في النار، اللهوف: ٣٠، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٧، العوالم ١٧: ٢١٧ وفي المصادر الأربعة الأخيرة إلى قوله: يحكم ما يريد.

فبكى الحسين (عليه السلام) وقال لها: " لا تحزني يا بنية إن قتل أبوك فأنا بمنزلة أبيك وأختي
بمنزلة أمك وبناتي بمنزلة أخواتك ". فصاحت وعلى صوتها بالبكاء وبكى أيضا أولاد مسلم وكشفوا رؤوسهم وتضامن معهم أهل البيت فاشتد المجلس بالبكاء والنحيب، وحزن الحسين على مسلم حزنا شديدا. (١)

* الدروس المستفادة هنا:

١ - التواضع في القيام بالمسؤولية الإنسانية.
٢ - الحكمة في إبلاغ المصيبة والخبر الفجيع.
٣ - العطف على اليتيم إلى درجة البكاء معه في مصيبته.
٤ - فتح الأبواب العائلية بوجه اليتامى رفقا بهم وتقديرا لحالتهم الخاصة.

E / في الاستقامة على العقيدة والأخلاق

حقا إن الإمام الحسين (عليه السلام) ملتقى كل القيم الفطرية الانسانية والخصال الأخلاقية النبيلة.

تأمل فيما أنشده الفرزدق الشاعر عندما لقيه فسلم عليه وقال: يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كيف
تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته؟
قال: فاستعبر الحسين (عليه السلام) باكيا، ثم قال: " رحم الله مسلما فلقد صار إلى روح الله
وريحانه وجنته ورضوانه، أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا "، ثم أنشأ يقول:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة * فان ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أنشأت * فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل
وإن تكن الأرزاق قسما مقدرا * فقلة حرص المرء في الرزق أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها * فما بال متروك به المرو يبخل " (٢)

وفي كتاب كشف الغمة زاد قوله:

---

١ - منتهى الآمال (المعرب) ج ١ ص ٦٠٤ (مع تصرف).
٢ - اللهوف ٣٢، بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٤، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ١٦٣، مثير الأحزان: ٤٥ وفي المصدرين الأخيرين، الاشعار فقط مع اختلاف في بعض الألفاظ، نور الأبصار ١٣٨، العوالم ١٧: ٢٢٤، أعيان الشيعة ١: ٥٩٥.

وإن كانت الافعال يوما لأهلها * كمالا فحسن الخلق أبهى وأكمل (١)
أنظر إلى معاني هذه الأبيات الشعرية التي تبين الروح الأخلاقية عند الحسين (عليه السلام) و
استقامته المتفانية في حب الله، فالروح عنده هي: ترجيح ثواب الله على ملذات الدنيا أولا.
وترجيح الشهادة في سبيله على الموت الذليل ثانيا. هنا قد عالج الحسين (عليه السلام) للبشرية
مصدر تصدعاتها كلها لو كانت تلتزم بهذا الطبيب.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - من معطيات روح الاعتقاد بالآخرة عدم الحرص على الدنيا، وأن تعلم بأن أكثر المشاكل في حياة البشر تعود جذوره إلى صفة الحرص في جمع المال والبخل في إنفاقه.
٢ - النظرة الصحيحة إلى الحياة والموت والرزق والمال تجعل الإنسان سعيدا في كل الأحوال.
E / في الصبر وبيان الظلامة
متى تصبر على الظلم ومتى تصبر على صعوبات الجهاد لدفع الظلم؟
الحسين (عليه السلام) يوضح الجواب على هذا السؤال الهام:
كتب المؤرخون.. إنه لما انتهى إلى منطقة ذات عرق إذ خف إليه أبو هرة - وكان من أهل
الدنيا - فقال له: يا ابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله، وحرم جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟
وتأثر الإمام - من جهل الرجل عن الحقائق المؤلمة المحيطة بالأمة - فقال له:
" ويحك يا أبا هرة إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسهم الله ذلا شاملا، وسيفا قاطعا، وليسلطن عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ، إذ ملكتهم امرأة منهم، فحكمت في أموالهم ودمائهم حتى أذلتهم ".
وانصرف الإمام، وهو ملتاع حزين من هؤلاء الناس الذين لا يملكون وعيا لنصرة الحق، قد آثروا العافية وكرهوا الجهاد في سبيل الله (٢).

---

١ - كشف الغمة ٢: ٢٨، الأنوار البهية: ٨٩.
٢ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٦٤ نقلا عن الدر المسلوك / ج ١ ص ١١٠.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - بين حقك بمنطق الحق.
٢ - إن للصبر على الظلم حد يجب معرفته بدقة والتعامل معه على ضوء الأهم والمهم.
٣ - لابد في مواجهة الظلم من النظر البعيد إلى النتيجة.
E / في الصبر والتسليم لقضاء الله
سارت قافلة الإمام (عليه السلام) حتى انتهت إلى منطقة (الخزيمية) وهي إحدى منازل الحج،
فأقام فيها الإمام يوما وليلة ليستريح من جهد الطريق وعناء السفر، وقد خفت إليه أخته الحوراء عقيلة بني هاشم، وهي تجر ذيلها وقلبها الزاكي يتقطع من الأسى والحزن، وهي
تقول له بنبرات مشفوعة بالبكاء إني سمعت هاتفا يقول:
ألا يا عين فاحتفلي بجهد * فمن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا * بمقدار إلى إنجاز وعدي
فقال لها أبي الضيم: " يا أختاه كل الذي قضي فهو كائن ".
لقد أراد من شقيقته أن تخلد إلى الصبر، وأن تقابل الطوب والرزايا برباطة جأش وعزم حتى تقوى على أداء رسالته (١).
والصبر - كما يؤكد علماء الأخلاق - أساس الالتزام بالصفات الأخلاقية الأخرى، فمن
دون الصبر لا يمكن العمل بالفضائل الأخلاقية والاستمرار عليها أبدا.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - للصبر أهمية تأسيسية في كل مشروع وبناء كل عمل.
٢ - ضرورة الإعداد النفسي للفرد حتى إذا كان قويا في إيمانه.
٣ - إن الايمان بالله (قضاء وقدرا) يمد الإنسان في صبره واستقامته.

----
١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٦٦.

E / في العطف حتى على العدو
هل رأيت أو قرأت في تاريخ المواجهات المسلحة أن قائدا أمر جنوده بسقاء جنود العدو، بل ويباشر بنفسه في إرواء جندي من عدوه كان يوشك أن يموت عطشا؟!
الحسين القائد الأخلاقي الفذ قد فعل ذلك، في الوقت الذي فعل عدوه عكس هذه الأخلاق العظيمة تماما. والآن تأمل في كلمات التأريخ:
إنتهى موكب الإمام (عليه السلام) إلى - منطقة - شراف، وفيها عين للماء فأمر الإمام فتيانه أن
يستقوا من الماء، ويكثروا منه، ففعلوا ذلك، ثم سارت القافلة تطوي البيداء، وبادر بعض
أصحاب الإمام فكبر، فاستغرب الإمام وقال له:
لم كبرت؟
قال: رأيت النخل.
وأنكر عليه رجل من أصحاب الإمام ممن يعرف الطريق فقال له: ليس هاهنا نخل، ولكنها أسنة الرماح وآذان الخيل.
وتأملها الإمام فطفق يقول: وأنا أرى ذلك، وعرف الإمام انها طلائع جيش العدو جاءت لمناهضته، فقال لأصحابه: " أما لنا ملجأ نلجأ إليه، نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟ ".
وكان بعض أصحابه ممن يعرف المنطقة فقال له: بلى هذا ذو حسم إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فان سبقت إليه فهو كما تريد.
ومال موكب الإمام إليه إلا أنه لم يبعد كثيرا حتى أدركه جيش مكثف بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، كان ابن زياد قد عهد إليه أن يجوب في الصحراء للتفتيش عن الإمام (عليه السلام)،
والقاء القبض عليه وكان عدد الجيش زهاء ألف فارس، ووقفوا قبال الإمام في وقت الظهيرة، وكان الوقت شديد الحر، ورآهم الإمام وقد أشرفوا على الهلاك من شدة الظمأ،
فرق عليهم، وغض نظره من أنهم جاؤوا لقتاله وسفك دمه، فأمر أصحابه أن يسقوهم، ويرشفوا خيولهم، وقام أصحاب الإمام فسقوا الجيش ثم انعطفوا إلى الخيل فجعلوا يملأون القصاص والطساس فإذا عب فيها ثلاثا أو أربعا أو خمسا عزلت وسقي الآخر حتى سقوا الخيل عن آخرها. لقد كان الإمام (عليه السلام) على استعداد كامل في سفره، فقد كانت

الأواني وحدها تسع لسقاية الف فارس مع خيولهم، فضلا عن سائر الأثاث والأمتعة الأخرى.
وعلى أي حال فقد تكرم الإمام الحسين (عليه السلام) بإنقاذ هذا الجيش الذي جاء لحربه، وهذه
قمة الأخلاق وهي لن تكون إلا في سبط نبي الرحمة، وهنا موقف من روائع مواقف الحسين (عليه السلام).
يقول المؤرخون انه كان من بين هذا الجيش علي بن الطعان المحاربي، وقد تحدث عن سجاحة (١) طبع الإمام وعظيم أخلاقه، يقول: كنت ممن أضر بي العطش، فأمرني الحسين بأن " أنخ الراوية " فلم أفقه كلامه، لأن الراوية بلغة الحجاز هي الجمل، ولما عرف أني لم أفهم كلامه قال: " أنخ الجمل " فأنخته، ولما أردت أن أشرب جعل الماء يسيل من السقاء، فقال لي " أخنث السقاء " (٢)، فلم أدر ما أصنع فقام أبي الضيم فخنث
السقاء حتى ارتويت أنا وفرسي.
ولم تهز هذه الأريحية ولا هذا النبل نفس هذا الجيش، وما تأثر أحد منهم بهذا الخلق الرفيع إلا الحر (قائد ذلك الجيش)، فقد تأثر ضميره اليقظ الحساس بهذا المعروف والإحسان، فاندفع بوحي من ضميره حتى التحق بالإمام في يوم عاشوراء واستشهد بين يديه (٣).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - محاولة تجنب العنف وسفك الدماء قدر المستطاع.
٢ - أن تعطف على عدوك المشرف على الهلاك فتقدم له وبيدك ما ينقذه فذلك قمة المثالية العملية في الأخلاق.
٣ - سجل في المواقف الصعبة أرقامك المناقبية واتركها لمن يقرأ التأريخ بعين البصيرة والعبرة.

---

١ - السجاحة: السهولة واللين والاعتدال.
٢ - أخنث السقاء: أي اعطف رأس السقاء وأثنه للشرب منه.
٣ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٧٣.

E / في توضيح الحجة وثبات القدم
استقبل الإمام (عليه السلام) قطعات ذلك الجيش – جيش حر بن يزيد الرياحي – فخطب فيهم
خطابا بليغا أوضح لهم فيه انه لم يأتهم محاربا، وإنما قدمت عليه رسلهم وكتبهم تحثه بالقدوم إليهم، فاستجاب لهم، قال (عليه السلام) بعد حمد الله والثناء عليه: " أيها الناس انها معذرة
إلى الله عز وجل وإليكم.. اني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت بها علي رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام، ولعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فاعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم، وان كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم ".
هكذا يوضح الإمام حجته ويستدل على سلامة موقفه ليسلب أعداءه كل ذريعة يحتجوا بها عليه. ولكنهم أحجموا عن الجواب لأن أكثرهم كانوا ممن كاتبوه بالقدوم إليهم
وبايعوه على يد سفيره مسلم بن عقيل..
وحضر وقت الصلاة فأمر الإمام مؤذنه الحجاج بن مسروق أن يؤذن ويقيم لصلاة الظهر، وبعد فراغ المؤذن قال الإمام للحر: " أتريد أن تصلي بأصحابك؟ "
أجاب حر: بل نصلي بصلاتك.
فأتموا بالإمام في صلاة الظهر، وبعد الفراغ منها انصرفوا إلى أخبيتهم ولما حضرت وقت صلاة العصر جاء الحر مع قومه فاقتدوا بالإمام في صلاة العصر.
وبعد ما فرغ الإمام من صلاة العصر إنبرى بعزم وثيق فخطب في ذلك الجيش خطابا آخر رائعا، عسى ان يستفيقوا، فقال بعد حمد الله والثناء عليه:
" أيها الناس، إنكم إن تتقوا الله، وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم الآن على غير ما أتتني به كتبكم انصرفت عنكم ".
ودعاهم بهذا الخطاب إلى طاعة الله، والتمسك بدعاة الحق وأئمة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام) فهم أولى بهذا الأمر من بني أمية الذين أشاعوا فيهم الجور والظلم، وعرض لهم
انه ينصرف عنهم إذا تبدل رأيهم، ونقضوا بيعتهم...

وانبرى إليه الحر وهو لا يعلم بشأن الكتب، فقد كان - فيما يبدو - في تلك الفترة بمعزل
عن الأحداث السياسية في الكوفة، فقال له:
ما هذه الكتب التي تذكرها؟
فأمر الإمام الحسين (عليه السلام) عقبة بن سمعان بإحضارها، فأخرج خرجينين مملوءين
صحفا، نثرها بين يدي الحر، فبهر الحر، وتأملها وقال:
لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك.
ووقعت مشادة عنيفة بين الإمام والحر، فقد قال الحر للإمام: قد أمرت أن لا أفارقك إذا لقيتك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد. ولذعت الإمام هذه الكلمات القاسية فثار في وجه الحر وصاح به: " الموت أدنى إليك من ذلك ".
لقد ترفع أبي الضيم من مبايعة يزيد، فكيف يخضع لابن مرجانة الدعي بن الدعي؟
وكيف ينقاد أسيرا إليه؟ فالموت أدنى للحر من الوصول إلى هذه الغاية الرخيصة..
وأمر الحسين أصحابه بالركوب، فلما استووا على رواحلهم أمرهم بالتوجه إلى
يثرب، فحال بينهم وبين ذلك، فاندفع الحسين فصاح به مرة أخرى: " ثكلتك أمك ما تريد منا؟ "
وأطرق الحر برأسه إلى الأرض، وتأمل ثم رفع رأسه فخاطب الإمام بأدب فقال له: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي: ما تركت ذكر امه بالثكل كائنا من كان، ولكني والله ما لي
إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه..
وسكن غضب الإمام فقال له: " ما تريد منا؟ "
فقال الحر: أريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد.
وثار الإمام فصاح به: " والله لا أتبعك ".
فقال الحر: إذن والله لا أدعك.
وكاد الوضع أن ينفجر بإندلاع نار الحرب إلا أن الحر ثاب إلى الهدوء فقال للإمام:
إني لم أؤمر بقتالك، وإنما امرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقا لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة، حتى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى
يزيد أو إلى ابن زياد، فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العاقبة من أن أبتلي من أمرك.

واتفقا على هذا، فتياسر الإمام عن طريق العذيب والقادسية وأخذت قافلته تطوي البيداء، وكان الحر يتابعه عن كثب، ويراقبه كأشد ما تكون المراقبة (١).
في هذا الموقف للإمام الحسين (عليه السلام) ترى وضوحه في حجته القاضية إلى هداية الانسان
ومنطقه الرامي إلى الحل السلمي، وفي الوقت نفسه لا يستسلم لحجة مخالفه الواهية ومنطقه الباطل، بل يعارضه بصرامة وإباء. ثم يحاوره حتى يصل إلى نقطة الوفاق ضمن ما
يمكن الوصول إليه بعزة وكرامة.
حقا ان إدارة هذا الموقف في النصيحة والغضب المقدس ثم الوفاق دون مذلة، قوامها الأخلاق المبتنية على العقل والعزة والحكمة.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - قدم نصائحك لعدوك ولا تيأس في كسبه أو كسب أمثاله فيما بعد.
٢ - أحيانا يكون الغضب نافعا ومقدسا إذا كان بهدف رسالي.
٣ - التماشي والمفاوضة مع العدو للوصول إلى حل وسط أمر جيد.
E / في التواضع والقناعة
إجتازت قافلة الإمام (عليه السلام) على - منطقة - قصر بني مقاتل، فنزل الإمام فيه وكان بالقرب
منه بيت مضروب، وأمامه رمح قد غرس في الأرض وهو مما يدل على بسالة صاحبه وشجاعته، وقباله فرس.
فسأل الإمام عن صاحب البيت، فقيل له انه عبيد الله بن الحر - وكان ممن أثقله حب الدنيا - فأوفد للقياه الحجاج بن مسروق الجعفي فخف إليه، فبادره عبيد الله قائلا: ما ورائك؟
قال الحجاج: قد أهوى الله إليك كرامة.
قال: ما هي؟
فأجابه: هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته، فان قاتلت بين يديه أجرت، وإن مت فقد استشهدت.

----
١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٧٥.

فقال عبيد الله: ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها فلا أنصره،
لأنه ليس له فيها شيعة ولا أنصار إلا وقد مالوا إلى الدنيا إلا من عصم الله!!
وقفل الحجاج راجعا فأدى مقالته إلى الإمام، ورأى (عليه السلام) أن يقيم عليه الحجة ويجعله
على بينة من أمره فانطلق إليه مع الصفوة الطيبة من أهل بيته وأصحابه، واستقبله عبيد الله
استقبالا كريما، واحتفى به احتفاءا بالغا، وقد غمرته هيبة الإمام، فراح يحدث عنها بعد ذلك يقول: ما رأيت قط أحسن من الحسين، ولا أملأ للعين، ولا رققت على أحد قط رقي
عليه حين رأيته يمشي والصبيان من حوله، ونظرت إلى لحيته فرأيتها كأنها جناح غراب،
فقلت له: أ سواد أم خضاب؟ قال! يا ابن الحر عجل علي الشيب فعرفت أنه خضاب.
نعم وتعاطى الإمام معه الشؤون السياسية العامة، والأوضاع الراهنة، ثم دعاه إلى نصرته قائلا له: " يا ابن الحر إن أهل مصركم كتبوا إلي أنهم مجتمعون على نصرتي وسألوني القدوم عليهم فقدمت، وليس رأي القوم على ما زعموا فإنهم أعانوا على قتل ابن عمي مسلم وشيعته، وأجمعوا على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد.. يا ابن الحر اعلم أن الله عز وجل مؤاخذك بما كسبت من الذنوب في الأيام الخالية، وأنا أدعوك إلى
توبة تغسل بها ما عليك من ذنوب.. أدعوك إلى نصرتنا أهل البيت ".
وألقى ابن الحر معاذيره الواهية فحرم نفسه السعادة والفوز بنصرة سبط الرسول، قائلا:
والله إني لأعلم أن من شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك، ولم
أخلف لك بالكوفة ناصرا، فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة، فان نفسي لا تسمح
بالموت، ولكن فرسي هذه " الملحقة " والله ما طلبت عليها شيئا إلا لحقته، ولا طلبني أحد
وأنا عليها إلا سبقته فهي لك.
ولكن ما قيمة فرسه عند الإمام، فرد عليه قائلا:
" ما جئناك لفرسك وسيفك؟ إنما أتيناك لنسألك النصرة، فان كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شئ من مالك، ولم أكن بالذي اتخذ المضلين عضدا، واني أنصحك إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنم ".

فأطرق ابن الحر برأسه إلى الأرض وقال بصوت خافت حياء من الإمام: أما هذا فلا

يكون أبدا إن شاء الله تعالى.
وما كان مثل ابن الحر وهو الذي اقترف الكثير من الجرائم ان يوفق إلى نصرة الإمام ويفوز بالشهادة بين يديه. وقد ندم كأشد ما يكون الندم على ما فرط في أمر نفسه من ترك
نصرة ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخذت تعاوده خلجات حادة من وخز الضمير، ونظم ذوب
حشاه بأبيات، منها:
فيالك حسرة ما دمت حيا * تردد بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولا * أتتركنا وتزمع بالفراق
حسين يطلب بذل نصري * على أهل العداوة والشقاق
فلو فلق التلهف قلب حر * لهم اليوم قلبي بانفلاق
ولو واسيته يوما بنفسي * لنلت كرامة يوم التلاق (١)
وكثير أولئك الذين تفوتهم فرص الالتحاق بركب الخالدين على بروج مشيدة بالأخلاق الكريمة. وكان هذا الرجل - عبيد الله - واحدا ممن فوت على نفسه الفرصة الذهبية تلك، ولن ينفعه الندم، ولكن الآخرين ممن يقرؤن حاله اليوم - وأنت أحدهم طبعا - إنما تنفعهم هذه القراءة إن عقبت بقرار معاكس لقرار النادمين. والآن فأنت مع أي
الجبهتين تريد أن تكون؟ الخالدين أم النادمين؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - تعن الذهاب إلى من تريد هدايته، فإن هذا التواضع منك يسمو بك إما إلى تحقيق هدفك حاضرا أو على المدى البعيد.
٢ - إزهد فيما بيد الآخرين واستغن عنهم تبقى كبيرا في أعينهم ولو مستقبلا.
٣ - بين أدلتك لمن تريد هدايته، ثم دعه يختار طريقه ويتحمل مسؤولية اختياره.
E / في أخلاقية الموعظة والدعوة
انتهت قافلة الإمام (عليه السلام) إلى منطقة " زرود " فأقام فيها بعض الوقت وقد نزل بالقرب منه

----
١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٣٦٣.

زهير بن ألقين البجلي، وكان عثماني الهوى، وقد حج بيت الله في تلك السنة، وكان يساير
الإمام في طريقه، ولا يحب أن ينزل معه مخافة الاجتماع به إلا أنه اضطر إلى النزول قريبا
منه، فبعث إليه الإمام الحسين رسولا يدعوه إليه، وكان زهير مع جماعته يتناولون طعاما صنع لهم، فأبلغه الرسول مقالة الحسين فذعر القوم وطرحوا ما في أيديهم من طعام كأن
على رؤوسهم الطير، وأنكرت زوجة زهير عليه ذلك، وقالت له: " سبحان الله!! أيبعث إليك ابن بنت رسول الله ثم لا تأتيه؟! لو أتيته فسمعت كلامه!! "
وانطلق زهير على كره منه إلى الإمام فلم يلبث أن عاد مسرعا وقد تهلل وجهه وامتلأ غبطة وسرورا، ثم أمر بفسطاطه وما كان عنده من ثقل ومتاع فحوله إلى الإمام الحسين (عليه السلام)
وقال لزوجته: " أنت طالق "! فأمر غلامه أن يوصلها إلى مأمنها كيلا تتضرر من جهاده في
ركاب الحسين.
ماذا أسر إليه ريحانة رسول الله حتى جعله يتغير هذا التغيير؟
هل وعده بمال أو مغنم؟
ولو وعده بذلك لما طلق زوجته، ولا ودع أصحابه الوداع الأخير...
نعم لقد بشره بالشهادة والفوز بالجنة، وذكره بحديث طالت عليه الأيام فنساه...
وقد حدث به أصحابه قائلا:
" سأحدثكم حديثا، غزونا (بلنجر) ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم ففرحنا، وكان معنا سلمان الفارسي، فقال لنا: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟
فقلنا: نعم.
فقال إذا أدركتم سيد شباب آل محمد (صلى الله عليه وآله) فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه مما أصبتم
اليوم من الغنائم ".
وروى إبراهيم بن سعيد وكان قد صحب زهيرا حينما مضى إلى الإمام أنه (عليه السلام) قال له -
يعني زهير -: انه يقتل في كربلاء، وان رأسه الشريف يحمله زجر بن قيس إلى يزيد يرجو
نواله فلا يعطيه شيئا.
لقد ساعد التوفيق زهيرا فالتحق بموكب العترة الطاهرة، وصار من أصلب المدافعين

عنها، ومن ألمع أصحاب الإمام، ففداه بروحه واستشهد في سبيل قضيته العادلة (١).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - دعوتك الآخرين إلى عقيدتك تعني حبك لإنقاذهم ما دمت تدعوهم بالبرهان الواضح، إذن استمر فيها ولا تتراجع.
٢ - الذاكرة الإيمانية تحتفظ بكلمات الإيمان لساعة العودة إلى الحق والثبات عليه، فلابد من زرعها فيها لحصدها في يوم الحاجة.
٣ - إن التواضع وعدم اليأس والتكاسل في الدعوة إلى الله من أهم عوامل النجاح والتوفيق.
E / في الصدق والصراحة
قال الفرزدق " الشاعر ": لقيني الحسين (عليه السلام) في منصرفي من الكوفة فقال: ما وراءك يا
أبا فراس؟
قلت: أصدقك؟
قال: " الصدق أريد ".
قلت: أما القلوب فمعك، وأما السيوف فمع بني أمية، والنصر من عند الله.
قال: " ما أراك إلا صدقت، الناس عبيد المال، والدين لغو (٢) على ألسنتهم، يحوطونه ما درت به معايشهم، فإذا محصوا للابتلاء (٣) قل الديانون (٤) ".
إن الصدق هو الطريق المنسجم مع السنن الإلهية في الكون، ولأن الحسين (عليه السلام) سالك
إلهي، فإنه صادق مع الله والناس، وليس كالزعماء الدنيويين حيث عجن وجودهم مع الكذب والدجل.
انظر واحدا من مواقف الحسين الصادقة مع الذين جاءوا معه، وكان بعضهم قد جاء

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٦٦ - بتصرف.
٢ - وفي نسخة أخرى: لعق. بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ١١٦.
٣ - وفي نسخة: بالبلاء. نفس المصدر.
٤ - كشف الغمة ٢: ٢٠٧.

بظن الانتصار الدنيوي: يقول المؤرخون وعندما جاءه خبر شهادة مسلم بن عقيل وهاني
بن عروة وهو في - منطقة - زرود، أخرج كتابا وقرأ على الناس:
" بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فإنه قد أتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج، وليس عليه ذمام (١) ".
وفي خبر آخر أنه (عليه السلام) قال: " فمن كان منكم يصبر على ضرب السيوف وطعن الأسنة،
فليقم معنا، وإلا فلينصرف عنا ".
فجعل القوم يتفرقون ولم يبق معه إلا الذين خرجوا من مكة.
أجل.. بعد الصراحة الحسينية الصادقة قد تفرق الكاذبون عن الصادقين، أليس لأن الصدق والكذب لا يجتمعان على صراط مستقيم؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الصادق مع الله صريح مع الناس، لا يزور عليهم الحقائق.
٢ - لابد من تطهير الطريق إلى الله من كل رذل ورذيلة.
E / في الحنان وبر الوالدين
وخفق الإمام الحسين وقت الظهيرة فرأى رؤيا أفزعته، فانتبه مسترجعا بكلمة * (إنا لله وإنا إليه راجعون) *.
فأقبل عليه ولده البار علي الأكبر فقال له: - ما لي أراك فزعا؟
- قال الامام: رأيت رؤيا أهالتني.
- قال الولد متسائلا: خيرا رأيت؟
وفاجأه أبوه بالرؤيا المفجعة قائلا:
" رأيت فارسا وقف علي، وهو يقول: أنتم تسرعون، والمنايا تسرع بكم إلى الجنة، فعلمت أن أنفسنا قد نعيت إلينا ".

----
١ - تاريخ الطبري ٣: ٣٧٦.

وأسرع الولد البار قائلا: ألسنا على الحق؟.
فقال الحسين: " بلى والذي إليه مرجع أمر العباد ".
وطفق فخر هاشم يلقي على الأجيال أروع صور الإيمان والتضحية في سبيل الله قائلا لأبيه: يا أبة إذن لا نبالي بالموت.
ووجد الحسين في ولده خير عون له على أداء رسالته الكبرى، فشكره على ذلك قائلا: " جزاك الله يا بني ما جزي به ولد عن والده.. " (١).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن من أخلاق الأبوة الإسلامية أن تفاتح ابنك عما في قلبك بعد أن تربيه وفق رؤاك.
٢ - لابد من إتخاذ أقرب المقربين عضدا في أمانة المشاريع بعد إعداده للمهمة.
٣ - من الأخلاق التحدث مع الابن - وكذلك الأب - بلطف وحنان وأدب.
E / في المشي إلى المستضعفين وخدمتهم
ذكر المؤرخون: لما وصل الحسين (عليه السلام) إلى صحراء الثعلبية في طريقه إلى كربلاء شاهد
خيمة متردية تعبر عن فقر ساكنيها، فدنا إليها فرأى هناك امرأة كبيرة السن، عليها ثياب رثة
لشدة فقرها، فسألها عن حالها؟
فقالت: إنها قد أضر بها وبأغنامها الجفاف، وأن ابنها (وهب) وزوجته (هانية) ذاهبان بحثا عن الماء.
فأقلع الإمام الحسين (عليه السلام) صخرة في مكانه فخرج من تحتها نبع من الماء الزلال.
فسرت المرأة وشكرت الإمام (عليه السلام)، ثم واصل الإمام طريقه إلى كربلاء.
وحينما جاء ابنها
(وهب) فرأى ذلك إنبرى مدهشا يسأل أمه من أين حصل هذا؟
فأخبرته بالأمر، وكان الابن في ليلته قد رأى في المنام الإمام الحسين (عليه السلام).
فقال لأمه فورا: قومي لنلتحق به. فتحرك وهب وأمه وزوجته - وكانوا على دين المسيح عيسى (عليه السلام) - حتى وصلوا إلى قافلة الحسين، فأسلموا على يديه، وكان وهب مع

----

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٧٢ (بتصرف).

الحسين في يوم عاشوراء واحدا من الشهداء السعداء. (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - تفقد حال المستضعفين والمشي إليهم من صفات القائد الرسالي.
٢ - قضاء الحوائج وإسداء الخدمة الاجتماعية ضرورة أخلاقية ملحة.
٣ - إذا عملت خيرا فلا تنظر إلى ورائك، دعه فإن الله يثمره لك خيرا مضاعفا.
E / في الصبر والثبات والتواضع
أما النبأ المفجع بمقتل مسلم فقد حمله إلى الإمام (عليه السلام) عبد الله بن سليمان والمنذر بن
المشعل الأسديان، وكانا - فيما يقول المؤرخون - قد انتهيا من أداء مناسك الحج، وكانت
لهما رغبة ملحة في الاتصال بالإمام والتعرف على شؤونه، فأخذا يجدان في السير حتى
التحقا به في - منطقة زرود - وبينما هما معه وإذا برجل قد أقبل من جهة الكوفة فلما رأى
الحسين عدل عن الطريق، وقد وقف الحسين يريد مسألته، فلما رآه قد مال عنه سار في
طريقه - وتركه، ولو كان أحد غيره لأمتعض وغضب عليه وأهانه. هذا - ولما عرف
الأسديان رغبة الإمام في سؤاله تبعاه حتى أدركاه، فسلما عليه وسألاه عن أسرته،
فأخبرهما أنه أسدي، فانتسبا له، ثم سألاه عن خبر الكوفة، فقال لهما: انه لم يخرج منها
حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ورآهما يجران بأرجلهما في الأسواق.
وودعاه، وأقبلا مسرعين حتى لحقا بالإمام، فلما نزل الإمام بالثعلبية قالا له: رحمك الله إن
عندنا خبرا إن شئت حدثناك علانية، وإن شئت سرا..
وتأمل - الإمام (عليه السلام) - في أصحابه فقال: " ما دون هؤلاء سر ".
- فقالا -: أرأيت الراكب الذي استقبلته عشاء أمس؟
- قال الإمام (عليه السلام) -: " نعم وأردت مسألته ".
- قالا -: والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منا ذو رأي وصدق وعقل،

----
١ - ترجمنا هذه القصة من الفارسية نقلا عن كتاب (در سايهء أولياء خدا / ص ٣٤٨) نقلا عن (رياحين الشريعة / ج ٢ ص ٣٠٠).

وانه حدثنا انه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهانئ ورآهما يجران في السوق بأرجلهما.
كان - هذا - النبأ المؤلم كالصاعقة على العلويين، فانفجروا بالبكاء على فقيدهم العظيم
حتى ارتج الموضع بالبكاء وسالت الدموع كل مسيل، واستبان للإمام غدر أهل الكوفة،
وأيقن انه مع الصفوة من أهل بيته وأصحابه سيلاقون نفس المصير الذي لاقاه مسلم،
وانبرى إلى الإمام بعض أصحابه فقال: ننشدك الله إلا رجعت من مكانك فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك.
والتفت الإمام إلى بني عقيل فقال لهم: " ما ترون فقد قتل مسلم؟ ".
ووثبت الفتية وهي تعلن استهانتها بالموت قائلين: لا والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق مسلم.
وراح الإمام يقول بمقالتهم: " لا خير في العيش بعد هؤلاء ".
وقال (عليه السلام) متمثلا:
سأمضي وما بالموت عار على الفتى * إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق مذموما وخالف مجرما
أقدم نفسي لا أريد بقائها * لنلقى خميسا في الهياج عرمرما (١)
فان مت لم أندم وان عشت لم ألم * كفى بك عارا أن تذل وترغما
لقد مضى الإمام قدما، وهو مرفوع الجبين، وقد أيقن انه يسير إلى الفتح الذي ليس مثله فتح، لقد مضى ليؤدي رسالة الله بأمانة وإخلاص كما أداها جده الرسول (صلى الله عليه وآله) من قبل (٢).
انظر إليه (روحي فداه) كم هو صريح، صابر، سهل، مسامح، وشجاع. هذه صفاته الأخلاقية التي ميزته عن القادة الذين ليسوا كذلك.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - محاولة الكشف عن آخر الأنباء والتطورات المحيطة بشؤونك.

---

١ - هذان البيتان - واسى، وأقدم - نقلا عن أعلام الورى / ص ٢٣٠
٢ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٦٨.

٢ - إمنح كامل القرار لمن يمنحك ولائه، وسوف لا يختار إلا ما يقتضيه ولاؤه.
٣ - كن واضحا مع الذين معك، وامنحهم حرية القرار.
E / في الإخلاص ومقتضاه
إن من مكارم الأخلاق عند الحسين (عليه السلام) الإخلاص والصدق والأمانة، ومقتضاه أن
يكون الإنسان المتخلق به صريحا مع أنصاره، ينبؤهم عن المخاطر ولا يخفي عنهم شيئا
بذريعة الاهتمام الأولى بالهدف المتوخى من الجمع.
وفي هذا ذكر المؤرخون أن القافلة الحسينية لما وصلت إلى أرض كربلاء وذلك يوم الأربعاء، فوقف فرس الحسين (عليه السلام) من تحته، فنزل عنها وركب أخرى فلم ينبعث من
تحته خطوة واحدة يمينا وشمالا، ولم يزل يركب فرسا بعد فرس حتى ركب سبعة أفراس
وهن على هذا الحال فلما رأى الامام ذلك الأمر الغريب، قال: يا قومي ما يقال لهذا الأرض؟
قالوا: أرض الغاضرية.
قال: فهل لها اسم غير هذا؟
قالوا: تسمى نينوى.
قال: هل لها اسم غير هذا
قالوا: تسمى بشاطي الفرات.
قال: هل لها اسم غير هذا.
قالوا: تسمى كربلاء.
فتنفس الصعداء وقال: " ارض كرب وبلاء، ثم قال: قفوا ولا ترحلوا، فهاهنا والله مناخ ركابنا، وهاهنا والله سفك دمائنا، وهاهنا والله هتك حريمنا، وهاهنا والله قتل رجالنا، وهاهنا
والله ذبح أطفالنا، وهاهنا والله تزار قبورنا، وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله ولا خلف
لقوله ". (١)
هكذا صارح الحسين (عليه السلام) من معه، وأعاد صراحته عند كل مناسبة طالبا منهم أن يذهبوا

----
١ - الدمعة الساكبة ٤: ٢٥٦، ناسخ التواريخ ٢: ١٦٨، ذريعة النجاة: ٦٧.

عنه إلى راحة العيش والاستقرار إن أرادوا الدعة في الحياة، وتعني هذه الأخلاقية ان
الهدف عند الحسين لم يكن تحصيل الدنيا، فلو كان هذا لكان يزج الناس في طريقه
مهما
كلف الثمن.
قال القندوزي: انه (عليه السلام) قال: " أيها الناس فمن كان منكم يصبر على حد
السيف وطعن
الأسنة فليقم معنا وإلا فلينصرف عنا ". (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لابد من قول الحقيقة، فذلك من علامات الإخلاص لله والصدق مع الناس والأمانة
مع القيم.
٢ - بيان الحقائق دليل الزهد في الدنيا، والزاهدون لا يتقنون الدجل ولا يمارسون
النفاق، لأنهم لا يخافون خسارة المصالح بعد إبرام عقود تجارتهم مع الله.
٣ - للموقع في العمل أثر كبير، فالجدير اختياره بدقة.
E / في الأمانة وإعلان الحقيقة
وأقام موكب العترة الطاهرة في كربلاء يوم الخميس المصادف للثاني من المحرم سنة
(٦١ ه) وقد خيم الرعب على أهل البيت، وأيقنوا بنزول الرزء القاصم، وعلم الإمام
(عليه السلام)
مغبة الأمر، وتجلت له الخطوب المفزعة والأحداث الرهيبة التي سيعانيها على صعيد
كربلاء يقول المؤرخون: انه جمع أهل بيته وأصحابه فألقى عليهم نظرة حنان وعطف
وأيقن
انهم عن قريب سوف تنقطع أوصالهم، فأغرق في البكاء. ورفع يديه بالدعاء يناجي
ربه،
ويشكو إليه ما ألم به من عظيم الرزايا والخطوب قائلا:
" اللهم انا عترة نبيك محمد (صلى الله عليه وآله) قد أخرجنا وطردنا وازعجنا عن حرم
جدنا، وتعدت
بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين ".
هذا موقف مظلوم لن يركن إلى الظالم، فليس هو موقف متورط ضيع الطريق، وتدلك
على هذه الحقيقة شخصية الحسين الفذة الباهرة، وتدلك أيضا بقية موقفه الرسالي،
حيث

----
١ - ينابيع المودة: ٤٠٦.

أقبل على أولئك الأبطال فقال لهم: " الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه
ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء، قل الديانون ". (١)
يا لها من كلمات مشرقة حكت واقع الناس في جميع مراحل التأريخ، فهم عبيد الدنيا في كل زمان ومكان، وأما الدين فلا ظل له في أعماق نفوسهم، فإذا دهمتهم عاصفة من
البلاء تنكروا له وابتعدوا منه...
نعم.. إن الدين بجوهره تجده عند الإمام الحسين وعند الصفوة من أهل بيته وأصحابه حيث امتزج بمشاعرهم، وتفاعل مع عواطفهم فانبروا إلى ساحات الموت ليرفعوا شأنه، وقد أعطوا بتضحيتهم دروسا لأجيال الدنيا في الولاء الباهر للدين.
وبعد حمد الله والثناء عليه خاطب أصحابه قائلا:
" أما بعد: فقد نزل بنا ما قد ترون. وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحق لا
يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله، فاني لا أرى الموت إلا
سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما ".
لقد أدلى بهذا الخطاب عما نزل به من المحن والبلوى، وأعلمهم أن الظروف مهما تلبدت بالمشاكل والخطوب فإنه لا ينثني عن عزمه الجبار لإقامة الحق الذي خلص له.
وقد وجه (عليه السلام) هذا الخطاب لأصحابه لا ليستدر عواطفهم، ولا ليستجلب نصرهم،
فماذا يغنون عنه بعدما أحاطت به القوى المكثفة التي ملئت البيداء، وإنما قال ذلك ليشاركونه المسؤولية في إقامة الحق الذي آمن به واختاره قاعدة صلبة لنهضته الخالدة، وقد جعل الموت في هذا السبيل هو الأمل الباسم في حياته الذي لا يضارعه أي أمل آخر.
ولما أنهى خطابه هب أصحابه جميعا، وهم يضربون أروع الأمثلة للتضحية والفداء من أجل العدل والحق (٢).
هل تمعنت أيها المسلم كيف يعلمنا الحسين (عليه السلام) أن من الأخلاق أن تعلن الحقيقة لمن
يرافقك؟ فهذا من مفردات الأمانة والصدق والشجاعة.

____

١ - بحار الأنوار / ج ٧٨ ص ١١٦.
٢ - حياة الإمام الحسين / ج ٣ ص ٩٧.

(١٩٦)

* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الاخلاص لله يعني الانفتاح مع المرتبطين بك في المصير.
٢ - الصدق في الكلام يختزل القوة في النفوذ إلى قلب المستمع حتى ذلك المتثاقل إلى
الأرض.
٣ - المنطق الذي يعتمد على النظرة الأخروية إن لم ينتصر على المدى القريب فإنه ينتصر على المدى البعيد حتما.
E / في أداء حقوق الناس
عن موسى ابن عمير، عن أبيه، قال: أمرني الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: " ناد أن لا يقتل
معي رجل عليه دين، وناد بها في الموالي فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من مات و
عليه دين أخذ من حسناته يوم القيامة ". (١)
أخي المسلم: هل تعرف قائدا يفكر في ديون أنصاره وحتى العبيد منهم، فينبؤهم عن حال المديون في يوم القيامة، وينصحهم بأداء الدين قبل أداء الجهاد؟ بل قد يساعده في ذلك ماليا؟
إنه قمة الورع في حقوق الناس والإهتمام بعاقبة الإنسان. وهذا من مقتضى الأخلاق عند الحسين (عليه السلام) أليس لأنه المرجع في محاسن الأخلاق كلها؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - ضرورة أداء الدين وتفريغ الذمة من حقوق الناس.
٢ - مساواة الإنسان الحر والإنسان المملوك في إعطائه فرصة أداء الدين.
٣ - الاهتمام بشؤون الأنصار فرض أخلاقي على القائد.
E / في الحكمة والسماحة
عن جرداء بنت سمين، عن زوجها هرثمة ابن أبي مسلم قال: غزونا مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) - في - صفين، فلما انصرفنا نزل بكربلا فصلى بها الغداة، ثم رفع إليه من تربتها

---

١ - المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٢٣ حديث ٢٨٧٢ مع اختصار واختلاف في الألفاظ.

فشمها ثم قال: " واها لك أيتها التربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب
".
فرجع هرثمة إلى زوجته وكانت شيعة لعلي (عليه السلام) فقال: ألا أحدثك عن وليك
أبي
الحسن؟! نزل بكربلا فصلى ثم رفع إليه من تربتها فقال: " واها لك أيتها التربة،
ليحشرن
منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ".
قالت: أيها الرجل فإن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يقل إلا حقا.
فلما قدم الحسين (عليه السلام) قال هرثمة: كنت في البعث الذين بعثهم عبيد الله بن
زياد، فلما
رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث فجلست على بعيري ثم صرت إلى الحسين
(عليه السلام)
فسلمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل.
فقال - الحسين (عليه السلام) -: " معنا أنت أم علينا "؟
فقلت: لا معك ولا عليك، خلفت صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد.
قال: " فامض حيث لا ترى لنا مقتلا ولا تسمع لنا صوتا، فوالذي نفس حسين بيده لا
يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلا أكبه الله لوجهه في جهنم ". (١)
وتتجلى هنا قيمة الحرية واحترام رأي الانسان عند الإمام الحسين (عليه السلام) فالرجل
لما سأله
الامام " معنا أنت أم علينا " فسمع منه كلمة الحياد، نصحه أن يبتعد عن تلك الأرض
التي
سوف تصطبغ بدماء المظلومين بعد أيام قليلة. فلم يشتمه أو يركله وما أشبه، كما يفعله
(المصبنة) المتطرفون في صنع الصراعات بين الجماعات الاسلامية ومراجع الدين في
عصرنا، إن الأخلاق الكريمة ترشد إلى مثل هذه المواقف التي تبقى في التاريخ مشاعل
هادية إلى الحق، وليس الهدف من أي جهاد أو مرجعية إلا هذا.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - السؤال لفرز المواقف جيد ولكن مع الحفاظ على القيم الأخلاقية.
٢ - قل كلمة الحقيقة ليحفظها التاريخ إلى يوم الحاجة ولإتمام الحجة.

----
١ - أمالي الصدوق: ١١٧، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ٢٣٥، مع اختلاف في السند والمتن، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٦٩، وفيه: قال الحسين عليه السلام " فول هربا لا ترى اليوم مقتلنا... لا يرى مقتلنا أحد ثم لا يعيننا الا أدخله النار "، بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٥، العوالم ١٧: ١٤٧،

بحار الأنوار ٣٢: ٤١٩ وفيه: " اذهب حتى لا ترى مقتلنا، فوالذي نفس حسين بيده لا يرى اليوم أحد مقتلنا ثم
لا يعيننا الا دخل النار. قال فأقبلت في الأرض أشتد هربا حتى خفي علي مقتلهم ".

E / في المعجزة الأخلاقية
بعض الناس يتصور الاستسلام الذليل بين يدي المعتدي نوع من الأخلاق الحسنة، ولكن الحسين (عليه السلام) يراه إلى الجبن والرذيلة أقرب منه إلى الأخلاق الحسنة. فليس من الأخلاق أن لا ترد على الذي يطغى في غيه ويتجاوز حده في المكابرة، بل لابد من الرد حسب المقدرة وكما يقتضيه الموقف، إما باليد أو اللسان أو القلب، وهذا نهاية الممكن، ولقد علمنا الحسين (عليه السلام) وجوب الرد على الباطل والرذيلة بالتدرج وفق
موجباته وفوائده.
لبيان هذا الأمر إقرأ فيما يلي:
حفر أصحاب الإمام (عليه السلام) حول الخيمة في كربلاء خندقا وملأوه نارا حتى يكون الحرب
من جهة واحدة، فعلق ملعون من أصحاب عمر بن سعد هاتفا: عجلت يا حسين بنار الدنيا
قبل نار الآخرة.
فقال الحسين (عليه السلام): " تعيرني بالنار وأبى قاسمها وربى غفور رحيم "، ثم قال لأصحابه:
" أتعرفون هذا الرجل "؟
فقالوا: هو جبيرة الكلبي (لعنه الله).
فقال الحسين: " اللهم احرقه بالنار في الدنيا قبل نار الآخرة ".
فما استتم - الحسين - كلامه حتى تحرك جواده فطرحه مكبا على رأسه في وسط النار
فاحترق، فكبر أصحاب الحسين (عليه السلام)، ونادى مناد من السماء: هنيت بالإجابة سريعا يا ابن
رسول الله. (١)
هذه واحدة من معاجز الحسين (عليه السلام) ورده المناسب للموقف من ذلك الرجل المتعجرف بين تلك الجموع المترقبة.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الردود المناسبة تصنعها أخلاق الفرد المؤمن في إطار حكمته وضروراته.
٢ - الحليم يعفو، ولكنه لأجل فائدة أهم قد يرجح الانتقام المقدس، وهذا مالم يستطعه إلا ذو علم وأخلاق رفيعين.

----
١ - ينابيع المودة: ٤١٠. (تصرف) في الألفاظ.

E / في الشهامة
كتب عبيد الله بن زياد (لعنه الله) إلى الحسين (عليه السلام): أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك
بكربلا، وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير، ولا أشبع من الخبز، أو ألحقك باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية والسلام!!
فلما ورد الكتاب - إلى - الحسين (عليه السلام) قرأه ورمى به ثم قال: " لا أفلح قوم آثروا مرضاة
أنفسهم على مرضاة الخالق ". ولم يتكلم الحسين (عليه السلام)، فسأله المبعوث عن جواب
الكتاب؟
قال (عليه السلام): " ماله عندي جواب، لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب ".
فعاد الرجل إلى ابن زياد وأخبره ذلك. فغضب ابن زياد أشد الغضب (١).
ترى كيف الطغاة حقراء ضعفاء! هكذا لابد من إرغام أنوفهم في التراب.
فيالها من شهامة حسينية، ولن تتحقق إلا إذا تخلق الانسان المسلم بأخلاق الحسين (عليه السلام)
المتحرر من الدنيا وراحتها الزائلة، إنها أخلاق الأحرار الذين شعارهم " المنية لا الدنية "،
" وهيهات منا الذلة "، " والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد ".
* الدروس المستفادة هنا:
١ - ما أجمل الشجاع حينما يحتقر الطغاة الحقراء فيدخل النار في قلوبهم قبل نار جهنم.
٢ - تعلم كيف تمارس عزتك في الحياة التي لست ولا عدوك من الخالدين فيها.
٣ - انظر دائما إلى البعيد وتحمل معاناتك الطارئة، لأنها جاءت لتنتهي، وأنت جئت لتبقى مع بقاء الحق إن كنت صابرا.
E / في العطف والتضامن والعطاء
قيل لمحمد بن بشير الحضرمي: قد أسر ابنك بثغر الري، فقال: ما أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده حيا.

____

١ - الفتوح ٥: ٩٥ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٩ وفيه اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق، بحار الأنوار ٤٦: ٣٨٣، العوالم ١٧: ٢٣٤. ونحن نقلنا ذلك بتصرف في الألفاظ دون ألفاظ الحسين (عليه السلام).

فقال له الحسين (عليه السلام): " أنت في حل من بيعتي، فاعمل في فكاك ولدك ".
قال: لا والله، لا أفعل ذلك، أكلتني السباع حيا إن فارقتك.
فقال (عليه السلام): " إذا إعط ابنك هذه الأثواب الخمسة ليعمل في فكاك أخيه ".
وكان قيمتها
ألف دينار (١).
في هذا الموقف الحسيني الحنون نقرء من مبادئ الأخلاق الحميدة مبدأ العطف
والحنان ورعاية شعور الآخرين والتضامن معهم. وهذه صفة جلية في سلوك الإمام
الحسين
(عليه السلام) لذا وجب علينا السير إلى أعماق الأخلاق الحسينية بالقراءة في أقوال
الحسين
وأفعاله.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - التفكير الانساني في إطلاق سراح معتقل مؤمن مجاهد.
٢ - المشاركة المعنوية في مواساة ذوي المصيبة.
٣ - الدعم المالي لهذين الأمرين الأخلاقيين الشرعيين.
E / في جاذبية الأخلاق
ان يكون الإنسان محبا للخير والصدق فإنه سرعان ما يتدرج إلى معاليه عمليا إذا
ما سمع قولا لينا. والقول اللين رائعة أخرى من روائع الأخلاق الحسينية التي نتعلمها
في
القصة التالية:
أنفذ عمر بن سعد رجلا من خزيمة وقال له: إمض إلى الحسين (عليه السلام) وقل له ما
الذي
جاء بك إلينا وأقدمك علينا؟
فأقبل حتى وقف بإزاء الحسين (عليه السلام) فنادى - بذلك -.
فقال الحسين (عليه السلام): " أتعرفون هذا الرجل؟ "
فقالوا: هذا رجل فيه الخير إلا أنه شهد هذا الموضع - أي صار في جبهة الباطل جهلا
-.
فقال: " سلوه ما يريد؟ "

----
١ - اللهوف: ص ٥٣.

فقال: أريد الدخول على الحسين (عليه السلام).
فقال له زهير: ألق سلاحك وادخل.
فقال: حبا وكرامة، ثم ألقى سلاحه ودخل - على الحسين (عليه السلام) - فقبل يديه ورجليه،
وقال: يا مولاي ما الذي جاء بك إلينا وأقدمك علينا؟
فقال (عليه السلام): " كتبكم ".
فقال: الذين كاتبوك هم اليوم من خواص ابن زياد.
فقال له: " إرجع إلى صاحبك وأخبره بذلك ".
فقال: يا مولاي من الذي يختار النار على الجنة، فوالله ما أفارقك حتى ألقى حمامي بين يديك. (١)
نعم.. هذه ثمرة الأخلاق الكريمة التي تذوقها الرجل ممن كان فيه الخير كله،
الحسين (عليه السلام) لم يعتمد معه إلا على طينته الطيبة، فحرث فيها بأخلاقه النافذة عبر الحوار
الهادئ، والمنطق المقنع، وكلمات لا يجانبها العقل، أجل وكيف يذهب الرجل عن الحسين (عليه السلام) والجنة بين يديه؟
هكذا جذبت أخلاق الحسين (عليه السلام) مبعوث عدوه الغاشم فاختار الحق على الباطل.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - تبقى المبادئ الأخلاقية هي المنتصرة دائما، ولكن لابد من اليقين بهذه الحتمية الدائمية لتتقوى الاستقامة على ضوئها.
٢ - إن على الهادف في الحياة أن يبني حركته على أساس الدليل والمنطق والشواهد القوية، ليقنع بذلك الناس ويجلبهم إلى دعوته.
٣ - إفتح بابك بوجه مخالفك إذا أراد أن يلتقي بك.
E / في الحلم والمبادرة إلى الحوار
أرسل الحسين (عليه السلام) إلى ابن سعد: " إني أريد أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري
وعسكرك ".

----
١ - مقتل الحسين لأبي مخنف: ٨١ الإمام الحسين وأصحابه ١: ٢٢٤، معالي السبطين ١: ٣٠٩.

فخرج إليه عمر بن سعد في عشرين فارسا والحسين (عليه السلام) في مثل ذلك، ولما التقيا
أمر الحسين (عليه السلام) أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر، وأمر عمر
بن سعد أصحابه فتنحوا عنه وبقي معه ابنه حفص وغلام له يقال له: لاحق.
فقال الحسين (عليه السلام) لابن سعد: " ويحك أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن
من علمت؟ يا هذا ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك من الله ".
فقال له عمر: أخاف أن تهدم داري.
فقال الحسين (عليه السلام): " أنا أبنيها لك ".
فقال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.
فقال (عليه السلام): " أنا أخلف عليك خيرا منها من مالي بالحجاز ".
فقال: لي عيال أخاف عليهم.
فقال: أنا أضمن سلامتهم.
ثم سكت - عمر بن سعد - فلم يجبه عن ذلك، فانصرف عنه الحسين (عليه السلام) وهو يقول:
" مالك، ذبحك الله على فراشك سريعا عاجلا، ولا غفر لك يوم حشرك ونشرك، فوالله إني
لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيرا ".
فقال له عمر - مستهزئا -: يا أبا عبد الله في الشعير عوض عن البر، ثم رجع عمر إلى معسكره. (١)
هكذا بقي الحوار مبتورا بين صمود الحق وعناد الباطل، بين منطق الهدى واستهزاء الضلال، وتكفينا نحن اليوم عاقبة طرفي الحوار الذي بادر إليه الحسين (عليه السلام) انطلاقا من
حبه لإنقاذ الإنسان، ولكن الإنسان كان ظلوما جهولا، وكان عمر بن سعد الصلف البذئ
من أبرز مصاديق الظلم والجهل.
جاء في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) " ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا
بشئ من عمله، تقوى تحجزه عن معاصي الله، وحلم يكف به السفيه، وخلق يعيش به في الناس " (٢).

---

١ - مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٤٥، الفتوح ٥: ١٠٢، البداية والنهاية ٨: ١٨٩، بحار الأنوار
٤٤: ٣٨٨، العوالم ١٧: ٢٣٩، أعيان الشيعة ١: ٥٩٩ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
٢ - الفضيلة الإسلامية: ص ٥٢.

وأخيرا انظر أيها القارئ الحريص على عاقبتك من إنتصر في نهاية هذا الحوار؟
الحسين بن علي (عليه السلام) أم عمر بن سعد؟
لاشك، الحسين (عليه السلام) وأخلاقه السلمية الرائدة وحلمه العظيم وأخلاقه مع الناس هو
المنتصر ماديا ومعنويا، ولم ينحصر انتصاره بزمن دون زمن. وأما عمر بن سعد فلم يصل
إلى بغيته في ملك (ري) ولذة السلطة في تلك المنطقة الموعودة.
وهل يهمل الله دعاءا قاله حبيبه الحسين؟! تدبروا أيها الناس في هذه الحقائق ولا تغفلوا.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - القوي لا يخاف اللقاء مع مناوئه والحوار معه.
٢ - إذا أردت تفنيد منطق عدوك استمع إلى مبرراته ثم حاصره فيها من كل جهة حتى لا تبقى له أية ذريعة يتوسل بها.
E / في التواضع والوفاء والحب
في عصر يوم تاسوعاء، إذ في غده كان التاريخ يستعد لتسجيل ملحمة عاشوراء الدامية، جمع الحسين (عليه السلام) أصحابه وأهل بيته. قال علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام):
فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: " اثني
على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة فاجعلنا من الشاكرين.
أما بعد فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل ولا أفضل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيرا، ألا وإني لأظن يوما لنا من هؤلاء الأعداء، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم
تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فان القوم إنما يطلبوني ولو قد أصابوني للهو عن طلب غيري ".

فقال له اخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟
لا
أرانا الله ذلك أبدا.
بدأهم بهذا القول العباس بن علي (عليهما السلام) واتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله
ونحوه.
فقال الحسين (عليه السلام): " يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم، فاذهبوا أنتم فقد
أذنت
لكم ".
قالوا: سبحان الله فما يقول الناس لنا؟ يقولون: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا
خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف،
ولا ندري ما صنعوا لا والله لا نفعل ذلك ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل
معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.
وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك،
أما
والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم
يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة والله لا نخليك حتى يعلم الله إنا قد
حفظنا
غيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيك، والله لو علمت أني اقتل، ثم أحيى، ثم اقتل،
ثم أحرق، ثم اذرى،
يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك
وإنما
هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة العظمى التي لا انقضاء لها أبدا.
وقام زهير بن ألقين فقال: والله لوددت انني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل هكذا
ألف مرة، وان الله جل وعز يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من
أهل
بيتك.
وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا في وجه واحد، فقالوا: والله لا نفارقك
ولكن أنفسنا لك الفداء نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قتلنا كنا وفينا وقضينا
ما
علينا (١).
هكذا كان الحسين (عليه السلام) ينفخ من روحه الأخلاقية في نفوس أصحابه وأهل
بيته، ليعلم
البشرية أخلاق الانفلات من الذاتية والأنانية.

وقابله أصحابه وأهل بيته بكلمات الوفاء والحب والتقدير لهذه الروح الكبيرة

----
١ - نفس المهموم ص ٢٢٧.

والمتواضعة، وليعلموا البشرية أيضا معاني الإخلاص في الحب والتفاني لأجل الوفاء بالحق. ولا يكون هذا كله إلا لجاذبية الحسين المعنوية وأخلاقه العالية وتواضعه، انه الصدق كله، أصله ولبه.

السابقون إلى المكارم والعلى * والحائزون غدا حياض الكوثر
لولا صوارمهم ووقع نبالهم * لم يسمع الآذان صوت مكبر

وكما قال عدوهم كعب بن جابر:

فلم تر عيني مثلهم في زمانهم * ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشد قراعا بالسيوف لدى الوغا * ألا كل من يحمي الدمار مقارع
وقد صبروا للطعن والضرب حسرا * وقد نازلوا لو أن ذلك نافع (١)

* الدروس المستفادة هنا:

١ - إن من يسلك الأخلاق الحسنة مع الناس، سوف يرى وقوفهم معه يوما في الأزمات.

٢ - ضرورة حديث الصبر والأجر الأخروي عندما تشتد الأمور وتصعب المواقف.

E / في قيمة الحرية ونبل التضامن

روى البحراني، عن حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام)
يقول: لما كان اليوم الذي استشهد فيه أبي، جمع أهله وأصحابه في ليلة ذلك اليوم فقال لهم: " يا أهلي وشيعتي اتخذوا هذا الليل (جملا لكم) فانهجوا بأنفسكم، فليس المطلوب غيري، ولو قتلوني ما فكروا فيكم، فانجوا رحمكم الله فأنتم في حل وسعة من
بيعتي وعهدي الذي عاهدتموني ".
فقال إخوته وأهله وأنصاره بلسان واحد: والله يا سيدنا يا أبا عبد الله لا خذلناك أبدا، والله
لا قال الناس: تركوا إمامهم وكبيرهم وسيدهم وحده حتى قتل، ونبلوا بيننا وبين الله عذرا
ولا نخليك أو نقتل دونك.

---

١ - منتهى الآمال (المعرب) ج ١ ص ٦٤٠.

فقال (عليه السلام) لهم: " يا قوم اني في غد أقتل وتقتلون كلكم معي ولا يبقى منكم واحد ".
فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك، أو لا ترضى أن نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله؟!
فقال (عليه السلام): " جزاكم الله خيرا "، ودعا لهم بخير.
فقال له القاسم بن الحسن (عليه السلام) - ولم يتجاوز عمره الثالث عشر -: وأنا فيمن يقتل؟
فأشفق عليه فقال له " يا بني كيف الموت عندك؟ ".
قال: يا عم أحلى من العسل.
فقال (عليه السلام): " أي والله فداك عمك انك لاحد من يقتل من الرجال معي بعد أن تبلى ببلاء
عظيم وابني عبد الله ".
فقال: يا عم ويصلون إلى النساء حتى يقتل عبد الله وهو رضيع؟
فقال (عليه السلام): " فداك عمك يقتل عبد الله إذ جفت روحي عطشا وصرت إلى خيمنا فطلبت
ماء ولبنا فلا أجد قط فأقول: ناولوني ابني لأشرب من فيه، فيأتوني به فيضعونه على يدي
فأحمله لأدنيه من في فيرميه فاسق بسهم فينحره وهو يناغي فيفيض دمه في كفي، فأرفعه
إلى السماء وأقول: اللهم صبرا واحتسابا فيك، فتعجلني الأسنة منهم والنار تستعر في الخندق الذي في ظهر الخيم، فأكر عليهم في أمر أوقات في الدنيا، فيكون ما يريد الله ".
فبكى وبكينا، وارتفع البكاء والصراخ من ذراري رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخيم.
هكذا يخبر الإمام سبط الرسول (صلى الله عليه وآله) عما علم من الغيب بإذن الله ليكمل فصول الواقعة
بكل زواياها الشرعية والأخلاقية والانسانية وما يتعلق بحقوق الناس واعطائهم فرصة اتخاذ القرار الحر، لهذه الأخلاقيات التي وجدوها في الحسين (عليه السلام) تراهم قد أحبوه
وتضامنوا معه حتى اعتنقوا الموت الشريف ببسالة أدهشت تاريخ البشرية وفخرت بها أهل السماء وشرفاء الأرض.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - تعلم أن تأخذ الإجابات الصحيحة من السائل نفسه، وذلك بإعادة سؤاله إليه عبر

أسلوب آخر.

(٢٠٧)

٢ - إن تصوير بعض الإجابات من خلال بيان الخير والشر فيها باللغة الدينية والعواطف النبيلة يترك أثرا عظيما على الإقناع وحصول اليقين.
٣ - من الأخلاق الجميلة أن تترك القرار بيد الشخص بعد ما تتم عليه الحجة بطرق غير
مباشرة، وهنا لما يقرر فإنه يكون أقوى في قراره معك.
E / في الوفاء والمواساة والمودة
قال الحسين (عليه السلام) في ليلة عاشوراء لأصحابه: " الا ومن كان في رحله امرأة فلينصرف
بها إلى بني أسد ".
فقام علي بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيدي؟
فقال (عليه السلام): " ان نسائي تسبى بعد قتلي وأخاف على نسائكم من السبي ".
أنظر كم للحسين (عليه السلام) من رقة وغيرة على المرأة المسلمة.
وتأمل في بقية القصة أيضا لترى كم للمرأة المسلمة في كربلاء من وعي لمسؤوليتها تجاه هذا الموقف الأخلاقي الجميل للحسين (عليه السلام).
فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته فقامت زوجته إجلالا له فاستقبلته وتبسمت في وجهه فقال لها: دعيني والتبسم!
فقالت: يا ابن مظاهر إني سمعت غريب فاطمة خطب فيكم، وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة فما علمت ما يقول؟
قال: يا هذه إن الحسين (عليه السلام) قال لنا: " ألا ومن كان في رحله امرأة فليذهب بها إلى بني
عمها لاني غدا اقتل ونسائي تسبى ".
فقالت: وما أنت صانع؟
قال: قومي حتى ألحقك ببني عمك بني أسد.
فقامت ونطحت رأسها في عمود الخيمة وقالت: والله ما أنصفتني يا ابن مظاهر،
أيسرك أن تسبى بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا آمنة من السبي؟
أيسرك أن تسلب زينب إزارها من رأسها وأنا أستتر بإزاري؟
أيسرك أن تذهب من بنات الزهراء أقراطها وأنا أتزين بقرطي؟

أيسرك أن يبيض وجهك عند رسول الله ويسود وجهي عند فاطمة الزهراء؟
والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء. فرجع علي بن مظاهر إلى الحسين (عليه
السلام):
وهو يبكي، فقال له الحسين (عليه السلام): " ما يبكيك "؟
فقال: سيدي أبت الأسدية إلا مواساتكم!
فبكى الحسين (عليه السلام) وقال: " جزيتم منا خيرا " (١).
وكأني أراك أيها القارئ الكريم قد حدقت الدموع في عينيك الآن دون إرادتك، من
خلالها انظر إلى هذه المواقف المتبادلة بين الحسين (عليه السلام) وأصحابه من الرجال
والنساء
لتستيقن شموخ القيم الأخلاقية وعلو الإنسان في معانيه الإنسانية عند الإمام الحسين.
إن الوفاء والشرف والمواساة والحب ورعاية حقوق الآخرين وشفافية علاقات القائد
والمقود وكل المفردات الأخلاقية في هذا السياق قد برزت بين الإمام (عليه السلام)
وأنصاره في
أجمل مظاهرها وأكمل معالمها. هنيئا لهم ولكل من يتزين بزينة الأخلاق الحسينية
الخالدة بخلود الأخلاق الإلهية.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - احترام مشاعر الإنسان تجاه عرضه وشرفه مبدأ أخلاقي جميل، ذلك لأن الرجل
قد
يستحي أن يبرز هذه المشاعر أمام قائده، فالقائد ذو الأخلاق الجميلة والنباهة يقدر
تلك
الحالة.
٢ - للنساء مكانتهن الخاصة في المنظور الحسيني، وللمرأة أن تفي للمدلول الأخلاقي
في هذا المنظور -.
٣ - البكاء في مواقف السرور والابتهاج أدق تعبير عن الحب والشكر والتلاحم.
E / في أدب الاخوة وحب العبادة
لقد زحفت طلائع جيش ابن سعد نحو معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) في عصر
الخميس
لتسع خلون من شهر محرم، فقد صدرت إلى القيادة العامة الأوامر المشددة من ابن
زياد

----
١ - معالي السبطين ١: ٣٤٠.

بتعجيل القتال خوفا من أن يتبلور رأي الجيش ويحدث انقسام في صفوفه، ولما زحف ذلك الجيش كان الحسين جالسا أمام بيته - خيمته - محتبيا بسيفه إذ خفق برأسه، فسمعت أخته عقيلة بني هاشم زينب (عليها السلام) أصوات الرجال وتدافعهم نحو أخيها، فانبرت
إليه وهي فزعة مرعوبة فأيقظته فرفع الإمام رأسه فرأى أخته، فقال لها بعزم وثبات: " إني
رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام، فقال: إنك تروح إلينا.. ".
وذابت نفس العقيلة، وانهارت قواها، فلطمت وجهها، وقالت بنبرات حزينة:
" يا ويلتاه.. ".
والتفت أبو الفضل العباس إلى أخيه فقال له: يا أخي أتاك القوم، فطلب منه الإمام أن يتعرف على خبرهم قائلا له:
" إركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم، فتقول لهم: ما بدا لكم، وما تريدون؟ ".
كم رقيقة هذه الكلمات المؤدبة التي تفوه بها الحسين لأخيه العباس!
" إركب بنفسي أنت يا أخي... " ما أجمل هذا الأدب، كلمات تبث الحب والحنان وترفع الستار عن مودة عميقة من الحسين لأخيه العباس، قد جمعتهما سلامة العقيدة وروائع الأخلاق. يا ليتنا نستلهم بعضها.
وأسرع أبو الفضل العباس ممتثلا أمر أخيه الحسين، فتحرك نحو العدو المهاجم، ومعه عشرون فارسا من أصحابه، وفيهم زهير بن ألقين وحبيب بن مظاهر، فسألهم العباس عن زحفهم، فقالوا له: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نناجزكم.
وقفل العباس إلى أخيه يعرض عليه الأمر، وأقبل حبيب بن مظاهر على القوم فجعل يعظهم، ويذكرهم الدار الآخرة قائلا:
أما والله لبئس القوم يقدمون غدا على الله عز وجل، وعلى رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) وقد قتلوا
ذريته وأهل بيته المجتهدين بالأسحار، الذاكرين الله كثيرا بالليل والنهار وشيعته الأتقياء الأبرار.
وعرض أبو الفضل مقالة القوم على أخيه، فقال له الحسين:
" ارجع إليهم فان استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة، لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة،

وندعوه، ونستغفره، فهو يعلم أني أحب الصلاة وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار ".
ورجع إليهم أبو الفضل العباس، فأخبرهم بكلام أخيه، وعرض ابن سعد الأمر على الشمر خوفا من وشايته إذا استجاب لطلب الإمام وأخر القتال، فقد كان المنافس الوحيد له
على امارة الجيش كما كان عينا عليه، أو انه أراد أن يكون شريكا له في المسؤولية فيما إذا
عاتبه ابن زياد على تأخير الحرب.
وعلى أي حال فان الشمر لم يبد رأيه في الموضوع، وإنما أحاله لابن سعد، وانبرى عمرو بن الحجاج الزبيدي فأنكر عليهم إحجامهم عن إجابة الإمام قائلا:
سبحان الله!! والله لو كان من الديلم ثم سألكم هذه المسألة لكان ينبغي أن تجيبوه..
ولم يزد ابن الحجاج على ذلك، فلم يقل انه ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خوفا من أن تنقل
الإستخبارات العسكرية حديثه إلى ابن مرجانة فينال العقاب أو العتاب والحرمان منه (١).
وهكذا استجابوا على كره لطلب الإمام الحسين (عليه السلام)، فأجلوا الهجوم إلى يوم عاشوراء،
ليستجمع الإمام (عليه السلام) استذكاراته وأذكاره مع الله سبحانه، ويضخ قواه المعنوية في أصحابه
كي يخلد لعبادة الله سبحانه أروع مصاديقها المحمودة في التاريخ. وتلك أساس المواقف
الأخلاقية كلها عند الإمام الحسين (عليه السلام).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - عندما تريد الكلام مع أخيك قدم إليه ألفاظا في أجمل عبارات.
٢ - إن الحب الإلهي منطلق الخير كله، وعلى أساسه يتحرك المؤمنون في الحياة.
٣ - لابد للمجاهد أن يتم حجته الحقة على عدوه بكل وسيلة ممكنة.
٤ - ذكر الله يلهم الذاكر مزيدا من القوة والاستقامة والبصيرة والاستنارة في الحوادث العسيرة.

----
١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ١٦٢.

E / في السلم وعدم الغيلة
الضحاك المشرقي - وكان من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) - قال: لما أقبلوا نحونا
فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذي كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلا يأتونا
من خلفنا، إذ أقبل إلينا منهم رجل يركض على فرس كامل الأداة، فلم يكلمنا حتى مر على
أبياتنا، فنظر إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلا حطبا تلتهب النار فيه، فرجع راجعا ونادى بأعلى
صوته: يا حسين! استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة!
فقال الحسين (عليه السلام): " من هذا؟ كأن شمر بن ذي الجوشن "؟!
فقالوا: نعم أصلحك الله، هو هو.
فقال له الحسين (عليه السلام): " يا بن راعية المعزى! أنت أولي بها صليا "!
فقال له مسلم بن عوسجة: يا بن رسول الله جعلت فداك ألا أرميه بسهم، فإنه قد أمكنني، وليس يسقط سهم مني، فالفاسق من أعظم الجبارين!
فقال له الحسين (عليه السلام): " لا ترمه، فاني أكره أن أبدأهم ". (١)
هذه هي الأخلاق الحسينية، إنها لا ترخص البدء في الحرب، لأن الحسين رحمة قبل العنف ودفاع قبل الهجوم وسلم قبل الحرب. ولكن انظر إلى خساسة عدوه، فقد جلس (الشمر القاتل) على صدر الحسين فتبسم الحسين في وجهه ونصحه ووعظه.
إلا أن اللعين حز رأسه الشريف ثم أمر بسلب ما عليه حتى ملابسه، ثم رضوا جسده الشريف بحوافر الخيل وكسروا أضلاعه وعظامه وتركوا جسده على الأرض ثلاثة أيام.
إن هذا الحقد العجيب كان في مواجهة تلك الأخلاق الكريمة التي أصدرت أمرا بعدم رمي راعية المعزى وهو الذي قطع رأس الحسين (عليه السلام) وأمر بسلبه، ذلك مالم يرتضيه حتى
عرب الجاهلية. فقد ورد أن عليا (عليه السلام) لما قتل عمرا - وهو الكفر كله - لم يسلب منه حتى
درعه الذي لم يكن له نظير في ذلك الزمان على ما قيل ولم يكن من لباسه وقد سئل (عليه السلام) عن
ذلك فقال: إنه كبير قومه ولا أحب هتك حرمته، وبذلك فرحت أخته لما رأت أخاها غير
مسلوب، وعلمت أن قاتله علي (عليه السلام)، فكان فرحها لشيئين:

----

١ - تاريخ الطبري ٣: ٣١٨، الارشاد: ٢٣٣، الكامل في التاريخ ٢: ٥٦١ اختصارا، بحار الأنوار ٤٥: ٥، العوالم
١٧: ٢٤٨، وقعة الطف: ٢٠٤.

أحدهما: أن قاتله كف كريم وشخص جليل، لذا قالت:
لو أن قاتل عمرو غير قاتله * لكنت أبكي عليه آخر الأبد
ثانيهما: انه (عليه السلام) قد إحترمه بعدم سلب درعه، لذا قالت: " لا رقأت دمعتي (١) إن
أهرقتها (٢) ". تعني أن سروري باحترام قاتلك لك قد أنساني مصيبة قتلك فلا أبكيك، بل
يقال أنها هلهلت فرحا، وقالت: يا أخي عشت طويلا جليلا مكرما، وقتلت بيد جليل محترما.
ثم أنشدت:
لكن قاتله من لا يعاب به * وكان يدعى قديما بيضة البلد (٣)
فما أدري لو كان قاتل أخيها ابن راعية معزى، أبقع أبرص ومن أرذل الناس، فما كانت تصنع؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الحرب والعنف ليس أصلا في الإسلام، بل كل شئ من أجل السلم والسلام.
٢ - مهما كان عدوك يستفزك فلا تقع في مصيدة استدراجه وتتورط معه في العنف الذي غالبا يدهس القيم الأخلاقية.
٣ - الغدر والقتل غيلة (أي الاغتيال) ليس من المندوحات الأخلاقية، بل الأجمل في الصراع أن يكون الطرفان على وعي من أمرهما.
E / في الحرية والأخلاق مع العدو
وذاك الشمر بن ذي الجوشن.. رأس البغض على آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، يأتي بفتنة ليشق
صف معسكر الحسين (عليه السلام) كما كان يظن، فيصيح بأعلى صوته: أين بنو أختنا؟ أين العباس
وإخوته؟
وقد جاء لهم بالأمان من عبد الله بن زياد إذا هم تركوا أخاهم الحسين (عليه السلام) وانصرفوا
عنه، وكان للشمر اللعين قرابة بعيدة من طرف الام مع العباس وإخوته فاستغل ذلك بدافع

---

١ - رقأ الدمع إنقطع بعد جريانه.
٢ - أهرق الماء أي صبه.
٣ - الإرشاد للشيخ المفيد: ج ١ ص ١٠٨.

الجاهلية العشائرية ليفصل بينهم وبين الحسين (عليه السلام) إلا أن هؤلاء الصفوة من المؤمنين
أعرضوا عن الشمر ولم يكلموه.
وهنا يظهر الخلق الحسيني على المسرح، ليعطي الفرصة لعدوه كيما يقول ما يريد، فقال (عليه السلام) للعباس وإخوته: " أجيبوه ولو كان فاسقا ".
فقالوا لشمر: ما شأنك وما تريد؟
قال: يا بني أختي أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، والزموا طاعة... يزيد!
فقال العباس - وهو الذي تعلم الإباء والوفاء من إمامة وأخيه الحسين (عليه السلام): لعنك الله
ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له! وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟! (١)
أنظر أخي القارئ: كيف يعطي الحسين (عليه السلام) الاستقلالية وحرية اتخاذ القرار للعباس
واخوته، وهؤلاء بدورهم كيف يردوا على الشمر الفاسق بأخلاق الولاية للحق والبراءة من الباطل، ولا مجاملة على حساب القيم. فهذا الأسلوب الحسيني وما فعله أخوه العباس
تطبيق لحكمة الحزم مع اللين. وهذا مبدأ أخلاقي رصين قد تعلمه الحسين والعباس من أبيهما أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عندما كان يواجه مكر معاوية وخديعته ويتنفس الصعداء
ويقول " وا ويلاه! يمكرون بي ويعلمون أني بمكرهم عالم، وأعرف منهم بوجوه المكر ولكن أعلم ان المكر والخديعة في النار، فأصبر على مكرهم ولا أرتكب مثل ما ارتكبوا " (٢).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - احترام استقلالية الفرد المعتدل في اتخاذ قراراته.
٢ - إذا كنت واثقا في تربيتك للفرد فلا تخف عليه أن تبعثه لمحاورة العدو.
E / في حب الهداية للعدو
لم يترك الإمام (عليه السلام) المغفلين ممن جاؤوا لمحاربته، فقد انتهز كل فرصة لموعظتهم،

----
١ - تذكرة خواص الأمة: ص ١٤٢، ومثير الأحزان / لابن نما: ٢٨.
٢ - جامع السعادات: ج ١ ص ٢٣٩.

عله استطاع إنقاذهم من الضلالة إلى الهداية. ذكر التأريخ انه (عليه السلام) لما انتهى موكبه إلى منطقة
" البيضة " ألقى خطابا على الحر وأصحابه، وقد أدلى بدوافعه في الثورة على يزيد، ودعا
القوم إلى نصرته وقد قال بعد حمد الله والثناء عليه:
" أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله، ناكثا
لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما
عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله. ألا ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا
بالفئ، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق ممن غير، وقد أتتني كتبكم،
وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسي مع
أنفسكم وأهلي مع أهليكم، ولكم في أسوة، وان لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام " (١).
وإن دل هذا الإصرار من أبي عبد الله (عليه السلام) على هداية أعدائه فإنما يدل على حبه للإنسان،
وعدم رغبته في أن يقع بجهله في عذاب النار، وهذا الحب من رفيع الأخلاق جدا.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - مهما كان عدوك متزمتا صلفا سجل عليه المواقف المشرفة أخلاقيا بالحجج الدامغة لتسلب منه كل الذرائع الباطلة.
٢ - قل كلمتك الحسنة، واترك للتاريخ أن يحكم لك بالعدل.
٣ - خلق الانسان من أجل السعادة في الجنة، وأنت حاول هداية من استطعت من المنحرفين عن هذا الهدف، وإياك أن تساهم في العكس منه.

---

١ - حياة الإمام الحسين / ج ٣ ص ٨٠.

E / في أخذ الاعتراف بك من الخصم
أن توضح لخصمك من أنت، وأين موقعك من الحق، فإنه محاولة أخلاقية لتجنيبه التورط في الظلم، ولا تدل هذه الأخلاقية عند الإمام الحسين (عليه السلام) إلا على سمو حبه لهداية
خصمه ولإنقاذه من عاقبته السيئة ودخوله النار، وقليل هم الذين هكذا يحبون خصومهم بالنظر إلى إنقاذهم.
كتب المؤرخون بهذا الخصوص:
لقد وثب الحسين (عليه السلام) متوكيا على سيفه فنادى بأعلى صوته في خصومه قائلا: " أنشدكم
الله هل تعرفونني "؟
قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسبطه.
قال: " أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) "؟
قالوا: اللهم نعم.
قال: " أنشدكم الله هل تعلمون ان أمي فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) "؟
قالوا: اللهم نعم.
قال: " أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) "؟.
قالوا: اللهم نعم.
قال: " أنشدكم الله هل تعلمون ان جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة اسلاما "؟
قالوا: اللهم نعم.
قال: " فأنشدكم الله هل تعلمون أن سيد الشهداء حمزة عم أبي "؟
قالوا: اللهم نعم.
قال: " فأنشدكم الله هل تعلمون ان جعفر الطيار في الجنة عمي "؟
قالوا: اللهم نعم.
قال: " فأنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانا متقلده "؟
قالوا: اللهم نعم.
قال: " فأنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله انا لابسها "؟

قالوا: اللهم نعم.
قال: " فأنشدكم الله هل تعلمون ان عليا كان أولهم اسلاما، واعلمهم علما، وأعظمهم حلما، وانه ولي كل مؤمن ومؤمنة "؟
قالوا: اللهم نعم.
قال: " فبم تستحلون دمي، وأبي الذائد عن الحوض يذود عنه رجالا، كما يذاد البعير الصادر عن الماء، ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة "؟
قالوا: قد علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشا.
فأخذ الحسين (عليه السلام) بطرف لحيته وهو يومئذ ابن سبع وخمسين سنة، ثم قال:
إشتد
غضب الله على اليهود حين قالوا عزير بن الله، واشتد غضب الله على النصارى حين
قالوا
المسيح بن الله، واشتد غضب الله على المجوس حين عبدوا النار من دون الله، واشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم، واشتد غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيهم! (١)
وزاد السيد ابن طاووس: فلما خطب هذه الخطبة وسمع بناته وأخته زينب كلامه، بكين وندبن ولطمن وارتفعت أصواتهن، فوجه إليهن أخاه العباس وعليا ابنه وقال لهما:
"
سكتاهن فلعمري ليكثرن بكائهن ". (٢) إنه البكاء على مظلوم قد أتم كل ما بوسعه من
الحجج
البالغة، ولكن لا أذن كانت صاغية لنداء الحب والهداية ونبذ الخصومة للحق.
وجاء في كتاب كشف الغمة، أنه (عليه السلام) أنشد إتماما للحجة على الناس، ليهلك
من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة:
أبي علي وجدي خاتم الرسل * والمرتضون لدين الله من قبلي
والله يعلم والقرآن ينطقه * ان الذي بيدي من ليس يملك لي
ما يرتجي بامرء لا قائل عذلا * ولا يزيغ إلى قول ولا عمل
ولا يرى خائفا في سره وجلا * ولا يجاوز من هفو ولا زلل
يا ويح نفسي ممن ليس يرحمها * أما له في كتاب الله من مثل

---

١ - أمالي الصدوق: ١٣٥، اللهوف: ٣٧ إلى قوله " عطشا "، أعيان الشيعة ١: ٥٩٩، بحار الأنوار ٤٤:
٣١٨،
العوالم ١٧: ١٦٧، نور العين: ٤٢ مع اختلاف في الألفاظ.
٢ - اللهوف: ٣٨.

(٢١٧)

اماله في حديث الناس معتبر * عن العمالقة العادية الأول
يا أيها الرجل المغبون شيمته * اني ورثت رسول الله عن رسل
أأنت أولي به من آله فبما ترى * اعتللت، وما في الدين من علل (١)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - من الهام جدا تعريف الخصماء بشخصيتك وأبعادها الإيجابية.
٢ - أخذ الاعتراف من الخصم في حوار استدارجي عمل علمي أخلاقي بناء.
٣ - تشبيه الحال بالماضي تعبير بالغ في تفنيد حجج الخصماء.
E / في إبلاغ كلمة النصح والثبات
وبذل الحسين (عليه السلام) سعيا آخر لهداية رأس الجريمة (عمر بن سعد) قائد الجيش الأموي
فيوم عاشوراء استدعاه الحسين (عليه السلام) فجاء كارها لا يحب أن يأتيه، فقال له الحسين: أي
عمر! أتزعم أنك تقتلني ويوليك الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تهنأ بذلك، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأني برأسك على قصبة يتراماه الصبيان بالكوفة ويتخذونه غرضا بينهم.
فصرف عمر بن سعد بوجهه عن الحسين مغضبا (٢).
وليس مهما عند الحسين إعراض الطغاة عن الحقيقة. المهم أن يتم الحجة عليهم بالوعظ والبلاغ المبين - كما كان النبي (صلى الله عليه وآله) يفعل -. حتى أنه (عليه السلام) أخبره بما نوى، وما عليه
حاله، وما هو إليه في الغد مآله.. إلا أن الموعظة البالغة لا تنفع من شرح بالكفر صدرا، وعميت عينه عن الآخرة فلم يعد يرى إلا الدنيا، ومات ضميره وقسى قلبه، واستبد به الطمع إلى حد فقد عاطفته. فمن أجل أمنية لا يدري تتحقق أم لا، لا يتورع عن قتل الأولياء والأبرياء، وهتك الحرمات، وقد أخبره الحسين (عليه السلام) سبط محمد (صلى الله عليه وآله) أنه لن
يحصل على ما أملوه. وعمر بن سعد يعلم يقينا أن ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم ولن يكذب،

----
١ - كشف الغمة ج ٢ ص ٢٤٤.
٢ - مقتل الحسين عليه السلام / للخوارزمي ٢: ٨.

ولكن نفسه الشرهة لم تمهله ساعة يتدبر فيها فيرجع عما أقدم عليه (١).
ولكن يا أخي: إن كان عمر بن سعد مات وانتهى فان أمثاله لا زالوا على نهجه سائرون،
وتكمن المشكلة في انتشار الثقافة المادية التي لازالت تضخ لتوليد شواكل خبيثة من أمثال
عمر بن سعد فلا زالت الثقافة الرسالية بين المسلمين غريبة كغربة صاحبها رسول الله وأهل بيته الكرام، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: " بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء ".
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الاستمرار في الفتح الأخلاقي وعدم اليأس وترك الموعظة.
٢ - من واجب الداعية الإسلامية أن يبذل كل جهده في سبيل هداية المضللين دون أن ينسى أجره عند الله.
٣ - لا بأس باللقاء مع الطاغوت لإتمام الحجة عليه.
E / في التزاور والتواضع
خرج يزيد بن نبيط من البصرة لمناصرة الحسين (عليه السلام) في كربلاء ومعه اثنان من أبنائه،
فلما وصلوا ذهب إلى رحل الحسين (عليه السلام) للقاء بإمامه، فلم يجد الحسين هناك، ثم بلغ
الحسين ذلك فذهب إليه الحسين، فلم يجده، فجلس الحسين ينتظره حتى جاء فوجد الحسين جالسا فهتف عاليا بصوت المتلهفين من شدة فرحه: بفضل الله وبرحمته، فبذلك
فليفرحوا.
ثم سلم على الحسين (عليه السلام) وجلس بين يديه فأخبره بأنه قادم لنصرته. فدعا له الحسين
(عليه السلام) بخير، ثم أقبل حتى أتى فقاتل معه وقتل شهيدا وابناه دفاعا عن الإمام الحسين (عليه السلام) (٢)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - تبادل اللقاء والزيارة خلق محمود، ومن الأفضل المبادرة فيه.

---

١ - الأخلاق الحسينية / ص ٦٥ بتصرف.
٢ - نقلناه مختصرا وبتصرف في الألفاظ عن كتاب منتهى الآمال (المعرب) ج ١ ص ٦٤٤.

٢ - إن من مقتضى التقدير واحترام الآخرين أن تتواضع في الذهاب إليهم وتتعنى في انتظارهم إذا لزم.

E / في السكينة وأخلاقية الدفاع المشروع

كتب المؤرخون: وخفق الإمام الحسين خفقة بعد ما أعيته الآلام المرهقة، فاستيقظ، والتفت إلى أصحابه وأهل بيته فقال لهم:

" أتعلمون ما رأيت في منامي؟ ".

قيل: ما رأيت يا ابن رسول الله؟

قال: " رأيت كأن كلابا قد شدت علي تناشبني وفيها كلب أبقع أشدها علي، وأظن الذي يتولى قتلي رجل أبرص من هؤلاء القوم...

ثم اني رأيت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه جماعة من أصحابه، وهو يقول لي: يا بني

أنت شهيد آل محمد، وقد استبشرت بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجل ولا تؤخر. هذا ما رأيت وقد أزف الأمر واقترب الرحيل من هذه الدنيا ".

وخيم على أهل بيته وأصحابه حزن عميق، وأيقنوا بنزول الرزء القاصم واقتراب الرحيل عن هذه الحياة (١).

وكان (عليه السلام) جالسا يصلح سيفه وهو ينعى نفسه قائلا:

يا دهر أف لك من خليل * كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب وطالب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر إلى الجليل * وكل حي سالك سبيل

إن هذه الحالة من السكينة لقضاء الله والقبول لأمره تعالى ثم إعلانها للأصحاب نابعة عن الأخلاق العظيمة التي حوتها روح الإمام (عليه السلام) ومن ذات الروح صدرت أخلاقه (عليه السلام)

حينما أبت رحمته وشفقته على أعدائه إلا أن يقوم باسداء النصيحة الأخيرة لهم، حتى يستبين لهم الحق، ولا يدعي أحد منهم أنه كان على غير بينة من أمره، فانطلق نحوهم،

----

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ١٧٧.

وقد نشر كتاب الله العظيم، واعتم بعمامة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولبس لامته، وكان على هيبة
تعنو لها الجباه، وتغض عنها الأبصار فقال لهم:
" تبا لكم أيتها الجماعة وترحا أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم
موجفين (١) سللتم علينا سيفا في أيمانكم، وحششتم (٢) علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلبا (٣) لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات، تركتمونا والسيف مشيم (٤) والجأش طامن (٥)، والرأي لما يستصحف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا (٦) وتداعيتم عليها كتهافت الفراش (٧) ثم نقضتموها، فسحقا لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئ السنن، ويحكم أهؤلاء تعضدون!! وعنا تتخاذلون!! أجل والله غدر فيكم وشجت عليه أصولكم، وتأزرت فروعكم (٨) فكنتم أخبث ثمرة شجى للناظر وأكلة للغاصب.
ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة (٩) والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى لنا الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا واني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر.
ثم أنشد (عليه السلام) أبيات فروة بن مسيك المرادي قائلا:
فإن نهزم فهزامون قدما * وإن نهزم فغير مهزمينا
وما إن طبنا جبن ولكن * منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

---

١ - أي مسرعين.
٢ - حشش: أي النار التي توقد.
٣ - يعني مجتمعين.
٤ - أي السيف المغمد.
٥ - الجأش طامن: يعني الشجاع ساكن.
٦ - وهي الجراد.
٧ - وهي صغار البق.
٨ - يعني نبتت عليه فروعكم حتى قويت به.
٩ - إستلال السيوف.

أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى،
وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إلي أبي عن جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)
" فأجمعوا أمركم
وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون إني توكلت على
الله ربي
وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ".
ورفع يديه بالدعاء عليهم قائلا: " اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين
كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كأسا مصبرة، فإنهم كذبونا
وخذلونا،
وأنت ربنا عليك توكلت وإليك المصير " (١).
لقد انفجر الإمام بهذا الخطاب كما ينفجر البركان، وقد أبدى من صلابة العزم وقوة
الإرادة ما لم يشاهد مثله.
وكان جواب المضلين أن تتابعت سهامهم على أصحاب الحسين كأنها المطر، حتى لم
يبق أحد منهم إلا أصابه سهم منها، وبطلت بذلك حجة السلم التي حرص الإمام عليها،
وكان على انتظار من أعدائه القيام بهذا العدوان الغادر، فلما بدأوه من جانبهم وجب
عليه
الدفاع عن النفس وجوبا لا شبهة فيه، والتفت الإمام إلى أصحابه فأذن لهم في الحرب
قائلا: " قوموا يا كرام، فهذه - أي سهامهم - رسل القوم إليكم ".
ويلتفت أبو عبد الله الحسين في الساعات العسيرة من يوم عاشوراء إلى أصحابه الأبرار
ودموع الحب جارية على خديه وهو يراهم كيف يناضلون مستميتين في وفائهم، فيقول
لهم: " صبرا بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان
الواسعة والنعيم الدائمة، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم
إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، ان أبي حدثني عن رسول الله ٩ أن الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم وجسر هؤلاء إلى
جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت " (٢).
وتقدمت طلائع الحق من أصحاب الإمام (عليه السلام) إلى ساحة الحرب وبدأت بذلك
المعركة
الرهيبة واحتدم القتال كأشد وأعنف ما يكون، ومن المؤكد انه لم تكن مثل تلك
المعركة

\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-

١ - تأريخ ابن عساكر / ج ١٣ ص ٧٤ - ٧٥.
٢ - معاني الأخبار / ص ٢٨٨.

في جميع الحروب التي جرت في الأرض. فقد تقابل اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا
مع عشرات الألوف، وكانت تلك القلة - المؤمنة الصابرة - كفوءا لتلك الكثرة التي تملك
أضخم العتاد والسلاح، وأبدت تلك القلة من صنوف البسالة والشجاعة ما يبهر العقول ويحير الألباب (١).

* الدروس المستفادة هنا:

١ - الوضوح مع الصديق الوفي.
٢ - إن الانقطاع إلى الله يولد السكينة في النفس والرزانة في شخصية الإنسان.
٣ - الايمان بقضاء الله وقدره يقوي الإنسان في مواقفه الصعبة.
٤ - إن طهارة المولد وارتباط بالله تعالى والقيمة الروحية أساس العزة والكرامة.
٥ - إن الإباء من الرضوخ إلى الذلة والمهانة تفرزه العزة والكرامة ومعرفة الانسان لقيمته
في الحياة.

E / في الطيب والنظافة

ورد في كتاب (منتهى الآمال): قال الحسين (عليه السلام) لأصحابه في ليلة عاشوراء: قوموا
فاشربوا من الماء فإنه آخر زادكم وتوضأوا واغتسلوا واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم.
فلما كان من الغداة أمر الحسين (عليه السلام) بفسطاط فضرب، فأمر بجفنة (٢) فيها مسك كثير
وجعل عندها نورة ثم دخل ليطلي، فروي أن برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري، وقفا على باب الفسطاط ليطليا بعده.
فجعل برير يضاحك عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن، يا برير أتضحك؟ ما هذه ساعة ضحك ولا باطل، فقال برير: لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلا ولا شابا وانما أفعل ذلك
استبشارا بما نصير إليه، فوالله ما هو الا أن نلقي هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة ثم
نعانق الحور العين. (٣)

____

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ١٩٩.
٢ - الجفنة: هي القصعة الكبيرة.
٣ - منتهى الآمال (المعرب) ج ١ ص ٦٢٨ نقلا عن اللهوف، ص ٩٥.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - النظافة في كل الأحوال، وحتى أبواب الموت والشهادة مطلب أخلاقي يقتضيه الإيمان بالله.
٢ - عدم المبالاة بالموت إذا كان اليقين بالله والحق والجنة.
E / في الوفاء وتفقد الأحوال
الوفاء، واجب أخلاقي تتأسس عليه العلاقات الوثيقة بين الناس، يكفي أن تعرف قيمة الوفاء إذا تصورتهم لا يفون بوعودهم وعهودهم!
فالوفاء من القيم البنيوية في الأخلاق، وقد كان أنصار الحسين (عليه السلام) على درجات عالية
منه.
فهذا مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين حينما صرع في معركة الطف مشى إليه الحسين (عليه السلام) فإذا به رمق فقال: " رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة * (فمنهم من
قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) * ". (١)
ودنا منه حبيب بن مظاهر - وكانا زملاء ومن حفاظ القرآن - فقال - له حبيب -: عز علي
مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة.
فقال له مسلم - بصوت ضعيف -: بشرك الله بخير.
فقال له حبيب: لولا أني أعلم أني في أثرك، لاحق بك من ساعتي هذه، لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين.
قال - مسلم -: بل أنا أوصيك بهذا، رحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين - أن تموت
دونه.
قال: أفعل ورب الكعبة.
فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم (رحمهم الله).
وصاحت جارية له فقالت: يا بن عوسجتاه! يا سيداه! (٢)

---

١ - سورة الأحزاب: الآية ٢٣.
٢ - تأريخ الطبري ٣: ٣٢٤، الارشاد: ٢٣٧ إلى قوله: بكل ما أهمك، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي
٢: ١٥، اللهوف: ٤٦، الكامل في التأريخ ٢: ٥٦٥، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠، العوالم ١٧: ٢٦٤، كنز الدقائق ٨: ١٣٨،
وقعة الطف: ٢٢٥.

هذه المواقف الأخلاقية هي الروح في القضية الحسينية، وقد نفخها الحسين (عليه السلام) في
سلوك أصحابه فصاروا مخلدين بها وصارت مخلدة بهم.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - ما تنفقه من أخلاق حسنة يعود إليك أثره الحسن يوما.
٢ - عيادة المريض والمبتلى والمصاب وتفقد أحوالهم مبدأ أخلاقي يجب تنفيذه رغم الصعوبات المحيطة.
E / في الوفاء والإيثار
يوم عاشوراء.. خرج عمرو بن قرظة الأنصاري فاستأذن الحسين (عليه السلام)، فأذن له، فقاتل
قتال المشتاقين إلى الجزاء، وبالغ في خدمة سلطان السماء، حتى قتل جمعا كثيرا من حزب ابن زياد وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي إلى الحسين (عليه السلام) سهم إلا اتقاه بيده،
ولا سيف إلا تلقاه بمهجته، فلم يكن يصل إلى الحسين سوء، حتى أثخن بالجراح، فالتفت إلى الحسين (عليه السلام) وقال: يا بن رسول الله أوفيت؟!
قال: " نعم أنت أمامي في الجنة، فاقرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عني السلام، وأعلمه أني في
الأثر "، فقاتل حتى قتل (رضوان الله عليه). (١)
ومن العجائب للعبرة والعظة أن لهذا الوفي الصامد أخ جاهل اسمه علي بن قرظة كان مع عمر بن سعد، فنادى حين استشهد أخوه: يا حسين! يا كذاب ابن الكذاب! أضللت أخي
وغررته حتى قتلته؟!
قال الحسين (عليه السلام) " إن الله لم يضل أخاك ولكنه هدى أخاك وأضلك "!
قال: قتلني الله إن لم أقتلك، أو أموت دونك! وحمل عليه - أي على الإمام (عليه السلام) -،
فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه، فحمله أصحابه فاستنقذوه. (٢)
وهذا هو الفرق بين أخ يذهب إلى الجنة، وأخ يذهب إلى النار؟ ذاك إلى الجنة بوفائه

---

١ - اللهوف: ٤٦، مثير الأحزان: ٦١ وفيه عمر بن أبي قرظة، بحار الأنوار ٤٥: ٢٢، العوالم ١٧: ٢٦٥، أعيان
الشيعة ١: ٦٠٥ وفي الثلاثة الأخيرة عمرو بن قرظة.
٢ - تأريخ الطبري ٣: ٣٢٤، الكامل في التأريخ ٢: ٥٦٥، وقعة الطف: ٢٢٣.

للحق والفضيلة، وهذا إلى النار بوفائه للباطل والجاهلية والعصبية.
وذلك هو الأخلاق الحسينية التي مال إليها الأول ومال عليها الثاني. والآن أنت مع هذا أم مع ذاك؟ قرر أن تكون من الأوفياء الحسينيين وأصحاب الإيثار فان الجنة مقرهم الدائم،
وأما الذين وفوا ليزيد وابن زياد وعمر بن سعد فهم جميعا في النار خالدون.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إعلم أن الحياة تشابهات وتكرار للتشابه فاستبصر الطريق قبل السحيق.
٢ - الحب أقوى ترس للوفاء، حيث يوصل المحب إلى درجة التضحية الواعية والفداء.
٣ - لابد في الشكر من اختيار أروع كلمات التقدير والثناء.
٤ - عند مجابهة الإيمان والجاهلية يجب على المؤمن أن يقف مع الإيمان حتى لو وقف
أخوه مع الجاهلية.
E / في كلمة الشكر للمواسين
جاء إلى الإمام الحسين (عليه السلام) عبد الله وعبد الرحمان الغفاريان، فقالا: السلام عليك يا أبا
عبد الله، إنا أحببنا أن نقتل بين يديك، وندفع عنك.
فقال (عليه السلام): " مرحبا بكما ادنوا مني " فدنوا منه وهما يبكيان، فقال لهما: " يا ابني أخي
ما يبكيكما؟ فوالله إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري العين ".
فقالا: جعلنا الله فداك، لا والله ما نبكي على أنفسنا ولكن نبكي عليك، نراك قد أحيط بك ولا نقدر على أن نمنع عنك.
فقال (عليه السلام): " جزاكما الله يا ابني أخي بوجد كما من ذلك ومواساتكما إياي بأنفسكما
أحسن جزاء المتقين ".
ثم استقدما وقالا: السلام عليك يا ابن رسول الله.
فقال الحسين (عليه السلام): " وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته "، فخرجا فقاتلا قتالا
شديدا حتى قتلا. (١)

----
١ - مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، ٢: ٢٣، بحار الأنوار ٤٥: ٢٩، العوالم ١٧: ٢٧٣.

في هذا اللقاء تقرأ كيف تجسدت أخلاق المودة لذي القربى والمواساة والتضحية وأدب الوداع والشكر. وهذه كلها من المفردات الأخلاقية التي تهتف بالمسلمين دائما أن
هلموا إلى إحياء القيم الإسلامية بينكم.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - من الأدب أن تشكر من يقف معك ويواسيك في معاناتك وقضيتك.
٢ - لابد في الشكر أن تستخدم أجمل الكلمات وتربطها بالقيم الإلهية.
٣ - الإحسان السابق يثمر في ساعة الأزمة، وهكذا فلنستيقن بوعد الله الذي لا يضيع أجر المحسنين.
E / في الحب والتواضع والتعاضد
تقدم جون مولى أبي ذر، وكان عبدا أسود البشرة، فقال له الحسين (عليه السلام): " أنت في إذن
مني، فإنما تبعتنا طلبا للعافية فلا تبتل بطريقنا ".
فقال: يا ابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، والله إن ريحي لمنتن، وإن حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفس علي بالجنة، فتطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم. (١)
ثم برز إلى القتال وهو ينشد ويقول:
كيف يرى الكفار ضرب الأسود * بالسيف ضربا عن بني محمد
أذب عنهم باللسان واليد * أرجو به الجنة يوم المورد
ثم قاتل حتى قتل، فوقف عليه الحسين (عليه السلام) - وهذا من أعظم مواقف التواضع الذي
يصدر من قائد كالحسين تجاه فرد قد لا يعطيه الآخرون قيمة لأنه عبد أسود غريب في المجتمع. ولكن الحسين (عليه السلام) جاء على جنازته ورفع يديه له بالدعاء - قائلا: " اللهم بيض

---

١ - اللهوف: ٤٧، مثير الأحزان: ٦٣، تسلية المجالس وزينة المجالس: ٤٥٣، بحار الأنوار ٤٥: ٢٢، العوالم
١٧: ٢٦٥، أعيان الشيعة ١: ٦٠٥.

وجهه، وطيب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرف بينه وبين محمد وآل محمد " وليس هذا الموقف الأخلاقي العظيم للحسين (عليه السلام) الا بيان لمكانة الانسان وإدانة لكل النعرات
العنصرية.
روي عن الباقر عن أبيه علي بن الحسين (عليهم السلام): ان الناس كانوا يحضرون المعركة
ويدفنون القتلى فوجدوا جون - العبد - بعد عشرة أيام يفوح منه رائحة المسك (رضوان
الله عليه). (١)
أجل كيف يصل العبد الأسود الباحث عن لقمة عيش إلى هذه الدرجة الرفيعة؟
الجواب يكمن في جاذبية أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) وسلوكه التربوي الرفيع الذي كان
يمارسه مع الناس بكل طبقاتهم وفئاتهم.
وللمزيد من التمعن في مثل هذه المواقف المتبادلة بين الحسين (عليه السلام) وعبيد حضروا
على مأدبة الجهاد بين يديه إقرأ الموقف التالي أيضا: فقد كتب التأريخ انه خرج غلام تركي
مبارز، قارئ للقرآن عارف بالعربية، وهو من موالي الحسين (عليه السلام) فقتل جماعة، فتحاشوه
فصرعوه، فجاءه الحسين (عليه السلام) فبكى ووضع خده على خده، ففتح - العبد - عينيه ورآه
فتبسم، ثم صار إلى ربه، (٢).
لا أدري بأي كلمة يمكن وصف الحسين (عليه السلام) وأخلاقه الفريدة؟ أين الحكام والشعوب
من هذه الأخلاق؟ يا ليتهم ركنوا إليها ليستلذوا من رحيقها المختوم.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لا فرق في تطبيق الأخلاق مع العبيد والخدم، أو مع السادة وذوي المكانة في المجتمع، لأن الأخلاق لغة إنسانية عامة.
٢ - الإمام المعصوم قادر بإذن الله على الإعجاز لتكريس القيم الإلهية في أوساط الناس.
٣ - إظهار المحبة والعطف مع الأنصار الأوفياء مسألة أخلاقية تجب مراعاتها.

---

١ – تسلية المجالس وزينة المجالس: ٤٥٣، بحار الأنوار ٤٥: ٢٢، العوالم ١٧: ٢٦٥، أعيان الشيعة ١: ٦٠٥.

٢ – مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٤، بحار الأنوار ٤٥: ٣٠، العوالم ١٧: ٢٧٣، أعيان الشيعة ١: ٦٠٧ وفيه كان اسمه أسلم.

E / في الرعاية والعطاء والشجاعة
كان الحسين (عليه السلام) يراعي نفسية الآخرين ويحاول فتح طريق لهم مباحا للخروج من
الصعوبات التي لاقوها بسبب وقوفهم معه (عليه السلام) وهذا الحس الجميل يكشف عن الجانب
الانساني العميق في أخلاقه (عليه السلام).
فقد كتب مؤرخو عاشوراء الدامية: ثم خرج شاب (١) قتل أبوه في المعركة وكانت امه
عنده، فقالت: يا بني اخرج فقاتل بين يدي ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى تقتل، فقال: أفعل.
فخرج، فقال الحسين (عليه السلام): " هذا شاب قتل أبوه ولعل امه تكره خروجه ".
فقال الشاب: أمي أمرتني يا بن رسول الله، فخرج يقاتل وهو يرتجز ويقول:
أميري حسين ونعم الأمير * سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والداه * فهل تعلمون له من نظير؟
ثم قاتل فقتل، وحز رأسه ورمي به إلى عسكر الحسين (عليه السلام)، فأخذت امه رأسه وقالت
له: أحسنت يا بني ويا قرة عيني وسرور قلبي، ثم رمت برأس ابنها رجلا - من العدو - فقتلته، وأخذت عمود خيمة وحملت على القوم وهي تقول:
أنا عجوز في النساء ضعيفة * بالية خاوية نحيفة
أضربكم بضربة عنيفة * دون بني فاطمة الشريفة
فضربت رجلين فقتلتهما، فأمر الحسين (عليه السلام) بصرفها ودعا لها. (٢)
لا يمكن تفسير هذه البطولات والتضحيات إلا عبر مبادئ أخلاقية وقيم روحية
ومعنويات متصلة بالحسين (عليه السلام) وقد كان يعيشها الذين أحبوا الحسين (عليه السلام) بكل ما يملكون
من شئ في وجودهم. وهكذا تفعل الأخلاق الكريمة والطهارة النفسية بصاحبها..
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الإحساس بشعور الآخرين جانب من الجوانب الأخلاقية التي يجب على من يريد الأخلاق أن يرعاه.

____
١ - هو عمرو بن جنادة الأنصاري ابن إحدى عشرة سنة / مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٣١٤.
٢ - مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢١، بحار الأنوار ٤٥: ٢٧، العوالم ١٧: ٢٧١، أعيان الشيعة ١:
٦٠٦.

٢ - عندما تراعي أحاسيس الآخرين فإنك في الحقيقة تثير فيهم نزعة الحب وتشدهم إلى هدفك على نحو الذوبان والتفاني.
E / في أدب الشكر على الوفاء
أنس بن الحارث الكاهلي من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) وقد شهد معه بدرا وحنينا، وكان قد
سمع النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: " إن ابني هذا - يعني الحسين - يقتل بأرض كربلاء، فمن شهد ذلك
منكم فلينصره ".
وهذا الصحابي الجليل لازم الحسين وصحبه من مكة، وكان شيخا كبيرا طاعنا في السن، وقد استأذن من الإمام أن يجاهد بين يديه فأذن له، وشد وسطه بعمامته نظرا لتقوس
ظهره كما رفع حاجبيه بالعصابة، فلما نظر إليه الإمام الحسين (عليه السلام) أرخى عينيه بالبكاء،
وقال له: " شكر الله لك يا شيخ ".
وقاتل - على كبر سنه - قتال الأبطال، فقد روي أنه قتل ثمانية عشر رجلا، ثم استشهد
وسمت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا (١).
الحسين (عليه السلام) يشكر وفاء شيخ صاحب جده في الدعوة إلى الاسلام. إن هذا الأدب مفردة
من مفردات الأخلاق الاسلامية التي جاء بها النبي (صلى الله عليه وآله) وجاء سبطه الحسين (عليه السلام) ليدافع عنها
ولو بسفك دمه مظلوما.
وكان الإمام يبعث في نفوس أصحابه روح العزم والصمود، ويوصيهم بالصبر على ملاقاة الأهوال وقد ألهبت كلماته (عليه السلام) عواطفهم فخاضوا الموت في استبسال عاصف
ليصلوا إلى مراتبهم في الفردوس الأعلى.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - أشكر من يقدم لك خدمة حتى ولو كانت من واجباته إتجاهك.
٢ - وقر كبار السن لتحصل على توقير الآخرين لك عند كبر سنك.

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٢ ص ٢٣٤ - بتصرف -.

E / في الجمع بين العاطفة والعقل
كتب التأريخ: إن أول من خرج من أهل بيته علي بن الحسين الأكبر، وكان علي من أصبح الناس وجها، وأحسنهم خلقا، وكان عمره تسع عشرة سنة - حسب اختلاف الروايات - أو ثماني عشرة سنة، أو خمسا وعشرين سنة، وهو أول قتيل يوم كربلاء من آل
أبي طالب، فاستأذن أباه - الحسين - بالقتال فأذن له ثم نظر إليه نظر آيس منه وأرخى عينيه
فبكى. (١)
فلما رآه الحسين (عليه السلام) رفع شيبته نحو السماء وقال: " اللهم اشهد على هؤلاء القوم، فقد
برز إليهم غلام أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك محمد (٢) (صلى الله عليه وآله)، كنا إذا اشتقنا إلى
وجه رسولك نظرنا إلى وجهه، اللهم فامنعهم بركات الأرض، وإن منعتهم ففرقهم تفريقا،
ومزقهم تمزيقا، واجعلهم طرائق قددا، ولا ترضي الولاة عنهم أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا
ثم عدوا علينا يقاتلونا ويقتلونا ".
ثم صاح الحسين (عليه السلام) بعمر بن سعد: " مالك؟ قطع الله رحمك! ولا بارك لك في أمرك،
وسلط عليك من يذبحك على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) "
ثم رفع الحسين (عليه السلام) صوته وقرأ: (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران
على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (٣).
ثم حمل علي بن الحسين، وهو يقول:
أنا علي بن الحسين بن علي * نحن وبيت الله أولى بالنبي
والله لا يحكم فينا ابن الدعي * أطعنكم بالرمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف حتى يلتوي * ضرب غلام هاشمي علوي
فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الكوفة لكثرة من قتل منهم،... روي أنه على عطشه قتل مائة وعشرين رجلا، ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة فقال: يا أبت! العطش قد
قتلني وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة من ماء سبيل، أتقوى بها على الأعداء؟

----

١ - أعيان الشيعة ١: ٦٠٧.

٢ - وفي مثير الأحزان: ٦٨، يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ - سورة آل عمران: الآية ٣٣ - ٣٤.

فبكى الحسين (عليه السلام) وقال: " يا بني عز على محمد وعلى علي وعلى أبيك، أن تدعوهم
فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك، يا بني هات لسانك "، فأخذ لسانه فمصه ودفع
إليه خاتمه وقال له: " خذ هذا الخاتم في فيك وارجع إلى قتال عدوك، فإني أرجو أن لا تمسي حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبدا ". (١)
لقد امتزج في علاقة الإمام (عليه السلام) بفلذة كبده علي الأكبر (عليه السلام) كل المطلوب من مبادئ
الأخلاق التي أقرها الدين على الابن تجاه أبيه وعلى الأب تجاه ابنه، إنها مبادئ النصرة والطاعة والذوبان والحب والحنان والدعاء والعطف والنظرات المشدودة بينهما حين الوداع الأخير، ذلك هو الجمع بين العاطفة والعقل.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - العواطف العائلية مقدسة ولكنها لا تقدس أكثر من القيم الأساسية في الإسلام.
٢ - المبادئ الأخلاقية متدرجة وذات أولويات.
٣ - في سبيل الحق الأعظم يرخص كل غال وثمين.
٤ - الحديث عند المصيبة لابد أن يكون في أجمل كلمات إيمانية، وهذا يتحقق من خلال مطالعات مسبقة في وعي العقيدة.
E / في الشجاعة والفداء
إنه القاسم بن الحسن (عليه السلام) وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم، فلما نظر إليه عمه الحسين (عليه السلام) إعتنقه وجعلا يبكيان حتى غشي عليهما، ثم استأذن الغلام للحرب فأبى
الحسين (عليه السلام) أن يأذن له، فلم يزل الغلام يقبل يديه ورجليه ويسأله الإذن حتى أذن له،
فخرج - نحو الجهاد - ودموعه على خديه وهو يتذكر عظمة أخلاق عمه وحنانه الأبوي
ورعايته له منذ قتل أبوه الحسين (عليه السلام) وتيتم، وهو يقول:
إن تنكروني فأنا فرع الحسن * سبط النبي المصطفى والمؤتمن

---

١ - مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٠، الفتوح ٥: ١٣٠، بحار الأنوار ٤٥: ٤٢، العوالم ١٧: ٢٨٥،
أعيان الشيعة ١: ٦٠٧ وليس فيه من قوله: " مالك " إلى " رسول الله " مقتل المقرم: ٣٢٥ مع اختلاف الألفاظ.

هذا حسين كالأسير المرتهن * بين أناس لأسقوا صوب المزن
وحمل وكأن وجهه فلقة القمر، وقاتل فقتل على صغر سنه خمسة وثلاثين رجلا - ممن وجب عليهم عذاب الله -.
قال حميد بن مسلم - وكان كاتب الوقائع - كنت في عسكر ابن سعد، فكنت أنظر إلى
الغلام وعليه قميص وإزار ونعلان، قد انقطع شسع إحداهما، ما أنسى أنه كان شسع اليسرى، فقال: عمرو بن سعد الأزدي: والله لأشدن عليه.
فقلت: سبحان الله! ما تريد بذلك؟ فالله لو ضربني ما بسطت له يدي، يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه.
قال: والله لأفعلن، فشد عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف فوقع الغلام لوجهه، وصاح: يا عماه.
قال: فأنقض عليه الحسين كالصقر، وتخلل الصفوف، وشد شدة الليث الحرب، فضرب عمرا بالسيف، فاتقاه بيده فأطنها من المرفق، فصاح، ثم تنحى عنه، فحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوه، فاستقبلته بصدورها، ووطأته بحوافرها، فمات، وانجلت الغبرة فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام، وهو يفحص برجليه، والحسين يقول: " عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أويجيبك فلا يعينك، أويعينك فلا يغني عنك، بعدا
لقوم قتلوك، الويل لقاتلك ". (١)
في هذا الموقف الحسيني كما تبينه كلماته (عليه السلام) فقد اجتمع العقل والعاطفة مرة أخرى،
فأفرزا للتاريخ معنى البسالة والحنان والتماسك العائلي في أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام)
وتأتيك مواقف أخرى من هذا التماسك العائلي في ظل الأخلاق والدين لا التعصب الجاهلي الذي لازال بعض العوائل يمارسونه دون النظر إلى مقتضى الأخلاق الدينية. ثم تأمل في عدل الحسين (عليه السلام) وهو في تلك الحالة العسيرة، فقد ضرب عمرو - قاتل القاسم -
بضربة واحدة ثم تركه فلم يقتله حتى مات تحت حوافر خيل أصحابه. هكذا كان يسجل
الحسين (عليه السلام) مواقفه الأخلاقية واحدا تلو آخر وتحيطه الآلام والمصائب الكبيرة.

----

١ - مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٧، بحار الأنوار ٤٥: ٣٥، العوالم ١٧: ٢٧٨، الدمعة الساكبة

٤: ٣١٧.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - الحنان المبذول إلى الإنسان (اليتيم خاصة) يفرز موقف الدفاع والتضحية عند كل رخاء وشدة.
٢ - اليتيم أمانة في رقابنا، واجبنا أن نحافظ عليه بتحسين التربية والتوجيه وزرع القيم الأخلاقية في نفسه.
٣ - العدل في القصاص والانتقام المقدس مسؤولية شرعية ومن ضرورات العدل في الأخلاق.
٤ - تجب رعاية الحدود الشرعية حتى في الظروف الصعبة في الحرب.
E / في السماحة وتقدير الحال
كان الحسين محبوب القلوب المؤمنة كلها، أو تدري لماذا؟ لأنه المثال الكامل للأخلاق الحسنة، والإنسان بفطرته مجذوب إلى هذه الأخلاق حتى ولو كان لم يعمل بها.
فهذا عبد الله بن مسلم بن عقيل جاء يستأذن خاله الحسين (عليه السلام) ليسمح له أن يجاهد بين
يديه، فقال له الحسين (عليه السلام): " أنت في حل من بيعتي حسبك قتل أبيك مسلم خذ بيد أمك
واخرج من هذه المعركة ".
فقال عبد الله: لست والله ممن يؤثر دنياه على آخرته. (١)
فبرز - إلى ساحة المعركة - وهو يقول:
نحن بنو هاشم الكرام * نحمي عن السيد الإمام
نجل علي السيد الضرغام * سبط النبي الملك العلام
فلم يزل يقاتل حتى قتل من الأعداء نيفا وخمسين فارسا، ثم قتل، فلما نظر الحسين إليه قال: " اللهم اقتل قاتل آل عقيل " ثم قال: " احملوا عليهم بارك الله فيكم وبادروا إلى
الجنة التي هي دار الايمان ". (٢)

---

١ - معالي السبطين ١: ٤٠٢، ناسخ التواريخ ٢: ٣١٧. مع تغيير في الألفاظ.
٢ - ينابيع المودة: ٤١٢ معالي السبطين ١: ٤٠٣ وبدل احملوا عليهم الخ: " إنا لله وإنا إليه راجعون ".

* الدروس المستفادة هنا:
١ - تقدير الظروف حكمة أخلاقية.
٢ - التساهل مع الناس في إطار المباحات أمر هام.
E / في المحبة والاحترام والبسالة
كان عون (١) صبيحا مليحا شجاعا، استأذن أخاه الحسين (عليه السلام) فقال له الحسين (عليه السلام):
" كيف تقاتل هذا الجمع الكثير والجم الغفير "؟!
فقال عون: من كان باذلا فيك مهجته لم يبال بالكثرة والقلة.
فبكى الحسين (عليه السلام) وأذن له فحمل عون على القوم وقتل مقتلة عظيمة، فاحتوشه ألفان
من القوم، ففرقهم يمينا وشمالا، وتخلل الصفوف مقبلا إلى الحسين (عليه السلام) وفي رأسه
ووجهه جراحات، فقبله الحسين (عليه السلام) وقال له: " أحسنت، لقد أصبت بجراحات كثيرة
فاصبر هنيئة ".
قال عون: سيدي أردت أن أحظى منك وأتزود من رؤيتك مرة أخرى، ولا ينبغي أن أعرض دونك وقد أجهدني العطش، إئذن لي حتى أرجع وأفديك بروحي.
فأذن له ورجع، وأمر الحسين (عليه السلام) بأن يركبوه جوادا غير الذي كان تحته، فركب وحمل
على القوم، فاعترضه صالح بن سيار، وكان صالح قد شرب خمرا في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأجرى عليه (عون) الحد بأمر أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد كمن حقدا لعون في
قلبه، فانتهز الفرصة، فرآه جريحا ظمآنا، وحمل على عون وشتمه، فأجابه عون وحمل عليه وطعنه برمحه وأورده جهنم. فأقبل إليه أخوه بدر بن سيار فألحقه عون بأخيه، فحمل
خالد بن طلحة بالسيف على عون، وقد كمن اللعين منه فضربه بالسيف، فخر عون صريعا
قائلا: بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقضى نحبه. (٢)
انظر أيها المسلم الحر تقابل الخير والشر، واستيقن لأحقية الحسين (عليه السلام) ومظلوميته.
فهل يبقى أقل شك في أن الحسين (عليه السلام) كان امتدادا لحركة جده في إتمام مكارم الأخلاق،

---

١ – وهو ابن علي (عليه السلام) من أسماء بنت عميس، كما في المصدر المذكور.
٢ – معالي السبطين ١: ٤٢٩، ناسخ التواريخ ٢: ٣٣٩.

وأن عدوه كان امتدادا لحركة الشرك والجاهلية والنفاق؟
إن هذه المواقف تستوقف المتدبر وتدعوه إلى إعادة القراءة في القيم الأخلاقية التي أينعت ثمارها في سلوك الحسين واخوته وأصحابه. إنها التفاني في حب الحسين (عليه السلام)...
أليس لأن الحسين قد تفانا في حب الله؟
روي عن مولانا الصادق (عليه السلام) أنه قال: " سمعت أبي يقول: لما التقى الحسين (عليه السلام) وعمر
بن سعد (لعنه الله) وقامت الحرب، أنزل الله تعالى النصر حتى رفرف على رأس الحسين (عليه السلام)، ثم خير بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله، فاختار لقاء الله ". (١)
فلقاء الحبيب (عند رب العالمين) عند الحسين أفضل من الانتصار الظاهري وركوب السلطة والحصول على المهابة السياسية، فذلك قمة الحب الإلهي والزهد في الدنيا، وعلى قاعدتها يتشيد السلوك الأخلاقي الرفيع.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - القرابة المبنية على الأخلاق الإسلامية، تصنع صلابة المواقف المبدئية.
٢ - التعاون بين الأقارب من ثمرة المسبقات الأخلاقية.
٣ - التلاحم الحقيقي بين العاملين الصالحين يقوم على أساس الحب في الله والبغض في الله، مشروطا بالوعي لموارد الحب والبغض أن تكون لله حقا.
E / في الصبر والإباء وتحمل الظلم
يقول المؤرخون: انه حيل بين الحسين وبين الماء قبل قتله بثلاثة أيام، وكان أعظم ما عاناه الإمام من المحن الشاقة مشاهدة أطفاله وحرائر الرسالة، وهم يعجون من ألم الظمأ
القاتل، فقد كان الأطفال ينادون - في ذلك الحر الشديد -: الماء.. الماء.
ولم يستطع الأطفال مقاومة العطش، وكانوا ينظرون إلى الفرات وهو فياض بمائه، فيزداد صراخهم، وذاب قلب الإمام رحمة وحنانا لذلك المشهد الرهيب، فقد ذبلت شفاه
أطفاله، وذوي عودهم، وجف لبن المراضع، بينما ينعم أولئك الجفاة بالماء، يقول أنور

---

١ - اللهوف: ص ١٠١، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٢

الجندي:
وذئاب الشرور تنعم بالماء * وأهل النبي من غير ماء
يا لظلم الأقدار يظمأ قلب الليث * والليث موثق الأعضاء
وصغار الحسين يبكون في الصحراء * يا رب أين غوث القضاء
ان جميع الشرائع والمذاهب لا تبيح منع الماء عن الأطفال والنساء، وخصوصا
الشريعة الإسلامية، فقد جعلت الناس جميعا شركاء في الماء والكلاء، وسوغت الشرب
من الأنهار المملوكة حتى لو لم يأذن أربابها، وكرهت - الشريعة - أشد الكراهة ذبح
الحيوان الأعجم عطشانا، لكن الجيش الأموي لم يحفل بذلك، واستباح جميع ما
حرمته
الشرائع والأديان.
لقد تنكر أولئك الجفاة لليد البيضاء التي أسداها الإمام الحسين (عليه السلام) على
مقدمة
جيوشهم التي كانت تتألف من ألف فارس بقيادة الحر لإلقاء القبض على الإمام
والحصار
عليه في البيداء، وكان قد بلغ بهم العطش كل مبلغ حتى أشرفوا على الهلاك، وكان
باستطاعته أن يبيدهم عطشا، فأبت مروءته ورحمته أن يعاملهم بالقسوة، فأمر فتيانه وهو
معهم، فسقاهم عن آخرهم، كما أمر بسقي خيولهم وترشيفها على أنه كان في حاجة
إلى
الماء، لأنه في وسط الصحراء اللاهبة، ولم يقدر أولئك الأجلاف هذه النجدة فحرموه
من
الماء وحرموا من كان في كنفه من سيدات أهل البيت وأحفاد النبي (صلى الله عليه
وآله) والأطفال الرضع
والصغار.
انظر أيها المسلم الشريف كم كان الحسين مظلوما صابرا على عزته وإبائه. وقد لا
تصل
بنظرك إلى المستوى المطلوب إلا أن تتأمل في الأخلاق اللئيمة لأولئك الممسوخين من
أعداء الحسين (عليه السلام) الذين كانوا يتباهون ويتفاخرون باستيلائهم على ماء
الفرات وحرمان
ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) منه.
فهذا المهاجر بن أوس التميمي إنبرى صوب الإمام (عليه السلام) رافعا صوته: يا حسين
ألا ترى
إلى الماء يلوح كأنه بطون الحيات، والله لا تذوقه أو تموت!
فرد (عليه السلام): " إني لأرجو أن يوردنيه الله ويحلئكم (١) عنه ".

----

١ - أي يطردكم ويمنعكم عن الماء.

وأقبل عمرو بن الحجاج، وكان ممن كاتب الحسين بالقدوم إلى الكوفة حتى قرب من معسكر الحسين فرفع صوته:
يا حسين هذا الفرات تلغ فيه الكلاب، وتشرب فيه الحمير والخنازير، والله لا تذوق منه جرعة حتى تذوق الحميم في نار جهنم.
وأقبل عبد الله بن حصين الأزدي يشتد كأنه الكلب نحو الإمام فنادى: يا حسين ألا تنظر
إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا!
فرفع الإمام يديه بالدعاء عليه وقال: " اللهم اقتله عطشا، ولا تغفر له أبدا ".
لقد فخر أولئك الأجلاف باحتلالهم لماء الفرات، تقربا لسيدهم ابن مرجانة وإرضاء لعواطفه لينالوا جوائزه وهباته.
أرأيت يا أخي ما هو الفرق بين أخلاق الحسين إمام الكرام، وبين أخلاق الحقراء اللئام؟
وهذا هو ما تذكره الحر بن يزيد الرياحي حينما التحق بمعسكر الإمام (عليه السلام) وتاب على
يده، فلم يتأخر عند الإمام خجلا من موقفه السابق منه، وغضبا على أولئك اللئام، فقد كتب المؤرخون انه خرج إلى جيش ابن سعد فرفع صوته قائلا:
" يا أهل الكوفة لامكم الهبل والعبر إذ دعوتموه، وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجه إلى بلاد الله العريضة حتى يأمن وأهل بيته، وأصبح كالأسير في
أيديكم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وملأتموه - أي منعتموه - ونساءه وصبيته وصحبه
عن ماء الفرات الجاري الذي تشربه اليهود والنصارى والمجوس، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمدا في ذريته، لا سقاكم الله
يوم الظمأ " (١).
لقد صبر الحسين ومن معه حتى الأطفال والبراعم الأبرياء، تحملوا من الظلم ما لم يستطع تحمله غيرهم، وكان صبرهم من أجل إحياء القيم الأخلاقية بين الناس.
اللهم علمنا جميل الصبر وأعطنا عظيم الأجر بعد أن توفقنا لأخلاق الحسين وقيم الذين كانوا معه.

----

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ١٣٦ - ١٤٠ (مع تغيير وإضافات).

* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن المنسلخ عن الدين الحق والانسانية الفطرية ليس إلا الممسوخ المنبوذ، فالحذر من المقدمات التي تؤدي بالانسان إلى الحالة الممسوخية.
٢ - الماء حق مشاع بين البشر، إن من يستخدمه كسلاح لتركيع مناوئه لا يكون إلا مجرما
بحق الانسانية العامة، فلابد من نشر الوعي الأخلاقي لتبقى قيمة الماء فوق الصراعات.
٣ - بذائة اللسان نابعة من فقد الايمان بالله وبقيمة الانسان التي أكدت عليها كل الأديان.
٤ - سلاح الحصار يتعطل مفعوله عند الصبر من أجل الحق، إذ يهزم العدو من داخله ويجعله صريع الضمير.
E / في أدب الكلام وتشجيع المتكلم
ذكر مؤرخو ملحمة عاشوراء انه: انتصف النهار وجاء ميقات صلاة الظهر فوقف
الفدائي المجاهد أبو ثمامة الصائدي، فجعل يقلب وجهه في السماء كأنه ينتظر أعز شئ
عنده وهي الصلاة، فلما رأى الشمس قد زالت التفت إلى الإمام قائلا:
نفسي لنفسك الفداء، أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، والله لا تقتل حتى اقتل دونك،
وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها...
أنظر إلى الأخلاق الايمانية والأدب الرفيع، هكذا كان الحسين (عليه السلام) قد ربى أصحابه. لقد
كان الموت منه على قاب قوسين أو أدنى، ولكنه لم يغفل عن ذكر ربه، ولا عن أداء فريضة
دينية، وجميع أصحاب الإمام كانوا على هذا المستوى إيمانا بالله وتفانيا في أداء فرائضه.
ورفع الإمام رأسه إلى السماء فجعل يتأمل في الوقت فرأى أنه قد حان أداء الفريضة، فقال لأبي ثمامة:
" ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها.. ".
وأمر الإمام أصحابه أن يطلبوا من معسكر ابن زياد أن يكفوا عنهم القتال ليصلوا لربهم،
فسألوهم ذلك، فانبرى الرجس الخبيث واسمه الحصين بن نمير قائلا: إنها لا تقبل.
فقال له حبيب بن مظاهر - وهو الصحابي الجليل حافظ القرآن كله -: " زعمت أن لا
تقبل الصلاة من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقبل منك يا حمار.. ".

وحمل عليه الحصين إذ أخذته العزة بالإثم، فسارع إليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبت به الفرس فسقط عنها، وبادر إليه أصحابه فاستنقذوه واستمر القتال، وقبل أن يؤدي الإمام الصلاة قتل جماعة من حماة أصحابه ثم بعد ذلك أدى الفريضة (١).

هكذا كان أصحاب الإمام (عليه السلام) قد أخذوا من إمامهم حب الصلاة والأدب والمنطق
والعزة والشجاعة وكذلك كان الحسين (عليه السلام) يتعامل معهم، لأن الأخلاق تبادل قيم فيها
رضي الله سبحانه.

* الدروس المستفادة هنا:

١ - إستمع إلى كلام الصديق وليكن في جوابك تشجيعا له ودفعا إلى الخير.

٢ - إن الباطل يستفزه الحق ويدمغه، أما الحق فلا يهتز أبدا.

٣ - الصلاة عمود الدين لن تسقط في كل الأحوال، ولكنها تخفف لتصل إلى حد الواجبات منها كما في حال الحرب أو الزلزال أو الخوف من شئ خطير.

E / في البشارة والوفاء والشكر

قام الحسين (عليه السلام) إلى الصلاة يوم العاشر من المحرم، فوقف أمامه سعيد بن عبد الله
يحفظه، فاستقبل السهام بجسمه، حتى إذا أثخن بالجراح سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهم العنهم لعن عاد وثمود، وأبلغ نبيك مني السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإني أردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك (صلى الله عليه وآله) (٢).

والتفت إلى الحسين قائلا: أوفيت يا ابن رسول الله؟

قال: " نعم، أنت أمامي في الجنة " (٣). وقضى نحبه (٤).

إن قراءة هذه الكلمات العاجزة عن تصوير عظمة هذا الموقف الأخلاقي العجيب لواحد من أصحاب الحسين الأوفياء عملية سهلة، لأن الحروف تخرج من مخارج الألفاظ

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٢١٨ بتصرف.

٢ - مقتل العوالم / للشيخ عبد الله البحراني: ص ٨٨.

٣ - ذخيرة الدارين: ١٧٨.

٤ - وتأتي في عنوان الوفاء أن هذه القصة وردت في عمرو بن قرظة الأنصاري.

لتمر تحت مجهر العين ببساطة، إلا أن المعاني تبقى في علوها دون أن تدركها الكلمات
والأفكار السطحية.
ونعم ما قاله الشاعر في وصفهم:
جادوا بأنفسهم من دون سيدهم * والجود بالنفس أقصى غاية الجود
وهذه طبيعة الأخلاقية العلوية والمفاهيم المعنوية وكفاها لنا جذبا وانشدادا.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الصلاة إذا كانت لله فإنها تقطع المصلي عمن سواه، وبذلك يتترس بترس الحب الذي لا يشعر معه غير الله والقيم المتصلة بالله. وهذه حالة من صنع الايمان وحسن الاعتقاد وكثرة التفكر في الحق والخلق والخالق.
٢ - الوفاء والفداء توأمان في مدرسة الأخلاق الحسينية.
٣ - أجمل الكلمات لابد من اختيارها في أصعب الحالات لتكون البلسم على الجرح.
E / في التصرف مع النادم التائب
إن أخلاق الحسين (عليه السلام) هي من أخلاق الله تبارك وتعالى، وأخلاق الله فيها الصبر على
الناس، والرفق بهم والرحمة بحالهم، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلتهم بالتي هي أحسن، حتى يتعلموا ما جهلوه، ويفيقوا من سكرة الجهل وحب الدنيا،
فيتحرك فيهم عرق الغيرة على الدين والأخلاق، هكذا كان الحسين مع الذين جاؤوا لقتله
وإذلاله كما كانوا يهوون.
فيوم جعجع به الحر بن يزيد الرياحي في ألف فارس ليحبسه عن الرجوع، كان لموقف الإمام الحسين (عليه السلام) معهم أثر كبير في نفسية الحر، وملزما له أن يتبع الحق ويهتدي
إلى أهله فما كان ليرد إلا معاند مكابر متصلف، أما طلاب الحقيقة - والحر أحدهم - فقد
استقرت على الحق ضمائرهم فبادروا إلى التوبة، ونقلوا رحالهم إلى معسكر الحسين (عليه السلام)
يقاتلون دونه، فهذا الحر بن يزيد الرياحي، أقبل على عمر بن سعد وقال له: أمقاتل أنت هذا الرجل - أي الإمام الحسين -؟

قال عمر: أي والله قتالا أيسره أن تسقط فيه الرؤوس، وتطيح الأيدي.
فقال الحر: مالكم في ما عرضه عليكم من الخصال؟
فقال عمر: لو كان الأمر إلي لقبلت ولكن أميرك أبى ذلك.
فتركه الحر ووقف مع الناس، وكان إلى جنبه قرة بن قيس فقال لقرة: هل سقيت فرسك اليوم؟
قال: لا.
قال: فهل تريد أن تسقيه؟
فظن قرة من ذلك أنه يريد الاعتزال، ويكره أن يشاهده، فتركه، فأخذ الحر يدنو من الحسين (عليه السلام) قليلا، فقال له المهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟ فسكت الحر وأخذته
الرعدة، فارتاب المهاجر من هذا الحال، وقال له: لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أراه منك؟!
فقال الحر: إني أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئا ولو حرقت. ثم ضرب جواده نحو الحسين (عليه السلام) (١)، منكسا رمحه، قالبا ترسه، وقد طأطأ
برأسه حياء من آل الرسول بما أتى إليهم، وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا
كلأ، رافعا صوته:
اللهم إليك أنيب، فتب علي، فقد أرعبت قلوب أوليائك، وأولاد نبيك. يا أبا عبد الله! إني تائب، فهل لي من توبة؟
فقال الحسين (عليه السلام) - وهو العفو -: " نعم، يتوب الله عليك (٢) ". فسره قوله، وتيقن
الحياة الأبدية والنعيم الدائم، ووضح له قول الهاتف لما خرج من الكوفة، فحدث الحسين (عليه السلام) بحديث قال فيه: لما خرجت من الكوفة نوديت: " أبشر يا حر بالجنة "،
فقلت: ويل للحر يبشر بالجنة وهو يسير إلى حرب ابن بنت رسول الله! (٣)
فقال له الحسين (عليه السلام): " لقد أصبت خيرا وأجرا ".
ولم يكتف الحر التائب بهذا أيضا حتى نزل إلى ساحة المعركة يدافع عن الإمام الحق

---

١ - تاريخ الطبري ٦: ٢٤٤.
٢ - اللهوف: ٥٨. أمالي الصدوق: ٩٧. روضة الواعظين: ١٥٩.
٣ - أمالي الصدوق: ٩٣، المجلس ٣٠.

أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، فقتل من أعداء الله نيفا وأربعين، ثم شدت عليه الرجالة غدرا
فصرعته، فأبنه الحسين (عليه السلام)، وحزن عليه ووصف قتله بأجمل كلمة يستحقها فقال: " قتلة
مثل قتلة النبيين وآل النبيين ". ثم التفت إلى الحر - وكان به رمق - فقال له - وهو يمسح الدم
عنه -: " أنت الحر كما سمتك أمك، وأنت الحر في الدنيا والآخرة ". (١)
ما أروع الأحرار عندما يقلدهم الحسين وسام الحرية الإلهية للعروج بهم على بساط الحرية فوق سماء الأجيال كلها حتى الوصول إلى أحضان الحور العين في رياض الجنة الباقية، وتكفي الحسين هداية الحر إلى حقيقة الحرية حتى ولو كان له موقف سئ من قبل، ان الحسين مثال رحمة الله التي وسعت المذنبين التائبين، أليس الله يحب التوابين ويحب المتطهرين؟
هذا وفي أصول الكافي عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: سمعته
يقول: " إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي أين أهل الفضل، قال (عليه السلام): فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون:
وما كان فضلكم فيقولون: كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا، قال
فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة ".
قال الشاعر:
لذة العفو إن نظرت بعين العدل * أشفى من لذة الانتقام
هذه تكسب المحامد والأجر * وهذه تجئ بالآثام
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لما يأتيك نادم قد سبقت منه الإساءة إليك إقبل اعتذاره قربة إلى الله مهما كانت إساءته كبيرة.
٢ - إن الحقد لا محل له في قلب المؤمن. فلا تحقد حتى على أعدائك.
٣ - التواصل ضرورة أخلاقية بين المؤمنين.

----
١ - مقتل الحسين عليه السلام / للخوارزمي ٢: ١١١.

E / في أجمل الصبر عند أصعب المصائب
أي صبر كان صبر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)؟!!
كيف استطاع أن يتحمل كوارث الطغاة والحفاة المتوحشين؟!
دون أي شك، إنه صبر تعجز عنه الكائنات، وتميد من هوله الجبال، وكان من أفجع وأقسى ما نكب به رزيته بولده عبد الله الرضيع، فقد كان كالبدر في بهائه، فأخذه وجعل
يوسعه تقبيلا ويودعه الوداع الأخير، وقد رآه مغمى عليه لشدة العطش، وقد غارت عيناه
وذبلت شفتاه، فحمله إلى القوم ليستدر عواطفهم لعلهم يسقوه جرعة من الماء، وعرضه عليهم وهو يظلل له بردائه من حرارة الشمس، وطلب منهم أن يسعفوه بقليل من الماء، فلم ترق قلوب أولئك الممسوخين، وانبرى الباغي اللئيم حرملة بن كاهل فسدد له سهما،
وجعل يضحك ضحكة الدناة وهو يقول مفتخرا أمام اللئام من أصحابه: " خذ هذا فاسقه ".
واخترق السهم - يا لله - رقبة الطفل الرضيع وهو على يد والده الحسين (عليه السلام)، ولما أحس
الطفل بحرارة السهم أخرج يديه من القماط، وجعل يرفرف على صدر أبيه كالطير المذبوح، وانحنى الطفل رافعا رأسه إلى السماء فمات على ذراع أبيه...
إنه منظر تتصدع من هوله القلوب، وتلجم الألسن.. ورفع الإمام يديه وكانتا مملوئتين من ذلك الدم الطاهر، فرمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة واحدة إلى الأرض - حسبما يقول الإمام الباقر (عليه السلام) - وأخذ يناجي ربه قائلا: " هون ما نزل بي انه بعين الله
تعالى.. اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو
خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة في الآجل، اللهم: أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد (صلى الله عليه وآله) ".
ونزل الإمام عن جواده، وحفر لطفله بجفن سيفه حفرة، ودفنه مرملا بدمائه الزكية، وقيل إنه وضعه مع القتلى من أهل بيته.
لك الله يا أبا عبد الله على هذه الكوارث التي لم يمتحن ببعضها أي نبي من أنبياء الله، ولم
تجر على أي مصلح في الأرض (١).

---

١ - المصدر / ج ٣ ص ٢٧٥ - بتصرف -.

* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن كنت على حق فلا تركع للباطل مهما أسرف أهله في ظلمك.
٢ - عند إشتداد المصائب أربط قلبك بالله ولسانك بذكره والدعاء إليه.
٣ - إذا كنت على يقين بصحة طريقك إلى الله فلا تهتم بالمصائب مهما كانت حارقة للقلب وكبيرة عليك.
E / في الشجاعة والشرف والغيرة
كتب المؤرخون: وألح العطش على الإمام، وأضر به إلى حد بعيد، فحمل على الفرات، وكان الموكلون بحراسته فيما يقول بعض المؤرخين أربعة آلاف، فانهزموا من بين يديه، واستولى الامام على الماء فغرف منه غرفة ليروي ظمأه القاتل فناداه خبيث من
القوم: أتلتذ بالماء؟!! وقد هتكت حرمك.
ورمى أبي الضيم الماء من يده، وآثر كرامة عائلته على عطشه وأسرع إلى الخيمة فإذا بها سالمة فعلم أنها مكيدة.
يقول ابن حجر - من علماء السنة -: ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم
يقدروا عليه، إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول (١).
وفي رأيي أن الإمام (عليه السلام) لم يكن أساسا يريد شرب الماء، بل كان يريد إعطاء درس
لأولئك الجناة وللتاريخ في معاني الغيرة والوفاء والتضامن ونبذ الأنانية. وهذه من أهم القيم الأخلاقية في مدرسة الحسين (عليه السلام) وكيف لا وهو لما توسط معسكر الأعداء وجعل
يقاتلهم أشد القتال كان يرتجز هاتفا:
أنا الحسين بن علي * آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي * أمضي على دين النبي (٢)
وروى ابن حجر ان الإمام الحسين (عليه السلام) كان يقاتل وينشد هذه الأبيات:
أنا ابن علي الحر من آل هاشم * كفاني بهذا مفخرا حين أفخر

----
١ - الصواعق المحرقة / ص ١١٨.
٢ - مناقب / ج ٤ ص ٢٢٣ - لابن شهرآشوب.

وجدي رسول الله أكرم من مشى * ونحن سراج الله في الناس يزهر
وفاطمة أمي سلالة أحمد * وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقا * وفينا الهدى والوحي والخير يذكر (١)
وعجز الحقراء والجبناء عن مواجهة هذه الشجاعة الحسينية الفريدة من نوعها
فهجموا على خيمه ليسلبوا الحريم والأطفال فصاح بهم الحسين الأبي: " يا شيعة آل أبي
سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم
وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا كما تزعمون.. ".
هكذا لقد جردهم الإمام بهذه الكلمات من الإطار الإسلامي، وأضافهم إلى آل أبي
سفيان ذلك العدو الأول للإسلام، والذي تزعم من بعده أبناؤه القوى الباغية عليه، وما
كارثة كربلاء إلا امتداد لأحقادهم وأضغانهم على نبي الإسلام...
وقد دعاهم الحسين (عليه السلام) إلى الاحتفاظ بالتقاليد العربية التي كانت سائدة في أيام
الجاهلية من عدم التعرض للنساء والأطفال بأي أذى أو مكروه.
وانبرى الوغد الخبيث شمر بن ذي الجوشن فقال للإمام: ما تقول يا ابن فاطمة؟
وحسب الرجس أنه قد انتقص الإمام بنسبته إلى امه فاطمة، ولم يعلم أنه نسبه إلى
معدن الطهر والنبوة، وحسب الحسين فخرا ومجدا أن تكون امه سيدة نساء العالمين
حسبما يقول الرسول (صلى الله عليه وآله).
فقال له الإمام: " أنا الذي أقاتلكم، والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم من
التعرض لحرمي ما دمت حيا ".
فأجابه الشمر إلى ذلك، وأحاط به القتلة المجرمون وهم يوسعونه (عليه السلام) ضربا بالسيوف
وطعنا بالرماح، فجعلت جراحاته تتفجر دما. وللمرة الأخيرة وهو بتلك الحالة وجه
الإمام (عليه السلام) خطابا لأعدائه حذرهم فيه من غرور الدنيا وفتنتها. يقول
المؤرخون: إنه لم
يلبث بعده إلا قليلا حتى استشهد، وهذا نص خطابه الحنون:
" عباد الله، اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت لأحد، وبقي
عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضا، وأرضى بالقضاء، غير أن الله

----
١ - الصواعق المحرقة / ص ١١٧ - ١١٨، وكتاب جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام / ص ١١٩.

تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء، فجديدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزل بلغة، والدار قلعة، فتزودوا فان خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون " (١).

* الدروس المستفادة هنا:

١ - مهما كانت الصعوبات حولك إستخدم كل وسيلة بيدك في تبيين مرامك وهدفك وفكرك.

٢ - شرفك رهان غيرتك ومروءتك، فالله الله في الشرف والإحساس به.

٣ - إن من بواعث الشجاعة في دفع الشر هو الغيرة، فلابد من التفكير فيها دائما لخلق الشجاعة ودفع المخاطر التي تهدد القيم الإيمانية.

E / في الموعظة بالصبر والثبات

وكان الإمام الحسين (عليه السلام) قد شد على قلوب أهل بيته بالصبر والرضي بقضاء الله، فلما
رأى النساء يبكين عليه ليلة عاشوراء، وسمع أخته أم كلثوم تنادي: وا ضيعتنا بعدك يا أبا
عبد الله! عزاها (عليه السلام) وقال لها: يا أختاه! تعزي بعزاء الله، فإن سكان السماوات يفنون،
وأهل الأرض كلهم يموتون، وجميع البرية يهلكون.

ثم قال: يا أختاه! يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة (ابنته) وأنت يا رباب (زوجته) انظرن إذا أنا قتلت.. فلا تشققن علي جيبا، ولا تخمشن علي وجها، ولا تقلن هجرا (٢).

هذه الوصايا دروس في توثيق العلاقة بالله خاصة عند الهزات الكبيرة، ودروس في التسليم إلى الله والتفكير في سفر لابد لكل أن حي أن يسلكه، ودروس في الإباء والاحتفاظ على العزة والكرامة لكي لا يشمت العدو المستكبر بصاحب الهدف الشامخ.

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) بالتفوه لهذه الدروس التربوية مرة واحدة بل سبقتها مرات
ولحقتها أيضا تأكيدا على أهمية القضية.

----

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٢٨١ نقلا عن زهر الآداب / ج ١ ص ١٦٢ نقلنا بتصرف قليل
في الألفاظ.

٢ - اللهوف: ٣٤.

وفي الوداع الثاني لعياله حيث أمرهم بالصبر أيضا، قال لهم: استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة. فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم (١).
وقد أخذت هذه الموعظة طريقها إلى قلوب العيال، فكان منهم الثبات والصبر والإباء، والعزة والشموخ.. والتي بقيت مع الهدف الحسيني العظيم إلى يومنا هذا والى يوم القيامة.
ولم يخسر كل من أخذ دروسه من هذه المدرسة، أليس غاندي قائد ثورة تحرير الهند قال:
تعلمت من الحسين بن علي كيف أكون مظلوما فأنتصر؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الصبر على الحق مهما يطول فإنه ينتهي إلى الظفر حتما، ولكن الظفر بالمعنى الإلهي وليس ما يتخيله البشر.
٢ - إعمل وفق مسؤوليتك الشرعية، فرب الشريعة هو ناصرك على مر الزمان.
٣ - إن إعطاء الحنان الأخير للعيال من أروع المواقف الأخلاقية سيما في صعوبات الأحوال.
E / في إدارة العواطف عند هول المواقف
كيف تتصرف في الأوقات الصعبة؟ وكيف تتخذ الموقف المناسب أخلاقيا عندما تحاصرك الأهوال وأنت ترى علامات الموت أمام عينيك؟
وبكلمة واحدة: كيف تدير ضرورة الأخلاق والعواطف حينما تقع في مواقف محرجة للغاية؟
تذكر أننا هنا في مدرسة الحسين (عليه السلام) جئناها لنتعلم من أخلاقه الهادية، إذن فانظر بدقة:
روي في بعض المقاتل أن الحسين (عليه السلام) لما نظر إلى اثنين وسبعين رجلا من أهل بيته
صرعى التفت إلى الخيمة ونادى: يا سكينة، يا فاطمة، يا زينب، يا أم كلثوم، عليكن مني

----
١ - جلاء العيون / للشيخ المجلسي.

السلام. فنادته سكينة: يا أبة استسلمت للموت؟
فقال: كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين.
فقالت: يا أبه ردنا إلى حرم جدنا.
فقال: هيهات لو ترك القطا لنام (١).
فتصارخن النساء فسكتهن الحسين (عليه السلام).
وفي المصدر أيضا أنه (عليه السلام) أقبل على أم كلثوم وقال لها: أوصيك يا أخيه بنفسك خيرا،
وإني بارز إلى هؤلاء القوم. فأقبلت سكينة وهي صارخة وكان يحبها حبا شديدا، فضمها
إلى صدره ومسح دموعها وقال:
سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي * منك البكاء إذ الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة * ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي * تبكيه يا خيرة النسوان
وروى القطب الراوندي في كتاب الدعوات عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال: ضمني
والدي (عليه السلام) إلى صدره يوم قتل والدماء تغلي وهو يقول: يا بني إحفظ عني دعاء علمتنيه
فاطمة (صلوات الله عليها) وعلمها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلمه جبرئيل في الحاجة والهم
والغم والنازلة إذا نزلت والأمر العظيم الفادح، قال: ادع بحق يس والقرآن الحكيم،
وبحق طه والقرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما في
الضمير، يا منفسا عن المكروبين، يا مفرجا عن المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير،
يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صل على محمد وآل محمد وافعل بي "... وتذكر حاجتك " (٢).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - كن وقورا ولا تضطرب.
٢ - كن مع الأقربين حميما ولا تلتهب.

---

١ - القطا: طائر في حجم الحمام ثقيلة المشي، أليفة لا تؤذي. ويقصد الإمام (عليه السلام) ان الأعداء لو تركوه لكان
أليفا لا يضرهم، ولكنهم هيهات ان يتركوه فإما يبايع وإما يقتل.
٢ - نفس المهموم / ص ٣٤٦.

٣ - كن صبورا ولا تنسى ربك الذي هو أعلى وأقدر.
٤ - إن هذه المواقف الأخلاقية السامية من معطيات الإيمان بالله وباليوم الآخر.
٥ - عند الموت سلم أهلك وعيالك إلى حفظ الله وفضله وكرمه، فلا تصرف ذهنك إليهم وتنسى متطلبات سفرك إلى الآخرة.
E / في التآخي والتوادد بالغيب
حديث الحبيب مع الحبيب حديث ليس بالخيال إنما هو بيان لحقيقة الحب التي لا يفهمها إلا أهلها. إستمع هنا إلى هذا النوع من الحديث. يقول المؤرخون:
ثم توجه - الإمام الحسين نحو أصحابه المستشهدين وجعل ينظر يمينا وشمالا، فلم ير أحدا من أصحابه وأنصاره إلا من صافح التراب جبينه، ومن قطع الحمام أنينه، فنادى (عليه السلام): " يا مسلم بن عقيل، ويا هاني بن عروة، ويا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن
ألقين، ويا يزيد بن مظاهر، ويا يحيى بن كثير، ويا هلال بن نافع، ويا إبراهيم بن الحصين، ويا عمير بن المطاع، ويا أسد الكلبي، ويا عبد الله بن عقيل، ويا مسلم بن الصفا،
ويا فرسان الهيجاء، مالي أناديكم فلا تجيبوني، وأدعوكم فلا تسمعوني؟! أنتم نيام أرجوكم تنتبهون، أم حالت مودتكم عن إمامكم فلا تنصرونه؟! فهذه نساء الرسول (صلى الله عليه وآله)
لفقدكم قد علاهن النحول، فقوموا من نومتكم أيها الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللئام، ولكن صرعكم والله ريب المنون وغدر بكم الدهر الخؤون، وإلا لما كنتم
عن دعوتي تقصرون، ولا عن نصرتي تحتجبون، فها نحن عليكم مفاجعون وبكم لاحقون،
فإنا لله وإنا إليه راجعون ".
هذه كلمات تحرق القلب وتستدر الدمع وتشد الإنسان إلى حب الحسين الذي أنشأ يقول في ذلك الموقف:
قوم إذا نودوا لدفع ملمة * والقوم بين مدعس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا * يتهافتون على ذهاب الأنفس
نصروا الحسين فيالها من فتية * عافوا الحياة والبسوا من سندس (١)

---

١ - ناسخ التواريخ ٢: ٣٧٧، معالي السبطين ٢: ١٩، مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف، ١٣٣ وفيهما بدل الأسماء بعد اسم يزيد بن مظاهر: يا فلان وفلان.

حقا إن ود الحسين لأصحابه وودهم له (عليه السلام) تعجز الموازين البشرية عن دركه، لأنه ود
متصل بالغيب، وهو فوق إدراك البشر، والسؤال هنا: كيف يتكون هذا الود حتى يصل إلى
هذه الدرجة المحيرة للعقول البشرية؟
إنه يتكون بالإيمان بالله واليوم الآخر، وللإيمان هذا آداب وأخلاق قد تجسدت في سلوك الحسين وأصحاب الحسين (عليه السلام). وتلك مالم يفهمها الذين لا يؤمنون بالغيب.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الأخلاق الجميلة كالحبل المتين يربط الأجزاء ببعضها ويوثق العلاقة القريبة بينها.
٢ - إن الحب بين المؤمنين يصنع المعاجز الأخلاقية والسعادة والهناء والملاحم
البطولية الرائدة في التاريخ.
٣ - الوفاق الإيماني فوق الحدود البشرية، ولابد منه لخلق التماسك والوحدة في صفوف المؤمنين.
E / في معاني التضامن والمودة العائلية
إذا كانت من مكارم الأخلاق خصال مثل الاحترام والأدب والتعاون والعطف وتفقد الأحوال والسؤال عن الأحباب، وبذل الوسع في نصرة المظلوم، والطاعة للإمام
المعصوم، والعمل لتخليد القيم عبر القرون، فإن الإمام الحسين وابنه علي السجاد وأخته زينب عقيلة بني هاشم ومن سار على نهجهم قد مثلوا تلك المكارم في أجمل وأكمل صورها. تأمل في النص التاريخي التالي لتزداد إيمانا بهذه الحقيقة: لما ضاق الأمر
بالحسين (عليه السلام) وبقي وحيدا فريدا، التفت إلى خيم بني أبيه فرآها خالية منهم، ثم التفت إلى
خيم بني عقيل فوجدها خالية منهم، ثم التفت إلى خيم أصحابه فلم ير منهم أحدا، فجعل
يكثر من قول: " لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ".
ثم ذهب إلى خيم النساء، فجاء إلى خيمة ولده زين العابدين (عليه السلام) فرآه ملقى على نطع
من الأديم، فدخل عليه وعنده زينب تمرضه، فلما نظر إليه علي بن الحسين (عليه السلام) أراد

النهوض - احتراما لأبيه - فلم يتمكن من شدة المرض، فقال لعمته: " سنديني إلى صدرك
فهذا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أقبل " - انظر أيها القارئ إلى الأدب الرفيع للابن تجاه أبيه -
فجلست زينب خلفه وأسندته إلى صدرها، فجعل الحسين (عليه السلام) يسأل ولده عن مرضه،
وهو يحمد الله تعالى، فسأله ابنه قال: " يا أبتاه ما صنعت اليوم مع هؤلاء المنافقين "؟
فقال له الحسين (عليه السلام): " يا ولدي قد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، وقد شب
الحرب بيننا وبينهم، لعنهم الله حتى فاضت الأرض بالدم منا ومنهم ".
فقال علي السجاد (عليه السلام): " يا أبتاه أين عمي العباس؟ "، فاختنقت زينب بعبرتها،
وجعلت تنظر إلى أخيها كيف يجيبه، لأنه لم يخبره بشهادة عمه العباس خوفا من أن يشتد
مرضه.
فقال (عليه السلام): " يا بني ان عمك قد قتل، قطعوا يديه على شاطئ الفرات ".
فبكى علي بن الحسين (عليه السلام) بكاءا شديدا حتى غشي عليه، فلما أفاق من غشوته جعل
يسأل عن كل واحد من عمومته، والحسين (عليه السلام) يقول له: " قتل ".
فقال: " وأين أخي علي، وحبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، وزهير بن ألقين "؟
فقال له: " يا بني اعلم أنه ليس في الخيام رجل حي إلا أنا وأنت، وأما هؤلاء الذين
تسأل عنهم فكلهم صرعى على وجه الثرى "، فبكى علي بن الحسين بكاءا شديدا، ثم قال
لعمته زينب: " يا عمتاه علي بالسيف والعصا ".
فقال له أبوه: " وما تصنع بهما ".
فقال: " أما العصا فأتوكأ عليها، وأما السيف فأذب به بين يدي ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)
فإنه لاخير في الحياة بعده ".
ما أروع هذه الكلمات التي جسدت لنا بعض تلك القلوب المشحونة بالعاطفة والحب والأدب، إذ لن تستطيع الكلمة أن تجسدها كلها.
وهنا فمنعه الحسين (عليه السلام) من ذلك وضمه إلى صدره وقال له: " يا ولدي أنت أطيب
ذريتي، وأفضل عترتي، وأنت خليفتي على هؤلاء العيال والأطفال، فإنهم غرباء

مخذولون،
قد شملتهم الذلة واليتم وشماتة الأعداء ونوائب الزمان، سكتهم إذا صرخوا، وآنسهم إذا
استوحشوا، وسل خواطرهم بلين الكلام، فإنهم ما بقي من رجالهم من يستأنسون به غيرك، ولا أحد عندهم يشكون إليه حزنهم سواك، دعهم يشموك وتشمهم، ويبكوا عليك

وتبكي عليهم ". ثم لزمه بيده (عليه السلام) وصاح بأعلى صوته: " يا زينب ويا أم كلثوم ويا سكينة
ويا رقية ويا فاطمة، اسمعن كلامي واعلمن ان ابني هذا خليفتي عليكم، وهو امام مفترض
الطاعة ".
ثم قال له: " يا ولدي بلغ شيعتي عني السلام فقل لهم: ان أبي مات غريبا فاندبوه ومضى شهيدا فابكوه ". (١)
نعم.. إن هذا الموقف الذي ثبته الحسين (عليه السلام) وابنه علي (زين العابدين) لموقف
مشحون بالعاطفة والمودة والتعاون والتضامن بآدابها الممتازة، وهي مفردات أخلاقية ينبغي لنا التزامها في كل المواقف المشابهة.
غريبون عن أوطانهم وديارهم * تنوح عليهم في البراري وحوشها
وكيف ولا تبكي العيون لمعشر * سيوف الأعادي في البراري تنوشها
بدور توارى نورها فتغيرت * محاسنها ترب الفلاة تعوشها (٢)
* الدروس المستفادة هنا:
١ - إن الأخلاق الكريمة أصمد القيم في الإنسان العقائدي.
٢ - إن قول الحقيقة يعني احترام الأمانة والإنسان ذا العلاقة بها.
٣ - الوصية بالقيم وفي أصعب ساعات الحياة قيمة لابد منها في رسالة الحياة الأخلاقية.
٤ - تخليف الفرد الكفوء لحمل الأمانة وإبلاغ الرسالة أخلاقية ربانية.
٥ - لابد من تجاوز الزمن، والتحدث مع الأجيال بلا حواجز الأيام الحاضرة، فهذا هو رسالة الأخلاقيين الباقية.
E / في إتمام الحجة وقوة الاستقامة
حينما يكون الحقد والدناءة والخساسة من رذائل الأخلاق، يجاهد صاحب الفضائل الأخلاقية بكل ما أوتي من حكمة وحجة لينقذ عدوه من رذائله، لأن عملية الانقاذ بنفسها
واحدة من الفضائل، هذا ما تحلى به الإمام الحسين (عليه السلام) لما أقبل على عمر بن سعد وقال له:
" أخيرك في ثلاث خصال ".

____

١ - الدمعة الساكبة ٤: ٣٥١، معالي السبطين ٢: ٢٢، ذريعة النجاة: ١٣٩.
٢ - معالي السبطين ج ١ ص ٢٨١، قالها الحسين (عليه السلام) في رثائه على ابن أخيه القاسم بن الحسن (عليه السلام).

(٢٥٣)

قال: وما هي؟
قال: " تتركني حتى ارجع إلى المدينة إلى حرم جدي رسول الله ".
قال: ما لي إلى ذلك سبيل.
قال: " أسقوني شربة من الماء فقد نشفت كبدي من الظمأ ".
فقال: ولا إلى الثانية سبيل.
قال: " وإن كان لابد من قتلي فليبرز إلى رجل بعد رجل ".
فقال: ذلك لك.
فحمل على القوم، (١) ورشقوه بالسهام حتى صار كالقنفذ، فأحجم عنهم - أي كف عنهم - فكأنه (عليه السلام) ضعف، فوقفوا بازائه، فخرج إليه تميم بن قحطبة وهو من أمراء الشام
في تلك الحالة، قال يا ابن علي إلى متى الخصومة وقد قتل أولادك ومواليك وأنت بعد تضرب بالسيف مع عشرين ألفا؟!
فقال (عليه السلام): " انا جئت إلى محاربتكم أم أنتم جئتم إلى محاربتي، انا منعت الطريق عنكم
أم أنتم منعتموه عني، وقد قتلتم إخوتي وأولادي، وليس بينكم وبيني إلا السيف ".
فقال اللعين: فلا تكثر المقال فتقدم إلي حتى أرى ما عندك.
فصاح الحسين (عليه السلام) صيحة عظيمة وسل السيف وضرب عنقه، فتبعد خمسين ذراعا،
فاضطرب العسكر وصاح يزيد الأبطحي (لعنه الله): ويلكم انكم عجزتم عن رجل واحد
تفرون عنه ثم برز إلى الإمام (عليه السلام) وكان اللعين مشهورا بالشجاعة، فلما رآه العسكر أظهروا
البشاشة والسرور، فصاح (عليه السلام) به: " ألا تعرفني تبرز إلي كمن لاخوف له " فلم يجبه اللعين
وسل سيفه على الإمام، فسبقه الامام وضرب على وسطه بالسيف فقده نصفين. (٢)
قال بعض الرواة: فوالله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا منه، وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه، فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم ولقد تكملوا ثلاثين ألفا، فيهزمون بين
يديه كأنهم الجراد المنتشر، ثم يرجع إلى مركزه، وهو يقول: " لا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم ". (٣)

----

١ - المنتخب للطريحي: ٤٣٩، تظلم الزهراء: ٢٥٠، الدمعة الساكبة ٤: ٣٤١، اسرار الشهادة: ٤٠٩.
٢ - معالي السبطين ٢: ٣٠.
٣ - اللهوف: ٥١، بحار الأنوار ٤٥: ٥٠، العوالم ١٧: ٢٩٣.

يقول الكاتب المصري عباس محمود العقاد: وشجاعة الحسين (عليه السلام) صفة لا تستغرب
منه لأنها الشئ من معدنه، وليس في بني الإنسان من هو أشجع قلبا ممن أقدم على ما أقدم
عليه الحسين في يوم كربلاء (١).
أيها المسلم الموالي لأهل البيت (عليهم السلام) هل رأيت إمامك هذا البطل الشجاع الأبي المقاوم
بزاد العقيدة والاخلاص والثبات؟
وهل عرفت السر في إصرارنا على التمسك بالحسين (عليه السلام) وبأخلاقه النبيلة ومذهبه
الحق، ذلك مذهب أبيه علي (عليه السلام) ودين جده محمد (صلى الله عليه وآله)؟
* الدروس المستفادة هنا:
١ - لا يجوز لصاحب الحق المهضوم أن يهادن الظالم إلا إذا رأى الضرورة الأهم، مثلا
للوثبة من أجل حقه.
٢ - العنف في الساعة الأخيرة من الدفاع عن الحق والنفس من أشرف الأعمال إيمانا وأخلاقا وفطرة وعرفا.
٣ - يجب ربط القلب بقوة الله في ساعة العسر، فإنها ساعة الامتحان الذي به يفلح الإنسان أو يهان.
٤ - إن التوكل على الله يبعث في المظلوم المعتقد قوة فوق التصور، فلابد من اكتشاف
هذه الحقيقة الخلفية الصانعة للمواقف الأخلاقية في أصعب الحالات.
E / في أدب الوداع والغيرة وخير الوصية
نعم.. تزول الدول، وتذهب الممالك، وتفنى الحضارات، وهذا الإيمان الذي لا حد له أحق بالبقاء وأجدر بالخلود من كل كائن في هذه الحياة، أي نفس تطيق مثل هذه الكوارث، وتستقبلها برباطة جأش ورضا وتسليم لأمر الله، انه ليس هناك غير الحسين أمل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وريحانته والصورة الكاملة التي تحكيه.
ومرة أخرى دعته غيرته على كرامة عائلته الكريمة فقفل (عليه السلام) راجعا إلى عياله ليودعهم
الوداع الأخير، وجراحاته تتفجر دما وقد أوصى حرم الرسالة وعقائل الوحي بلبس الأزر

----
١ - أبو الشهداء / ص ٧١.

والاستعداد للبلاء، وأمرهن بالخلود إلى الصبر والتسليم لقضاء الله قائلا:
" استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم " (١).
وذابت أسى أرواح بنات الرسول (صلى الله عليه وآله) حينما رأين الإمام بتلك الحالة يتعلقن به
ويودعنه، وقد وجلت منهن القلوب، واختطف الرعب ألوانهن، والتاع الإمام حينما نظر إليهن وقد سرت الرعدة بأوصالهن (٢).
يقول الإمام كاشف الغطاء: من ذا الذي يقتدر أن يصور لك الحسين (عليه السلام) وقد تلاطمت
أمواج البلاء حوله، وصبت عليه المصائب من كل جانب، وفي تلك الحال عزم على توديع العيال ومن بقي من الأطفال، فاقترب من السرادق المضروب على حرائر النبوة وبنات علي والزهراء (عليهما السلام) فخرجت المخدرات كسرب القطا المذعورة، فأحطن به وهو
سابح بدمائه، فهل تستطيع أن تتصور حالهن وحال الحسين في ذلك الموقف الرهيب ولا يتفطر قلبك، ولا يطيش لبك، ولا تجري دمعتك (٣)؟
لقد كانت محنة الإمام في توديعه لعياله من أقسى وأشق ما عاناه من المحن والخطوب، فقد لطمن بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجوههن، وارتفعت أصواتهن بالبكاء والعويل، وهن
يندبن جدهن الرسول (صلى الله عليه وآله) وألقين بأنفسهن عليه لوداعه، وقد أثر ذلك المنظر المريع في
نفس الإمام الحسين (عليه السلام) بما لا يعلم بمداه إلا الله.
وهنا نادى ذلك الرجس الخبيث عمر بن سعد بقواته المسلحة يحرضها على الهجوم على الإمام قائلا: إهجموا عليه ما دام مشغولا بنفسه وحرمه، فوالله إن فرغ لكم لا تمتاز
ميمنتكم عن ميسرتكم.
وحمل عليه الأخباث فجعلوا يرمونه بالسهام، وتخالفت السهام بين أطناب المخيم، وأصاب بعضها ازر بعض النساء فذعرن ودخلن الخيمة، وخرج بقية الله في الأرض الحسين الباسل كالليث الغضبان على أولئك الممسوخين، فجعل يحصد رؤوسهم

----
١ - مقتل الحسين / ص ٣٣٧ - للمقرم.
٢ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ج ٣ / ص ٢٨٣.

٣ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) نقلا عن جنة المأوى / ص ١١٥.

الخبيثة بسيفه، وكانت السهام تأخذه يمينا وشمالا، وهو يتقيها بصدره ونحره، ومن
بين
تلك السهام التي فتكت به:
١ - سهم أصاب فمه الطاهر، فتفجر دمه الشريف فوضع يده تحت الجرح فلما
امتلأت
دما رفعه إلى السماء وجعل يخاطب الله تعالى قائلا: " اللهم ان هذا فيك قليل ".
٢ - سهم أصاب جبهته الشريفة المشرقة بنور النبوة والإمامة، رماه به أبو الحتوف
الجعفي فانتزعه، وقد تفجر دمه الشريف، فرفع يديه بالدعاء على السفكة المجرمين
قائلا: " اللهم انك ترى ما أنا فيه من عبادك العصاة، اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا،
ولا تذر على وجه الأرض منهم أحدا، ولا تغفر لهم أبدا ".
وصاح بالجيش: " يا أمة السوء بئسما خلفتم محمدا في عترته، أما انكم لا تقتلون
رجلا بعدي فتهابون قتله بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي، وأيم الله إني لأرجو أن
يكرمني الله بالشهادة، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.. ".
حتى ذكر أحد القتلة انه لما سقط الحسين (عليه السلام) ونالته السهام والسيوف
والرماح ما نالته،
كنت واقفا نحو الحسين وهو يجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلا قط مضمخا بدمه
أحسن
منه وجها ولا أنور! ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله (١).
ولما اشتد به الحال، رفع طرفه إلى السماء وقال:
" اللهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق،
عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابق النعمة،
حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر
على ما أردت، ومدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت.. أدعوك
محتاجا، وأرغب إليك فقيرا، وأفزع إليك خائفا، وأبكي إليك مكروبا، وأستعين بك
ضعيفا، وأتوكل عليك كافيا. اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخذلونا،
وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله الذي
اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا يا أرحم
الراحمين (٢).

---

١ - مثير الأحزان، لابن نما: ٣٩.
٢ - مصباح المتهجد، للشيخ الطوسي: ٥٧٤. والإقبال، للسيد ابن طاووس: ١٨٥، عنهما البحار: ١٠١:
٣٤٨.

صبرا على قضائك يا رب، لا إله سواك يا غياث المستغيثين (١)، ما لي رب سواك، ولا معبود غيرك، صبرا على حكمك يا غياث من لا غياث له، يا دائما لا نفاد له، يا محيي الموتى، يا قائما على كل نفس بما كسبت، احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين " (٢).
ونسبت إليه هذه الأبيات الشعرية في تلك الساعة:
إلهي تركت الخلق طرا في هواكا * وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إربا * لما مال الفؤاد إلى سواكا
وكيف لا تكون هذه ترانيمه العرفانية وكلماته الإلهية وهو صاحب أعظم دعاء في يوم عرفة، الذي قال فيه مخاطبا رب العالمين: " عميت عين لا تراك، ولا تزال عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا ".
وقال المؤرخون: لما قتل أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) مال الناس على ثقله ومتاعه، وانتهبوا
ما في الخيام (٣)، وأضرموا النار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ففررن
بنات الزهراء (عليها السلام) مسلبات باكيات (٤) (٥).
هل عرفت الأخلاق الجاهلية كيف عادت إلى أولئك العرب!؟
يا لها من مأساة سودت وجه تاريخ العروبة، يا ليتها لم تكن في زمن الاسلام لكيلا تتلوث بها سمعته النقية وشرفه السامي.
لقد كان جزاء الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي أنقذهم من حياة البؤس والشقاء أن عدوا على ذريته
فسفكوا دماءهم، واقترفوا منهم ما تقشعر منه الجلود وتندى له الوجوه.. وقد استجاب الله
دعاء الإمام فانتقم له من أعدائه المجرمين، فلم يلبثوا قليلا حتى اجتاحتهم الفتن والعواصف، فقد هب الثائر العظيم المختار الثقفي طالبا بدم الإمام المظلوم فأخذ يطاردهم ويلاحقهم، وقد هربوا في البيداء وشرطة المختار تطاردهم حتى أباد الكثيرين منهم.
يقول الزهري لم يبق من قتلة الحسين أحد إلا عوقب إما بالقتل أو العمى أو سواد

---

١ - كما في أسرار الشهادة: ٤٢٣.
٢ - كما في رياض المصائب: ٣٣.
٣ - الكامل ٤: ٢٢.
٤ - تاريخ الطبري ٦: ٢٦٠.
٥ - نقلا عن كتاب الأخلاق الحسينية / ص ٢٩١.

الوجه، أو زوال الملك في مدة يسيرة (١).
* الدروس المستفادة هنا:
١ - حب العائلة من الأخلاق الحسنة، ولكن الأحسن عند التزاحم هو حب العقيدة والجهاد في سبيلها.
٢ - وداع الأحبة عند الفراق ضرورة أخلاقية.
٣ - انتقام المظلوم من الظالم فضيلة لابد من عدم تفويتها عند التمكن، ولكن الأفضل هو العفو عنه.
E / في التصبر والحنان على اليتيم
كتب المؤرخون أنه خرج إلى الميدان عبد الله بن الحسن بن علي (عليهما السلام) من عند النساء
وهو غلام لم يراهق (٢)، فشد حتى وقف إلى جنب عمه الحسين (عليه السلام) فلحقته زينب بنت
علي (عليه السلام) لتحبسه - في الخيمة عن الذهاب خلف الحسين إلى أرض المعركة وكان
الحسين (عليه السلام) ملقى على الأرض في الدقائق الأخيرة من حياته الشريفة -، فقال الحسين (عليه السلام): " أحبسيه يا أختي "! فأبى وامتنع عليها امتناعا شديدا وقال: لا والله لا أفارق
عمي. وأهوى أبجر ابن كعب إلى الحسين (عليه السلام) بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة
أتقتل عمي؟ فضربه أبجر بالسيف، فاتقاها الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فإذا يده معلقة، فنادى الغلام: يا عماه (٣) فأخذه الحسين (عليه السلام) فضمه إليه وقال: " يا بن أخي اصبر على ما
نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فان الله يلحقك بآبائك الصالحين "، (٤) فرماه حرملة بن
كاهل بسهم فذبحه، وهو في حجر عمه الحسين (عليه السلام) (٥).
يدل موقف هذا الغلام اليتيم الذي لم يتجاوز عمره العاشرة على أن عمه الحسين (عليه السلام)

---

١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ - بتصرف يسير -.
٢ - عبارة الأصل (وهو غلام لم يراهق من عند النساء) والأصح ما ذكرناه في المتن من التقديم والتأخير.
٣ - في الأصل يا أماه ولكن الصحيح يا عماه.
٤ - الارشاد: ٢٤١، تاريخ الطبري ٣: ٣٣٣، الكامل في التأريخ ٢: ٥٧١ وفي المصدرين الأخيرين مع إضافة: برسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن بن علي، اللهوف: ٥٣،

البداية والنهاية ٨: ٢٠٣، بحار الأنوار ٤٥: ٥٣، أعيان الشيعة ١: ٦٠٩.
٥ - اللهوف: ٥٣، بحار الأنوار ٤٥: ٥٤.

كم كان شديد الاهتمام به، حتى فر من الخيام شوقا إلى الحسين (عليه السلام) الذي طالما تنعم في
جواره الحنون وعطفه الأبوي الكبير. وكم عجيب أمر القتلة الوحوش الذين افترسوا حتى
الأطفال اليتامى في كربلاء. ولقد أنست أحقادهم كل القيم الأخلاقية والمبادئ الانسانية
وما جاء به القرآن والنبي (صلى الله عليه وآله) من حث على الاهتمام باليتامى.
نعم إنما قتلوا حسينا ليقتلوا الأخلاق الاسلامية كلها، ولكنها انتصرت وبقيت في الحياة كالمنائر الشامخة الدالة على الذين سقوا شجرتها بدمائهم الزكية، وكان فيها دم هذا اليتيم
الذي اختلط بدم عمه الحسين (عليه السلام) اختلاط الحب والحنان والرقة في قلوب المؤمنين،
حيث لا ينفك عن سلوكهم.
* الدروس المستفادة هنا:
١ - الحب غريزة في النفس، إذا تعلقت بالمحبوب دفع المحب إلى تجاوز المخاطر كلها، بل صيره لا يرى للمخاطر أثرا على نفسه المشتاقة والمتلهفة نحو المحبوب.
٢ - من الواجب توجيه هذه الغريزة العظيمة نحو حب الخير وأهله. وقد جاءت التعاليم
الدينية في الإسلام المحمدي الوجود والعلوي المنهج والحسيني البقاء لتزرع الحب في قلوب البشرية وتنبذ عنها الحروب الجاهلية
٣ - إن الحق يتطلب الصبر، والصبر ينتهي إلى النصر، والنصر حق يتطلب الشكر بالصبر عليه.
٤ - لابد لأهل الحق أن يتعاهدوا في الصبر على أهدافهم بلغ الأمر ما بلغ.
E / في الإباء والفداء والشجاعة
وهما من العناصر المتقدمة في الأخلاق الكريمة، ولا يرقاها إلا ذو شرف أصيل
وصاحب هدف نبيل، ومثاله الكامل هو الإمام الحسين (عليه السلام) سبط النبي (صلى الله عليه وآله) ابن فاطمة
وعلي (عليهما السلام).
فتأمل في صموده (عليه السلام) بعد استشهاد أصحابه وأهل بيته، وبقائه وحيدا في ساحة
المعركة. يقول المؤرخون:
تقدم الحسين (عليه السلام) نحو القوم مصلتا سيفه، فدعا الناس إلى البراز - أي المبارزة -

فلم يزل يقتل كل من برز إليه حتى قتل جمعا كثيرا (١).
وبعد أن قتل مقتلة عظيمة صاح عمر بن سعد: هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب - وكان اللعين يقصد انه ابن علي (عليه السلام) الذي قال عن سيفه البتار رسول الله
المختار (صلى الله عليه وآله) " لولا سيف علي ومال خديجة لما قام الاسلام وما استقام ".
انظر أيها القارئ المنصف كيف يثير ابن سعد بكلماته في جنوده المضلين النزعة القومية البغيضة التي كانت في عرب الجاهلية، وهذا أكبر دليل على انقلاب أولئك العرب
من بعد النبي (صلى الله عليه وآله) على أعقابهم، ولولا هذا الضلال لما جاؤوا لقتل سبط النبي (صلى الله عليه وآله) فتأمل
واقرأ بقية قصة الإباء والفداء التي جسدها أبي الضيم الحسين بن علي (عليهما السلام) فقد كان عمر بن
سعد ينادي في جنوده - احملوا عليه من كل جانب. فصوبت نحوه أربعة آلاف نبلة، فحمل (عليه السلام) على الميمنة حملة ليث مغضب، وجراحاته تشخب دما، ثم حمل على
الميسرة (٢)، فتطاير العسكر من بين يديه، واتجهوا نحو الخيام... ثم ازدحم عليه العسكر،
واستحرى القتال وهو يقاتلهم ببأس شديد، وشجاعة لا مثيل لها.
قال عبد الله بن عمار بن يغوث: فوالله ما رأيت مكثورا قط (٣)، قد قتل ولده، وأهل بيته
وصحبه، أربط جأشا منه ولا أمضى جنانا، ولا أجرأ مقدما ولقد كانت الرجال تنكشف بين
يديه إذا شد فيها، ولم يثبت له أحد. (٤)
وفي رواية أخرى: فوالله ما رأيت مكسورا قط، قد قتل ولده، وأهل بيته وأصحابه، أربط جأشا ولا أمضى جنانا منه، ولا أجرأ مقدما، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، أن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب (٥).
وقال آخر (٦): ولقد كان يحمل فيهم وقد تكاملوا ثلاثين ألفا.. فينهزمون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (٧).

----

١ - مثير الأحزان، لابن نما: ٣٧. ومقتل الحسين عليه السلام، للخوارزمي ٢: ٣٣.
٢ - المناقب ٢: ٢٢٣.
٣ - قال ابن الأثير: المكثور المغلوب، وهو الذي تتكاثر عليه الناس
٤ - تاريخ الطبري ٦: ٢٥٩. ونسبه الخوارزمي في مقتله ٢: ٣٨ إلى بعض من شهد الواقعة.
٥ - تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٤: ٣٤٥، مطبعة الاستقامة بمصر.
٦ - كما في كتاب البداية والنهاية ٤: ١٠.
٧ - أئمتنا، للأستاذ علي محمد علي دخيل ١: ٢٣٩.

هكذا.. - فلم تتمكن الآلاف من جنود الضلالة أن يركعوا الحسين لغير الله، إنك تجد روح الإباء والفداء والايمان كيف تصنع القوة والشجاعة في الرجل، ولم يكن لحثالات الشياطين وجنود إبليس طريقا لإيقاف الحسين (عليه السلام) - حتى غدروا به بالحجارة والسهام
من بعيد، وبالفعل لم يكن لعدوه الحقير سبيلا للقضاء عليه إلا الغدر والتوسل بالأساليب الجبانة، كما لم يكن للحسين في الرد عليهم إلا الصبر والتسليم لأمر الله، فصبر وصابر بما
لديه من مخزون التوكل على الله والرضا بما يشاء الحبيب:
إلى أن أتاه السهم من كف كافر * ألا خاب باريها وضل المصوب
فخر على وجه التراب لوجهه * كما خر من رأس الشناخيب أخشب
يقول الشيخ عباس القمي (رحمه الله): في الشجاعة والصبر الحسين (عليه السلام) يضرب بها المثل،
وصبره في مواقف الحرب أعجز الأواخر والأول، ومقامه في مقاتلة هؤلاء الفجرة عادل مقام جده (صلى الله عليه وآله) ببدر فاعتدل، وصبره على كثرة أعدائه وقلة أنصاره صبر أبيه في صفين
والجمل، وناهيك في هذا المقام ما في الزيارة الواردة عن الناحية المقدسة - الإمام الحجة -
(على صاحبها آلاف السلام):
" وبدؤك بالحرب فثبت للطعن والضرب، وطعنت جنود الفجار، واقتحمت قسطل (١) الغبار، مجالدا بذي الفقار، كأنك علي المختار، فلما رأوك ثابت الجأش، غير خائف ولا خاش نصبوا لك غوائل مكرهم، وقاتلوك بكيدهم وشرهم، وأمر اللعين جنوده فمنعوك الماء ووردوه، وناجزوك القتال، وعاجلوك النزال، ورشقوك بالسهام والنبال، وبسطوا إليك أكف الاصطلام (٢) ولم يرعوا لك ذماما، ولا راقبوا فيك آثاما، في قتلهم أوليائك، ونهبهم رحالك، وأنت مقدم في الهبوات (٣) ومحتمل للأذيات، قد عجبت من صبرك ملائكة السماوات، فأحدقوا بك من كل الجهات، وأثخنوك بالجراح، وحالوا بينك وبين الرواح، ولم يبق لك ناصر وأنت محتسب صابر، تذب عن نسوتك وأولادك، حتى نكسوك عن جوادك، فهويت إلى الأرض جريحا، تطؤك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاة ببواترها (٤)، قد رشح للموت جبينك، واختلفت

----
١ - الغبار الذي يرتفع حين احتدام المعركة.
٢ - أي الأيدي التي تقصد قطع الجذور.
٣ - الغبار الشديد المرتفع في الجو.
٤ - السيوف القاطعة البتارة.

(٢٦٢)

بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك، تدير طرفا خفيا إلى رحلك وبيتك وقد شغلت بنفسك عن ولدك وأهاليك " (١).

* الدروس المستفادة هنا:

١ - قوة الجسم وصلابة تحمله نابعة عن الإيمان بالله الحق والتذكر بمدلولاته في القلب، وأذكاره على اللسان.

٢ - الصبر على الحق والصمود في وجه الباطل أفضل سلاح لتعرية الظالم وفضح الباطل.

٣ - المظلومية انتصار حقيقي بكل ما للحقيقة من آفاق وأبعاد، ولكن تلك المظلومية التي لا تنفصل عن الحق أبدا.

----

١ - نفس المهموم / ص ١٧.

وأخيرا.. نعم للوفاء بأخلاق الحسين (عليه السلام)
أبدا.. ما مات الحسين (عليه السلام) لأن الأخلاق التي تعلقت بشخصية الحسين العظيمة قد
تعلقت بالحقيقة الباقية المستمدة من بقاء الله الحق. فلولا وفاء الحسين لدين الله وولاؤه
لأخلاقية الله لما كان يضحي محبوه على امتداد القرون بعده ما عندهم من غال ورخيص
في سبيل استقامة الدين والأخلاق وهداية الناس إلى الحق. ولما كان يهتدي إلى ذلك المسلمون وغير المسلمين. وهذا من ثمرة الأخلاق الدينية التي مارسها الحسين (عليه السلام) في
حياته مع الناس.
وهنا ننقل مثالا واحدا من بين ما لا يعده من الأمثلة الا الله تعالى، فقد ذكر المؤرخون أن
عبيد الله بن زياد - لعنه الله - بعد ما عرض عليه رأس الحسين (عليه السلام)، دعا بخولي بن يزيد
الأصبحي - لعنه الله - وقال له: خذ هذا الرأس حتى أسألك عنه.
فقال: سمعا وطاعة، فأخذ الرأس وانطلق به إلى منزله، وكان له امرأتان أحدهما ثعلبية والاخرى مضرية، فدخل على المضرية، فقالت: ما هذا؟
فقال: هذا رأس الحسين بن علي (عليهما السلام) وفيه ملك الدنيا.
فقالت له: أبشر، فإن خصمك غدا جده محمد المصطفى، ثم قالت: والله لا كنت لي ببعل ولا أنا لك بأهل، ثم أخذت عمودا من حديد وأوجعت به دماغه.
فانصرف من عندها، وأتى به إلى الثعلبية، فقالت: ما هذا الرأس الذي معك؟
قال: رأس خارجي خرج على عبيد الله بن زياد.
فقالت: وما اسمه، فأبى أن يخبرها ما اسمه، ثم تركه على التراب وجعله على إجانة (١).
قال: فخرجت امرأته في الليل فرأت نورا ساطعا من الرأس إلى عنان السماء، فجاءت إلى الإجانة فسمعت أنينا، وهو يقرأ إلى طلوع الفجر، وكان آخر ما قرأ: * (وسيعلم الذين
ظلموا أي منقلب ينقلبون) * (٢) وسمعت حول الرأس دويا كدوي الرعد، فعلمت أنه تسبيح
الملائكة.

----

١ – الإجانة: إناء تغسل فيه الثياب (يشبه الطشت).
٢ – الشعراء: ٢٢٧.

فجاءت إلى بعلها، وقالت: رأيت كذا وكذا فأي شئ تحت الإجانة؟
فقال: رأس خارجي قتله الأمير عبيد الله بن زياد وأريد أن أذهب به إلى يزيد بن معاوية ليعطيني عليه مالا كثيرا.
قالت: ومن هو؟
قال: الحسين بن علي (عليه السلام).
فصاحت، وخرت مغشية عليها، فلما أفاقت، قالت: يا ويلك يا شر المجوس! لقد آذيت محمدا في عترته، أما خفت من إله الأرض والسماء، حيث تطلب الجائزة على رأس ابن سيدة نساء العالمين.
ثم خرجت من عنده باكية، فلما قامت رفعت الرأس وقبلته، ووضعته في حجرها، وجعلت تقبله، وتقول: لعن الله قاتلك وخصمه جدك المصطفى.
فلما جن الليل غلب عليها النوم، فرأت كأن البيت قد انشق بنصفين، وغشيه نور، فجاءت سحابة بيضاء، فخرج منها امرأتان، فأخذتا الرأس من حجرها وبكتا.
قالت: فقلت لهما: بالله من أنتما؟
قالت إحداهما: أنا خديجة بنت خويلد، وهذه ابنتي فاطمة الزهراء، ولقد شكرناك وشكر الله لك عملك، وأنت رفيقتنا في درجة القدس في الجنة.
قال - الراوي -: فانتبهت من النوم والرأس في حجرها، فلما أصبح الصبح جاء بعلها لأخذ الرأس، فلم تدفعه إليه وقالت: ويلك طلقني، فوالله لا جمعني وإياك بيت.
فقال: إدفعي لي الرأس، وافعلي ما شئت.
فقالت: لا والله لا أدفعه إليك فقتلها، وأخذ الرأس فعجل الله بروحها إلى الجنة جوار سيدة النساء. (١)
ما الذي يا ترى قد جعل هذه المرأة بهذا المستوى على استعداد لتدفع ثمن موقفها في مناصرة الحق؟

----

١ - مدينة المعاجز ٤: ١٢٤ حديث ١٨٥، مقتل الحسين ومصرع أهل بيته: ١٦٨، الدمعة الساكبة ٥: ٥٢ و
فيهما إلى قوله: " تسبيح الملائكة ".

توجد عوامل إيمانية كثيرة في ذلك، والجامع المشترك بينها هو الأخلاق الكريمة التي عرف بها الحسين (عليه السلام) في التاريخ كما قلنا.
وفي ذلك كتب العلامة باقر شريف القرشي عن ذلك قائلا: لقد غذاهم أبو عبد الله (عليه السلام)
بروحه وهديه، وغمرهم بأخلاقه فابتعدت أرواحهم عن الدنيا وتجردوا من مادية الجسد، وتحررت قلوبهم وعواطفهم من شواغل الحياة.. فأي معلم كان الحسين؟ وأي مدرسة ملهمة كانت مدرسته؟ وهل تستطيع أجيال الدنيا أن توجد مثل هذا الطراز إيمانا
بالله، وإخلاصا للحق... وقد تفانى أصحاب الإمام في الولاء والإخلاص له، وضربوا بذلك
أروع الأمثلة للوفاء، فهذا مسلم بن عوسجة، وهو من أفذاذ أنصار الإمام لما برز إلى القتال،
ووقع صريعا على الأرض قد تناهبت السيوف والرماح جسمه، مشى إليه الإمام مع حبيب
بن مظاهر وكان البطل يعاني آلام الاحتضار، فطلب منه حبيب أن يوصي إليه بما أهمه، فقال له بصوت خافت حزين النبرات: " أوصيك بهذا - وأشار إلى الإمام - أن تموت دونه ".
أي وفاء هو معرض للزهو والفخار مثل هذا الوفاء؟
لقد أعطى لأجيال الدنيا الدروس في الولاء الباهر للحق، فهو في لحظاته الأخيرة، وحشرجة الموت في صدره لم يفكر إلا بالإمام، وأعرض عن كل شئ في حياته.
وهذا البطل العظيم سويد بن أبي المطاع الذي هو من أنبل الشهداء وأصدقهم في التضحية هوى جريحا في المعركة فتركه الأعداء، ولم يجهزوا عليه لظنهم انه قد مات، فلما تنادوا بمصرع الإمام لم يستطع أن يسكن لينجو، فقام والتمس سيفه فإذا هو قد سلبوه، ونظر إلى شئ يجاهد به فوقعت يده على مدية (١)، فأخذ يوسع القوم طعنا فذعروا منه، وحسبوا أن الموتى أعيدت لهم حياتهم ليستأنفوا الجهاد ثانيا مع الإمام، فلما
تبين لهم أن الأمر ليس كذلك، انعطفوا عليه فقتلوه، فكان - حقا - هذا هو الوفاء في أصحاب الإمام حتى الرمق الأخير من حياتهم.
ولم يقتصر هذا الوفاء على الرجال، وإنما سرى إلى النساء اللاتي كن في المعركة، فكانت المرأة تسارع إلى ابنها تتضرع إليه ليستشهد بين يدي الإمام، والزوجة تسارع إلى

----

١ – المدية: سكينة كالخنجر.

زوجها ليدافع عن الإمام، وهن لم يحلفن بما يصيبهن من الثكل والحداد.
ومما يثير الدهشة ان الأطفال من الأسرة النبوية أيضا قد اندفعوا نحو الإمام وهم
يقبلون يديه ورجليه ليمنحهم الإذن في الشهادة بين يديه، ومن بينهم عبد الله بن
الحسن
وكان له من العمر إحدى عشر سنة، لما رأى الأعداء قد اجتمعوا على قتل عمه -
الحسين -
فلم يستطع صبرا، وأسرع فاندفعت عمته زينب لتسكه فامتنع عليها، وأخذ يركض حتى
انتهى إلى عمه، وقد أهوى أبحر بن كعب بسيفه ليضرب الإمام فصاح به الغلام: يا ابن
الخبيثة أتضرب عمي؟
فانعطف عليه الخبيث الدنس فضربه بالسيف على يده فأطنها إلى الجلد فإذا هي
معلقة، ورمى الغلام بنفسه في حجر عمه - وهو يقول للحسين: عماه لقد قطعوا يدي.
فاحتضنه الحسين ودمعت له عيناه، وهمس في اذنه: يا بني صبرا فإنك عن قليل ترد
على
جدك وأبيك. فسدد له حرملة سهما غادرا فذبحه وهو في حجر عمه لقد استلذ الموت
في
سبيل عمه...
وكثير من أمثال هذه الصور الرائعة التي لم تمر على شاشة الدهر قد ظهرت من
أصحاب الحسين وأهل بيته (١).
يقول المؤرخ الانكليزي " پرس سايكس ": " إن الإمام الحسين وعصبته المؤمنة القليلة
عزموا على الكفاح حتى الموت، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى اعجابنا وإكبارنا
عبر
القرون حتى يومنا هذا " (٢).
ويقول العقاد في بسالتهم: " وكان مع الحسين نخبة من فرسان العرب كلهم لهم شهرة
بالشجاعة والبأس، وسداد الرمي بالسهم، ومضاء الضرب بالسيف، ولن تكون صحبة
الحسين غير ذلك بداهة وتقديرا، لا يتوقفان على الشهرة الذائعة والوصف المتواتر لأن
مزاملة الحسين في تلك الرحلة هي وحدها آية على الشجاعة في ملاقاة الموت ".
ويقول أحد علماء مصر: إن الجيش الذي تولى محاربة الحسين وقتله لهو أقسى قلوب

----
١ - حياة الإمام الحسين (عليه السلام) / ج ٣ ص ١٤٦.
٢ - كتاب تاريخ إيران / تأليف پرس سايكس.

العالم، وليس فيه آثار الرحمة والانسانية بل هم جمادات متحركة شريرة سجلوا لأنفسهم
في التاريخ أكبر العار، وأسوء الأعمال، وأفظع الافعال عاملهم الله بجرائمهم أشد العقاب (١).
ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار من علماء الأزهر في مصر تنديدا بقتلة الحسين (عليه السلام):
لعن الله الفسق والفساق لقد سودوا صحائف التاريخ وسجلوا على أنفسهم الجرائم الكبرى التي لا تغتفر ولا تنسى مدى الدهر فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم (٢)
ويقول العلامة القرشي: " ولم تشاهد أمة من الأمم محنة أوجع ولا أفجع من كارثة كربلاء، فلم تبق رزية من رزايا الدهر، ولا فاجعة من فواجع الدنيا إلا جرت على سبط رسول الله وريحانته... وقد ألهبت رزاياه العواطف حزنا وأسى وأثارت اللوعة حتى عند
أقل الناس إحساسا وأقساهم قلبا وقد أثرت على الباغي اللئيم عمر بن سعد، فراح يبكي من أهوال ما جرى على الإمام الحسين من فوادح الخطوب... وقد وصفها الإمام الرضا (عليه السلام):
" ان يوم الحسين أقرح جفوننا وأذل عزيزنا.. ".
نعم.. أليس ذلك من قوة الأخلاق العظيمة وأثرها البناء الذي علمها الحسين (عليه السلام)
أصحابه؟
والمعاني الأخلاقية بصفتها الإلهية تخلد النماذج العملية الوفية لها دائما، مما تدلنا على ضرورة التعلم في هذه المدرسة الحسينية المؤيدة برعاية الله الدائمة.

---

١ - بالفارسية كتاب (پرتوي از عظمت حسين / ص ٤٤٧) نقلا عن فهرست الكامل لابن أثير
٢ - نفس المصدر.

حينما تنتصر الأخلاق وتنشق الحجب
وإثباتا للحقيقة المذكورة نذكر هنا انتصارات ثلاثة من بدايات الانتصارات الحسينية بعد استشهاده الأليم:
الانتصار الأول:
لما جئ برأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد دعا بقضيب خيزران وجعل ينكت به ثنايا أبي
عبد الله الحسين (عليه السلام) ويتمثل بأبيات ابن الزبعري:
ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قلتنا القرم من ساداتهم * وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم * من بني أحمد ما كان فعل
قال الراوي: فقامت زينب بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أخت الحسين فقالت:
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين.
صدق الله، كذلك يقول: * (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا
بها يستهزؤون) * أظننت يا يزيد! حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة، حين صفا لك ملكنا وسلطاننا. مهلا مهلا. أنسيت قول الله: * (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم، إنما نملي لهم ليزدادوا إثما

ولهم عذاب مهين) * (١) أمن العدل يا ابن الطلقاء! تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات
رسول الله سبايا؟ قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن. تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح القريب والبعيد والدني
والشريف. ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء؟! ونبت لحمه بدماء الشهداء؟! وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان؟! ثم تقول - غير متأثم ولا مستعظم -: لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا: يا يزيد! لا تشل. منتحيا على ثنايا أبي
عبد الله، سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمحضرتك. وكيف لا تقول ذلك ولقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد ونجوم الأرض من آل
عبد المطلب وتهتف بأشياخك. زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكا موردهم ولتودن: أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.
اللهم! خذ بحقنا وانتقم من ظالمنا وأحلل غضبك بمن سفك دمائنا وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك ولتردن على رسول الله بما تحملت من
سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم * (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) * (٢) حسبك بالله حاكما وبمحمد خصيما وبجبرئيل ظهيرا وسيعلم من سوى لك
ومكنك من رقاب المسلمين: * (بئس للظالمين بدلا وأيكم شر مكانا وأضعف جندا) *؟
ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى والصدور حرى. ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء!! فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تنحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل. ولئن اتخذتنا مغنما لتجدنا وشيكا مغرما حين لا تجد إلا ما قدمت يداك * (وما ربك بظلام

----

١ - سورة: الآية ١٧٣.
٢ - سورة: الآية ١٦٣.

للعبيد) * فإلى الله المشتكى وعليه المعول. فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا يدحض عنك عارها وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: * (ألا لعنة الله على
الظالمين) * فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة. ونسأل أن
يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل ".
الانتصار الثاني:
ذكر المؤرخون أن يزيد أمر بمنبر وخطيب ليخبر الناس بمساوئ الحسين وعلي (عليهما السلام)
وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم أكثر الوقيعة في علي والحسين (عليهما السلام) وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد، فذكرهما بكل جميل. قال: فصاح به علي
بن الحسين (عليه السلام): " ويلك أيها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوء
مقعدك من النار ". ثم قال علي بن الحسين (عليه السلام): " يا يزيد إئذن لي حتى أصعد هذه
الأعواد فأتكلم بكلمات لله فيهن رضي ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب ". قال: فأبى يزيد عليه ذلك، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أئذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئا.
فقال: انه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان.
فقيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يحسن هذا؟
فقال: ان هذا من أهل بيت قد زقوا العلم زقا.
فلم يزالوا به حتى أذن له، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها
العيون وأوجل منها القلوب، ثم قال:
أيها الناس أعطينا ستا وفضلنا بسبع: أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمدا، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسوله، ومنا سبطا هذه الأمة، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس أنا ابن مكة ومنى، أنا

ابن زمزم وصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبى، أنا ابن من أسري به إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن الحسين القتيل بكربلا، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن فاطمة الزهرا، أنا ابن سدرة المنتهى، أنا ابن شجرة طوبى، أنا ابن المرمل بالدما، أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلما، أنا ابن من ناح عليه الطيور في الهوا ".
فلما بلغ كلامه (عليه السلام) إلى هذا الموضع ضج الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد (لعنه
الله) أن يكون فتنة. فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة، فقام المؤذن وقال: " الله أكبر، الله أكبر ".
قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): " نعم، الله أكبر وأعلى، وأجل وأكرم مما أخاف
وأحذر ".
فلما قال المؤذن: " أشهد أن لا إله إلا الله ".
قال (عليه السلام): " نعم أشهد مع كل شاهد وأحتمل على كل جاحد أن لا إله غيره ولا رب
سواه ".
فلما قال المؤذن: " أشهد أن محمدا رسول الله ".
أخذ (عليه السلام) عمامته من رأسه وقال للمؤذن: " أسألك بحق محمد هذا أن تسكت ساعة،
ثم أقبل على يزيد وقال: يا يزيد هذا الرسول العزيز الكريم جدي أم جدك؟ فان قلت إنه جدك يعلم العالمون أنك كاذب، وإن قلت إنه جدي فلم قتلت أبي ظلما وانتهبت ماله وسبيت نساءه "؟!
فقال (عليه السلام) هذا، وأهوى إلى ثوبه فشقه ثم بكى وقال: " والله لو كان في الدنيا من جده
رسول الله فليس غيري، فلم قتل هذا الرجل أبي ظلما، وسبانا كما تسبى الروم ".
ثم قال: " يا يزيد فعلت هذا ثم تقول محمد رسول الله وتستقبل القبلة؟ فويل لك من يوم القيامة، حيث كان خصمك جدي وأبي ".
فصاح يزيد - وكانت الهزيمة قد أحاطت به نفسيا وظاهريا، صاح - بالمؤذن أن يقيم

للصلاة، فوقع بين الناس دمدمة وزمزمة عظيمة، فبعض صلى وبعضهم لم يصل حتى
تفرقوا (١). لقد بين الإمام زين العابدين (عليه السلام) سبعا من ينابيع فضائل أهل البيت
(عليهم السلام)
الأخلاقية: " العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب
المؤمنين " وهذه سر انتصار الحسين (عليه السلام) ومعنى الانتصار في مذهبنا الحق
مذهب أهل
البيت (عليهم السلام).
الانتصار الثالث:
حج هشام بن عبد الملك فلم يقدر على الاستلام من الزحام، فنصب له منبر وجلس
عليه وأطاف به أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل علي ابن الحسين (عليه السلام)
وعليه إزار ورداء
من أحسن الناس وجها وأطيبهم رائحة بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز فجعل يطوف
فإذا
بلغ (إلى) موضع الحجر تنحى الناس حتى يستلمه هيبة له. فقال شامي: من هذا يا أمير
المؤمنين؟! فقال: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضرا:
لكني أنا
أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فأنشأ قصيدة منها:
يا سائلي أين حل الجود والكرم * عندي بيان إذا طلابه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي أحمد المختار والده * صلى عليه إلهي ما جرى القلم
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه * لخر يلثم منه ما وطئ القدم (٢)
هذا علي رسول الله والده * أمست بنور هداه تهتدي الأمم
هذا الذي عمه الطيار جعفر * والمقتول حمزة ليث حبه قسم
هذا ابن سيدة النسوان فاطمة * وابن الوصي الذي في سيفه نقم
إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

----
١ - نفس المهموم / ص ٤٥٠.
٢ - لثم الشئ: قبله.

وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم إلا حين يبتسم (١)
مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم (٢)
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
الله فضله قدما وشرفه * جرى بذاك له في لوحه القلم
من جده دان فضل الأنبياء له * وفضل أمته دانت له الأمم
عم البرية بالإحسان وانقشعت * عنها العماية والإملاق والظلم (٣)
سهل الخليقة لا تخشى بوادره * تزينه خصلتان الحلم والكرم (٤)
لا يخلف الوعد، ميمونا نقيبته * رحب الفناء أريب حين يعترم (٥)
من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم * ويستزاد به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * في كل فرض ومختوم به الكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
بيوتهم في قريش يستضاء بها * في النائبات وعند الحلم إن حلموا
فجده من قريش في أزمتها * محمد وعلي بعده علم
بدر له شاهد والشعب من أحد * والخندقان ويوم الفتح قد علموا (٦)

---

١ – اغضى عينه: طبق جفنيها حتى لا يبصر شيئا.
٢ – الخيم بالكسر: السجية والطبيعة. والشيم جمع الشيمة: الطبيعة
٣ – انقشعت: اي انكشفت. وأملق: اي أنفق ماله حتى افتقر.
٤ – البوادر جمع البادرة: الحدة أو ما يبدو من الانسان عند الحدة والغضب من قول أو فعل.
٥ – النقيبة: الطبيعة والخليقة. وميمون النقيبة أي منجح الفعال. والأريب: العاقل. وقوله يعترم على المجهول من العرام بمعنى الشدة أي عاقل إذا اصابته شدة.
٦ – قوله والخندقان إشارة إلى غزو خندق ووجه التثنية على ما قيل إما لكون الخندق محيطا بطرفي المدينة أو لانقسامه في الحفر بين المهاجر والأنصار.

وخيبر وحنين يشهدان له * وفي قريضة يوم صيلم قتم (١)
مواطن قد علت في كل نائبة * على الصحابة لم أكتم كما كتموا
فغضب هشام ومنع جائزته وقال: ألا قلت فينا مثلها، قال: هات جدا كجده وأبا كأبيه وأما كأمه حتى أقول فيكم مثلها. فحبسه بعسفان بين مكة والمدينة. فبلغ ذلك علي بن الحسين (عليهما السلام) فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وقال: إعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر
من هذا لوصلناك به. فردها وقال: يا ابن رسول الله ما قلت هذا الذي قلت إلا غضبا لله ولرسوله وما كنت لأرزأ عليه شيئا. فردها إليه وقال: بحقي عليك لما قبلتها، فقد رأى الله
مكانك وعلم نيتك. فقبلها، فجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس، فكان مما هجاه
به قوله:
أتحبسني بين المدينة والتي * إليها قلوب الناس تهوى منيبها
تقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وعين له حولاء باد عيوبها
فأخبر هشام بذلك فأطلقه، وفي رواية أبي بكر العلاف أنه أخرجه إلى البصرة (٢)
نعم هكذا تنتصر الأخلاق الحسينية وتنشق الحجب من فوق عيون المغفلين ويفضح أمر المجرمين.
فليس الانتصار عند الإمام الحسين (عليه السلام) هو اعتلاء كرسي الحكم الزائل أو الاستلام
للرئاسة الباطلة أو العمالة للطغاة خوفا أو طمعا، كما يتلهف لها حتى بعض المنادين باسم
الحسين (عليه السلام)
وما النصر إلا من عند الله، ولا ينصر الله إلا من ينصره في دينه. وقد نصر الحسين (عليه السلام)
دين الله، فهو المنتصر بنصر الله. إذن لا يمكن القول في ثورة الحسين إلا أنها منصورة ومنتصرة بالمفهوم المعنوي والأخلاقي والحضاري والروحي، وكذلك المادي، إذ قامت
الثورات الاحتجاجية بعدها حتى انتهت الدولة الأموية الدموية إلى غير رجعة، فعرفت الأمة أن دين محمد (صلى الله عليه وآله) لم يزل قائما إلى يومنا والى يوم القيامة، فما أعظم هذا النصر!

----
١ - الصيلم: الامر الشديد والداهية. والقتم من القتام بمعنى الغبار.
٢ - المناقب: ج ٤ ص ١٦٩ - ١٧٢.

أليس ذلك وليد الصبر على الحق؟
ولقد سما الحسين وأهله بيته وأصحابه الكرماء إلى أوج رفيع، تنحط دونه الهمم والآمال في الثبات على المبدأ والتمسك بالحق رغم حراجة الموقف وشراسة العدو.
ومن هنا نقول إن الأخلاق الحسينية الحقة هي التي يجب معرفتها والصبر عليها والدعوة إليها في طول الحياة.
وكانت الأهداف مبينة في كلمات الحسين (عليه السلام) والتي منها كلمته المجلجلة في مسمع
الدهر والتي لا تزال تهتف بالأباة والأحرار والرساليين: " اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان
منا تنافسا في سلطان، ولا التماسا من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك، فإنكم أن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير " (١)

----

١ - تحف العقول / ص ٢٣٧

كلمة ما قبل الخاتمة:
من خلال المواقف الأخلاقية الرائدة التي ذكرناها في سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) ثبت
جليا التزام هذا الإمام العظيم بوصية أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي أوصاه بما يلي: " يا بني
أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الرضي والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وبالعدل على الصديق والعدو، وبالعمل في النشاط والكسل،
والرضي عن الله في الشدة والرخاء.
أي بني ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير، وكل نعم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية.
واعلم أي بني أنه من من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره. ومن تعرى من لباس التقوى لم يستتر بشئ من اللباس، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن حفر بئرا لأخيه وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته (١) ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن كابد الأمور عطب (٢)، ومن اقتحم الغمرات غرق (٣)، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى
بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن خالط العلماء وقر، ومن خالط الأنذال حقر (٤). ومن سفه على الناس شتم (٥)، ومن دخل مدخل السوء اتهم، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شئ عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطاؤه، ومن كثر

---

١ - وفي بعض النسخ (عوراته).
٢ - كابدها أي قاساها وتحمل المشاق في فعلها بلا إعداد أسبابها. وعطب أي هلك. والغمرات: الشدائد.
٣ - وفي النهج (ومن اقتحم اللجج غرق).
٤ - الأنذال - جمع النذل - الخسيس من الناس، المحتقر في جميع أحواله، والمراد بهم ذوي الأخلاق الدنية.
٥ - يعني ومن عابهم شتم وسب.

خطاؤه (١) قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار.
أي بني من نظر في عيوب الناس ورضي لنفسه بها فذاك الأحمق بعينه، ومن تفكر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سلم، ومن ترك الشهوات كان حرا وممن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس.
أي بني عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه.
أي بني العجب ممن يخاف العقاب فلم يكف، ورجا الثواب فلم يتب ويعمل.
أي بني الفكرة تورث نورا، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والسعيد من وعظ بغيره، والأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، ليس مع قطيعة الرحم نماء، ولا مع الفجور غنى.
أي بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله، وواحد في ترك مجالسة السفهاء.
أي بني من تزيا (٢) بمعاصي الله في المجالس أورثه الله ذلا. ومن طلب العلم علم.
يا بني رأس العلم الرفق، وآفته الخرق (٣)، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب، والعفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، كثرة الزيارة تورث الملالة، والطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم (٤)، وإعجاب المرء بنفسه يدل على ضعف عقله. أي بني كم نظرة جلبت حسرة، وكم من كلمة سلبت نعمة.
أي بني لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع (٥) ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، ولا مال أذهب بالفاقة

---

١ - وفي بعض نسخ الحديث (خطؤه) في الموضعين والمعنى واحد.
٢ - تزيا أي صار ذا زي.
٣ - الخرق: الشدة، ضد الرفق.
٤ - الطمأنينة اسم من الاطمينان: توطين النفس وتسكينها. والخبرة: العلم بالشئ. والحزم: ضبط الامر وإحكامه والاخذ فيه بالثقة.
٥ - المعقل: الحصن والملجأ. والورع أمنع الحصون وأحرزها عن وساوس الشيطان وعن عذاب الله. والنجاح: الظفر والفوز أي لا يظفر الانسان بشفاعة شفيع بالنجاة من سخط الله وعذابه مثل ما يظفر بالتوبة.

من الرضي بالقوت، ومن اقتصر على بلغة الكفاف تعجل الراحة وتبوء خفض
الدعة (١).
أي بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب (٢) وداع إلى التقحم في الذنوب،
والشره جامع لمساوي العيوب (٣) وكفاك تأديبا لنفسك ما كرهته من غيرك (٤).
لأخيك
عليك مثل الذي لك عليه، ومن تورط في الأمور بغير نظر في العواقب فقد تعرض
للنوائب، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم، من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع
الخطأ، الصبر جنة من الفاقة، البخل جلباب المسكنة، الحرص علامة الفقر، وصول
معدم خير من جاف مكثر (٥) لكل شئ قوت، وابن آدم قوت الموت.
أي بنى لا تؤيس مذنبا، فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير، وكم من مقبل على
عمله مفسد في آخر عمره، صائر إلى النار، نعوذ بالله منها.
أي بني كم من عاص نجا، وكم من عامل هوى، من تحرى الصدق خفت عليه
المؤن (٦). في خلاف النفس رشدها. الساعات تنتقص الأعمار. ويل للباغين من
أحكم
الحاكمين وعالم ضمير المضمرين.
يا بني بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد، في كل جرعة شرق، وفي كل أكلة
غصص (٧). لن تنال نعمة إلا بفراق أخرى، ما أقرب الراحة من النصب، والبؤس من

---

١ - البلغة - بالضم -: ما يتبلغ به من القوت ولا فضل فيه. والكفاف - بفتح الكاف -: ما كفى عن الناس
من
الرزق واغنى. والخفض لين العيش وسعته. والدعة - بالتحريك: - الراحة والإضافة للمبالغة أي تمكن
واستقر في متسع الراحة.
٢ - النصب - بالتحريك -: أشد التعب.
٣ - الشره - بكسر الشين وشد الراء -: الحرص والغضب والطيش والعطب وقد يطلق على الشر أيضا.
وفي بعض النسخ بدون التاء.
٤ - كذا والظاهر " اجتناب ما تكره - الخ " كما في النهج.
٥ - الوصول - بفتح الواو -: الكثير الاعطاء. والمعدم: الفقير. والجاف فاعل من جفا يجفو جفاءا ضد:
واصله وآنسه. والمكثر: الذي كثر ماله، يعني من يصل إلى الناس بحسن الخلق والمودة مع فقره خير ممن
يكثر في العطاء وهو جاف أي سيئ الخلق.
٦ - التحري: القصد والاجتهاد في الطلب. والمؤن - ضم الميم وفتح الهمزة - جمع المؤونة وهي القوت
أو
الشدة والثقل.
٧ - الشرق: الغصة وهي اعتراض الشئ في الحلق وعدم أساغته، ويطلق الأول في المشروبات والثاني
في المأكولات.

النعيم، والموت من الحياة، والسقم من الصحة، فطوبى لمن أخلص لله عمله، وعلمه وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وفعله وقوله، وبخ بخ (١) لعالم عمل فجد، وخاف البيات فأعد واستعد، إن سئل نصح وإن ترك صمت، كلامه صواب، وسكوته من غير عي جواب (٢). والويل لمن بلي بحرمان وخذلان وعصيان فاستحسن لنفسه ما يكرهه من غيره، وأزرى على الناس بمثل ما يأتي (٣)

واعلم أي بني أنه من لانت كلمته وجبت محبته. وفقك الله لرشدك وجعلك من أهل طاعته بقدرته إنه جواد كريم (٤).

---

١ - " بخ " اسم فعل للمدح واظهار الرضي بالشئ ويكرر للمبالغة، فيقال: بخ بخ بالكسر والتنوين.

٢ - العي: العجز عن الكلام

٣ - أزرى عليه عمله أي عاتبه وعابه عليه.

٤ - تحف العقول عن آل الرسول ص ٨٨ - ٩١.

الخاتمة

وما أجمل بنا أن نختم هذا الكتاب بما أنشده الشاعر الحسيني الحاج عبد الحسين الأزري البغدادي (رحمهم الله) حيث قال مستلهما من كرامة الحسين (عليه السلام) وإبائه وعزته وشخصيته
الأخلاقية الرائدة:

عش في زمانك ما استطعت نبيلا * واترك حديثك للرواة جميلا
ولعزك استرخص حياتك إنه * أغلى، وإلا غادرتك ذليلا
فالعز مقياس الحياة.. وضل من * قد عد مقياس الحياة الطولا
قل: كيف عاش؟ ولا تقل: كم عاش من * جعل الحياة إلى علاه سبيلا
لا غرو إن طوت المنية ماجدا * كثرت محاسنه وعاش قليلا
ما كان للأحرار إلا قدوة * بطل توسد في الطفوف قتيلا
بعثته أسفار الحقائق آية * لا تقبل التفسير والتأويلا

لا زال يقرأها الزمان معظما * في شأنها، ويزيدها ترتيلا
يدوي صداها في المسامع زاجرا * من على ضيما واستكان خمولا
أفديك معتصما بسيفك لم تجد * إلاه في حفظ الذمار كفيلا
خشيت أمية أن تزعزع عرشها * والعرش لولاك استقام طويلا
من أين تأمن منك أرؤس معشر * حسبتك سيفا فوقها مسلولا
طبعتك أهداف النبي وذربت * يدها شباتك وانتضتك صقيلا
فإذا خطبت رأوك عنه معبرا * وإذا انتميت رأوك منه سليلا
أو قمت عن بيت النبوة معربا * وجدوا به لك منشأ ومقيلا
قطعوا الطريق لذا عليك وألبوا * من كل فج عصبة وقبيلا
وهناك آل الأمر إما سلة * أو ذلة.. فأبيت إلا الأولى
ومشيت مشية مطمئن حينما * أزمعت عن هذي الحياة رحيلا
تستقبل البيض الصفاح كأنها * وفد يؤمل من نداك منيلا

فكأن موقفك الأبي رسالة * وبها كأنك قد بعثت رسولا
نهج الأباة على هداك.. ولم تزل * لهم مثالا في الحياة نبيلا
وتعشق الأحرار سنتك التي * لم تبق عذرا للشجى مقبولا
قتلوك للدنيا.. ولكن لم تدم * لبني أمية بعد قتلك جيلا
ولرب نصر عاد شر هزيمة * تركت بيوت الظالمين طلولا
حملت بصفين الكتاب رماحهم * ليكون رأسك بعده محمولا
يدعون باسم (محمد)، وبكربلا * دمه غدا بسيوفهم مطلولا
لو لم تبت لنصالهم نهبا لما * اجترأ الوليد فمزق التنزيلا
تمضي الدهور ولا ترى إلاك في ال * - دنيا شهيد المكرمات جليلا
فكفاك تعظيما لشأوك موقف * أمسى عليك مدى الحياة دليلا
بسمائك الشعراء مهما حلقوا * لم يبلغوا من ألف ميل ميلا (١)

----

١ - الدر النضيد: ٢٧٢ - ٢٧٤.